

المنهل

AL MANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة



العدد (٦١٣) المجلد (٧٠) العام (٧٤) رمضان / شوال ١٤٢٩هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٨

صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم

فتوحات إسلامية مجهولة

اقتصاد المعرفة.. وسلطة المُقَدَّس

محمود تيمور .. وأنا

أدب الطفل .. أمل المستقبل

كل عام والأمة الإسلامية بخير

• حوادث الطيران.. • هجرة الطيور.. • مخاطر البراكين..

البحث في إعجاز القرآن ضرورة شرعية



الأمثال في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

غلاف العدد

المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية
السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له - بإذن الله -
عبدالقدوس القاسم الأنصاري
عـام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

■ ■ ■

ملكها ورأس تحريرها
المغفور له - بإذن الله -
نبيه عبدالقدوس الأنصاري
من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

■ ■ ■

ترسل جميع المراسلات إلى جُدة
على العنوان التالي:

المركز الرئيسي

جُدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
ناسوخ: ٠٢/٦٤٢٨٨٥٣
هاتف : ٦٤٢٧٨٣١- ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

البريد الإلكتروني
E-mail : info@al-manhalmagazine.com

مما قل:

الحياة معرض

ليس الأمر الذي ينجحك اليوم في الحياة الاجتماعية الحاضرة، أن تكون ذا ثراء عريض من العلم أو ذا ثراء موفور من الأدب أو من أي شيء آخر ذي قيمة معنوية في الحياة فالعصر اليوم كما ترى ((عصر المادة)) فهي تسيطر على كل شيء، والذي ينجحك إذن في هذا الجو المادي أن تستطيع ((إحالة جوهرياتك)) إلى ((طاقة ماديات)) يأنس الأفراد ويأنس الجمهور منها فائدة لمصالحهم. ووسيلة النجاح في هذا الشأن أن تكون "صيرفيا" لبقا في عرض مالديك من علم أو أدب أو فن ممتاز في ((معرض الحياة العام)). إذن إن الحياة كما قلت لك آنفا هي اليوم معرض مادي عام تقاس فيه الأشياء بمقياس نفعها العام والخاص ومزاياها المادية المحسنة.. وإلى هذا المعرض تساق الجهود وتحشد المقومات فيشتري فيه ما أجيد عرضه وأحسن الإعلان لترويجه.

وإجادة العرض واحسان الأعلان يقومان على دعائم مركزة من اقناع الأفراد واقناع الجماهير بأن معروضاتك قيمة تحوى الشيء الكثير من رفد مصالحهم الخاصة والعامة، وبقدر ما توفق في هذا الاقناع تكون المتفوق الناجح في الحياة.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادى الأولى ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٧٥٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ ديناراً - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ ديناراً لبنان [illegible] ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر [illegible] - اليمن [illegible] ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

أما بعد

الحصاد المرّ..

متغيرات الحياة في زمن الفضاء المفتوح هذا غدت سريعة بارقة لا تلاحق..

والحياة اليوم في مجملها ظلت في كل معطياتها نسيجاً متشابكة خيوطه. فإن أخذت بِطرق خيط منها تداعت إليك جميعها..

مع هذا الواقع سريع الخطو في تغيّره وتبدله ظللنا نخشى على أجيالنا أن يفلت منّا القياد.. قياد المتابعة والتوجيه..

ذلك، لأن متلاحقات الفضاء المفتوح من قنوات، وانترنت بعيداً عن أعين (المتابع والموجه) وفوق ذلك صحبة الشباب ومغرياتها، كل تلك في مجموعها شكلت ضغطاً سالباً على متابعة الأسرة لنا شئتها..

هذا إن كان للأسرة ذاتها من الوقت ما يكفي للجلوس إلى أبنائهم وبناتهم..

وإذا كنا نقرأ كل يوم في الصحف ونشاهد في الفضائيات ما يخلع القلوب من أكنانها من سوالب فاجعة. ترى ما نحن فاعلون ...؟!!!

ما العمل .. ؟!!!

ما الحل .. ؟!!!

المحــــرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهيــر الأنصــاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

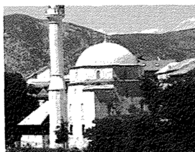
إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع :
www.almanhalmagazine.com

فقرات مستقلة











فهرس (رمضان - شوال) ١٤٢٩هـ

الاشتراكات

جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة تليفون: ٦٤٩٦٠٠٦ فاكس: ٦٤٩٦٠٠٩



المؤتمر العالمي للحوار... الدفـــع نحـــو الحـــياة...



كتب: زهيـــر الأنصـــاري..

منذ الحروب الصليبية، وحتى يومنا هذا، ظلت شعوب هذا العالم في احتراب واقتتال، ودمار وخراب.. تهدأ حينا وتشتعل دهوراً.. قد تختلف الأسباب والمسببات والدوافع، لكن الغاية واحدة: حب السيطرة على الآخر.. وتبقى الغلبة للأقوى.. عالم يتحدث أهله عن الحضارات والقيم، والحرية والديمقراطية، والعدل والمساواة، وكل هذه المثاليات تظل مؤطرة ومحكومة برغبات جامحة في السطوة، والسيطرة على الآخر..

قلنا الاحتراب قائم، وأن خمد استعاره حيناً.. مع اختلاف في الأهداف والغايات وتغيرها أو تبدلها من حين لآخر حسب مقتضيات الحال، مع النظر إلى المآلات..

أوروبا صاحبة الدين الواحد اقتتلت فيما بينها، لمصالح تتباعد وتتقارب، وأهلكوا فيما بينهم ما يقرب أو يزيد من عشرة ملايين انسان لدوافع مادية آنية ليس من بينها على الاطلاق احترام حقوق الإنسان. فالإنسان أهون ما يكون في نظرهم.

ما تكاد نار هذه الحرب تخمد، حتى يشتعل أوار أخرى بين أصحاب المحورين (الشرقي) و(الغربي) - (الرأسمالي) و(الاشتراكي).

ويستمر الدمار، بكل أنواع الأسلحة المتوفرة - (محللها ومحرمها) - إن كان في الأسلحة حلالا..؟!! وكأنهم يقتتلون حتى لا يكون بشر..!!

السيطرة وفرض الرأي، واقتلاع الآخر، أهم عند المتحاربين من (الإنسان).

إنها حروب (قذرة) يُستخدم فيها كل شيء.. ويُقتل فيها كل شيء.. ويُدمر فيها كل شيء..

هذا في حروبهم واقتتالهم مع بعضهم بعضاً.!!

فما حالهم مع الآخرين..؟!!

والآخرين أعني بهم: المسلمين، عرباً وعجماً.. وأعنى بهم الأفارقة والمستضعفين في الأرض..!!

الحروب الصليبية على المسلمين كان هدفها دينياً محضا.. غايتهم الكبرى وأمنيتهم العليا، ألا يكون على وجه الأرض مسلم.. وهذا لا يمنع أن تكون لهم أهداف وغايات أخرى.. وكتب التاريخ سجلت تفاصيل كل ذلك.. ولسنا بحاجة في هذه الأسطر للتفاصيل..

حتى تجئ حروب القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر) الميلاديين لذات الغرض مع اقتسام هذا العالم المستضعف فيما بينهم، واقتسام خيراته: أرضاً وثروة وبشراً..

واقرأوا من التاريخ ما شئتم- قديمه وحديثه - ينبئكم ويخبركم..!!!

ولماذا التاريخ...؟!!

اقرأوا الواقع الماثل بين أعينكم الآن.. ماذا يقول..؟!!

بل ماذا ترون..؟!!

(فلسطين- العراق- أفغانستان- البوسنة والهرسك- الشيشان-...؟! ...؟! ...؟!..)

وفوق كل ذلك: إرادات مُرْتهنَه.. ولا أزيد حرفا..!!! هذا هو (وجه) العالم.. قديمه وحديثه..

تُرى هل خُلق هذا العالم ليقتتل؟!

خادم الحرمين يقول:

- **الإسلام.. دين الاعتدال والوسطية والتسامح..**
- **المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان ولكن بسبب التطرف..**
- **البشرية اليوم تعاني من ضياع القيم والتباس المفاهيم..**
- **تسلط الأقوياء على الفقراء وانتشار النزاعات العنصرية البغيضة سببها الفراغ الروحي..**
- **إذا أردنا لهذا اللقاء التاريخي أن ينجح فلابد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا..**
- **إن الإنسان قادر على أن يهزم الكراهية بالمحبة. والتعصب بالتسامح..**
- **ليكن حوارنا مناصرة للإيمان في وجه الالحاد. والفضيلة في مواجهة الرذيلة والعدالة في مواجهة الظلم. والسلام في مواجهة الصراعات والحروب. والأخوة البشرية في مواجهة العنصرية.**

{يا أيها النـــاس إنَّا خلقناكم من ذكــر وأنثى وجعلناكم شــعوباً وقبائل لتعارفــوا إنَّ أكرمكم عنــد الله أتقاكم}
هــذه هي الإجابة الواضحـــة البينة التي لا لبس فيها ولا غموض.. (لتعارفوا)..

إجابــة بينة واضحة ممن خلق الســماوات والأرض وما بينهن ومن بينهن..

(لتعارفوا).. هذه الغاية من خلقنا..

(لتعارفوا): مــن غير تفاضل ولا تفــاوت في الجنس أو اللون أو اللغة "كلكم لآدم وآدم من تراب"..

(لتعارفــوا): من غير تميز بينكــم في المعتقد أو الفكر أو التوجه. {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}.

(لتعارفوا): لا لتقاتلوا {من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا..}.

(لتعارفــوا): لا لتفســدوا في الأرض: {ولا تفســدوا في الأرض بعد إصلاحها.}

هذا هو المنهج العام للحياة في هذه الأرض لجميع البشر من ربِّ البشر..

دعــوة للتعارف والتآلــف.. دعوة للتكامــل والتلاقي.. لا اعتداء على حق إنســان على وجه هذه الأرض بأي نوع من أنواع الاعتداء..

ولا إفساد في الأرض بأي نوع من أنواع الإفساد..

ومن أجل إعلاء هذه القيم الرفيعة، ليعيش الإنسان -كل الإنســان- في كل أنحاء المعموره - ليعيش حياة هادئة كريمة، من أجل هذا كله **جــاءت دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار.. المؤتمــر العالمي للحوار..** عقد هذا المؤتمر في مدريد في الفترة (١٣-١٥) رجب ١٤٢٩هـ الموافق عقــد (١٦-١٨) يوليــو ٢٠٠٨م..

وســبق انعقاد هــذا المؤتمر لقاء جامــع لعلماء ومفكري المســلمين في مكة المكرمة ليضعوا مرئياتهم حول انعقاد هذا المؤتمر..

وكان الحضــور لهذا (المؤتمر العالمــي للحوار) حضوراً كثيفا فقد حضرت فعالياته وشــاركت فيه وفود من علماء ومفكري الدول الغربيــة والعربية وغيرهما، وكان النقاش والحــوار قد جــرى فيه بروح المســئولية.. وكانت الوفود تلهج بلســان الشــكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملــك عبدالله بن عبدالعزيز -أطــال الله في عمره- وقد عبر كثيــر منهم عن هذا العمل الجليــل لخادم الحرمين الشريفين.

فــي العاصمة الأســبانية (مدريــد)، وبحضــور خادم الحرمين الشــريفين الملك عبدالله بــن عبدالعزيز، والملك خوان كارلوس ملك أســبانيا، افتتحــت أعمال وفعاليات (المؤتمر العالمي للحوار في شهر رجب الفائت ١٤٢٩هـ/ يوليــو ٢٠٠٨م وافتتح المؤتمر خادم الحرمين الشــريفين بكلمة ضافيــة وافية كانت مثار اهتمام المشــاركين في هــذا المؤتمر.. وقد حدد فيهــا - يحفظه الله - الخطوط العريضة لمسار هذا المؤتمر، أهدافاً وغايات..

ثم تحدث الملك خوان كارلوس ملك أســبانيا، وقد أشــاد فيها بالجهود العظيمة المقــدرة التي بذلها ويبذلها خادم الحرمين الشريفين من أجل جمع الناس على كلمة سواء، تجمع بينهم جميعاً الجوامع المشتركة للإنسانية والعدالة والحرية والأمن.

خطــاب خادم الحرمين الشــريفين مثَّل مرتكــز ترحيب لدى الحضور كافة، وقد عبروا عن ذلك جميعهم بالوقوف والتصفيق المتواصل كعادة الأوروبيين فيما يرونه منطقياً وبناءً..

كل القاعة امتلأت بممثلي كل الأديان الســماوية، وممثلي المعتقــدات الأخرى بــكل أزيائهم وألبســتهم وهيئاتهم الممثلة لهم..

بــكل مقاييس النجــاح كان المؤتمر ناجحاً، بــل متفوقاً وبكل مقاييــس (التحدي) الفاعــل كان المؤتمر دفعــاً نوعياً.. وبكل المقاييس الإنسانية كان دعوة للحياة بكل معاني الخير فيها..

كلمــة خــادم الحرمــين الشــريفين فــي افتتــاح (المؤتمــر العالمي للحوار) الذي عقد في مدريد:

بسم الله الرحمن الرحيم..

والحمــد للــه القائــل فــي محكــم كتابه: ﴿يـا أيهـا الناس إنـا خلقناكــم مــن ذكــر وأنثــى وجعلناكــم شــعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

والصلاة والســلام علــى نبينا محمد وعلــى كافة الأنبياء والمرسلين.

جلالة الصديق الملك خوان كارلوس ملك أسبانيا:

أيها الأصدقاء الكرام:

أحييكــم وأشــكر لكــم تلبيــة دعوتنا هــذه للحــوار وأقدر لكــم ما تبذلونه من جهد في خدمة الإنســانية. متوجها بالامتنــان العميق لصديقنــا جلالة الملك خوان كارلوس، ومملكــة أســبانيا وشــعبها الصديق، علــى الترحيب بعقد هــذا المؤتمــر علــى أرضهــم التــي حملــت ميراثــا تاريخياً وحضاريا بين أتباع الديانات، وشــهدت تعايشا بين البشر على اختلاف أجناســهم وأديانهم وثقافاتهم وشــاركت مع



بقية الحضارات الأخرى في تطور الحياة الإنسانية.

أيها الأصدقاء:

جئتكم من مهوى قلوب المسلمين، من بلاد الحرمين الشريفين حاملا معي رسالة من الأمة الإسلامية، ممثلة في علمائها ومفكريها الذين اجتمعوا مؤخرا في رحاب بيت الله الحرام، رسالة تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين اتباع الأديان، رسالة تبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة يحل فيها الوئام بإذن الله محل الصراع.

أيها الأصدقاء:

إننا جميعا نؤمن برب واحد، بعث الرسل لخير البشرية في الدنيا والآخرة واقتضت حكمته سبحانه أن يختلف الناس في أديانهم، ولو شاء لجمع البشر على دين واحد، ونحن نجتمع اليوم لنؤكد أن الأديان التي أرادها الله لإسعاد البشر يجب أن تكون وسيلة لسعادتهم.

لذلك علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع، ونقول إن المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلى به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية.

إن البشرية اليوم تعاني من ضياع القيم والتباس المفاهيم، وتمر بفترة حرجة تشهد بالرغم من كل التقدم العلمي تفشي الجرائم، وتنامي الإرهاب وتفكك الأسرة، وانتهاك المخدرات لعقول الشباب، واستغلال الأقوياء للفقراء، والنزعات العنصرية البغيضة، وهذه كلها نتائج للفراغ الروحي الذي يعاني منه الناس بعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولا مخرج لنا إلا بالتقاء على كلمة سواء، عبر الحوار بين الأديان والحضارات.

أيها الأصدقاء:

لقد فشلت معظم الحوارات في الماضي لأنها تحولت إلى تراشق يركز على الفوارق ويضخمها، وهذا مجهود عقيم يزيد التوترات ولا يخفف من حدتها، أو لأنها حاولت صهر الأديان والمذاهب بحجة التقريب بينها وهذا بدوره مجهود عقيم فأصحاب كل دين مقتنعون بعقيدتهم ولا يقبلون عنها بديلا، وإذا كنا نريد لهذا اللقاء التاريخي أن ينجح فلابد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا، وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة والأخلاق العالمية التي تمثل جوهر الديانات.

أيها الأصدقاء:

إن الإنسان قد يكون سببا في تدمير هذا الكوكب بكل ما فيه، وهو قادر أيضا على جعله واحة سلام واطمئنان يتعايش فيه اتباع الأديان والمذاهب والفلسفات، ويتعاون الناس فيه مع بعضهم بعضا باحترام، ويواجهون المشاكل بالحوار لا بالعنف.

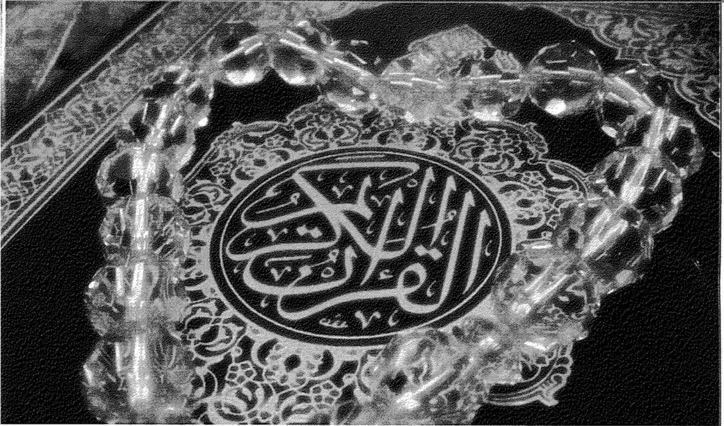
إن هذا الإنسان قادر بعون الله على أن يهزم الكراهية بالمحبة، والتعصب بالتسامح، وأن يجعل جميع البشر يتمتعون بالكرامة التي هي تكريم من الرب- جل شأنه- لبني آدم أجمعين.

أيها الأصدقاء:

ليكن حوارنا مناصرة للإيمان في وجه الإلحاد، والفضيلة في مواجهة الرذيلة، والعدالة في مواجهة الظلم، والسلام في مواجهة الصراعات والحروب، والأخوة البشرية في مواجهة العنصرية.

هذا وبالله بدأنا، وبه نستعين، ولكم مني خالص التحية والتقدير.

والسلام عليكم



البحث في (إعجاز القرآن) ضرورة شرعية

د. علي السنوسي محمد حسين

الأستاذ المشارك في كلية التربية - المدينة المنورة

مما لا شك فيه ولا مراء أن كلام رب العالمين (القرآن الكريم) يفضل كلام البشر كفضل الله تعالى على خلقه وكفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وما كان ذلك كذلك إلا لأنه كلام خارج عن طوق البشر، فقد عجز أساطين البلاغة وأساتذة البيان عن الإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة من سوره، وهذا ما أجمع عليه علماء الأمة.. يقول سعد باشا زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م بمصر: «تَحدّى القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرجة ولهجة واخزة مرغمة أن يأتوا بمثله أو بسورة منه فما فعلوا، ولو قدروا ما تأخروا لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم واتسع له إمكانهم».

القرآن الكريم معجز في كل مجالات الإعجاز..

ولكلام الله تعالى أسلوب لا يعرفه إلا من امتزج القرآن بلحمه ودمه يقول الإمام الشيخ/ محمد عبده: «إن لكلام الله تعالى أسلوباً خاصاً يعرفه أهله ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه وأما الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الألفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون».

ومما لاريب فيه أن من امتزج القرآن بلحمه ودمه له حسٌ وشعور تجاه الكلم الطيب يختلف عن غيره من بني جنسه وقد وصف الإمام الشيخ/ محمد عبده أصحاب هذه الأحاسيس وتلك المشاعر حاكياً حال نفسه: «إني عندما أسمع القرآن أو أتلوه أحسب أني في زمن الوحي

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينطق به كما أُنزل عليه أو نزل به عليه جبريل عليه السلام».

ومهمـا وصف الواصفون ونعـت الناعتون كلام رب العالمـين فلن يتفوقوا على قوله عــز وجل {لو أنزلنا هذا القرآن علــى جبل لرأيته خاشــعاً مُتَصَدِّعاً من خشية الله.}

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح (إعجاز القرآن) نشــأت فكرته أول ما نشأت في مجالس بعض القوم في البصــرة في القرن الثاني الهجــري حيث كانت تموج بالتيــارات الفكرية المختلفة من فقهاء ومحدِّثين ولغويين وأدباء وفلاسفة ومتكلمين ودعاة إلى مذاهب خارجة عن الإســلام، إلا أنه لم يبرز على الساحة إلا بعد أن صدرت مقولة عن شــيخ المعتزلة في البصرة واصــل بن عطاء اهتزت لها عقــول العلماء وهي: أن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عــن معارضته، وجاء من بعده من يقــول: إن الله تعالى ســلب العــرب العلوم التي من شــأنها أن توصلهم إلى معارضة القرآن.. حينئذ بدأ العلمــاء يتعرضون في ثنايا مؤلفاتهم لوجوه الإعجاز ويتحدثون عن (إعجاز القرآن).

مــن أجل ذلك رأيت أن البحث فــي (إعجاز القرآن) ضرورة شــرعية وقد سبقني إلى ذلك الشيخ/ محمد رشــيد رضا (صاحب مجلة المنــار المصرية) حيث قال: «فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شــرعاً وهــو من فــروض الكفاية، وقد تكلم فيه المفســرون والمتكلمون وبلغاء الأدباء المتأنقون».

وأعني بالبحث في(إعجــاز القرآن) النظر فيما كتبه المتقدمــون والمتأخــرون من علمائنــا الأجلاء الذين أفرغوا كل جهدهم في دراسة وجوه الإعجاز في ثنايا تفاســيرهم ومؤلفاتهم التي تتصــل بالقرآن الكريم، ومن أبرز المؤلفات والتفاســير التي تسترعي النظر وتشــد الانتباه: تفســير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي و(الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي وتفسير أبي الســعود المسمَّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وتفســير الآلوسي المسمى: روح المعانــي في تفســير القرآن العظيم والســبع المثاني، و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبه.

ومن المؤلفات في (إعجاز القرآن) بعنوانها

(إعجاز القــرآن) للباقلاني و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) لمصطفى صادق الرافعي.

ومن كتب البلاغة التــي اهتمت بهذا الجانب (دلائل الإعجــاز) و(أســرار البلاغــة) للإمــام عبدالقاهر الجرجاني.

ومن مؤلفــات المعاصرين (النبــأ العظيم) للدكتور/ محمــد عبدالله دراز و(التصويــر الفني في القرآن) للشيخ/ سيد قطب.

وأود أن أشــير إلى أن العلماء قسموا وجوه إعجاز القرآن أربعة أقسام:

الإعجاز البياني.

الإعجاز العلمي (التجريبي).

الإعجاز التشريعي.

الإعجاز الغيبي.

وخلاصــة القــول: إن البحث في (إعجــاز القرآن) واجب شــرعي فعلى المســلمين عامة وطــلاب العلم منهم خاصة أن يهتموا به اهتمامهم بالكتاب العزيز حتى يبرزوا مزاياه ويبينوا معانيه ويحسنوا استنباط أحكامه وتشــريعاته فتكــون لديهم القــدرة العالية على رد مزاعم الســفهاء ودحض افتراءات العابثين من أصحاب العقول الفاســدة التــي تريد النيل من كتاب رب العالمين.. وأنَّــى لهم ذلك؟ فهيهات هيهات أن يصلــوا إلى بغيتهم أو يحققــوا مطلبهم {يريدون ليطفئــوا نور الله بأفواههم واللــه متم نوره ولو كره الكافرون.}

فيا طلاب العلم أفيقوا من سباتكم واتجهوا إلى ربكم وخالقكم وحافظوا على تراثكم ودستوركم واجتهدوا في البحث والتنقيب عن الجديد في الكتاب الذي أنزل على نبيكم ورسولكم معلم الإنسانية وهادي البشرية محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلمــوا أن الأمة لن تحيا ولن تســعد ولن تنال ما تســعى إليه من نصر على الأعــداء وإحباط حملات الإرهاب والإجرام ولن يرضى عنها الخالق جل وعلا إلا بالقرآن الكريم والبحث في إعجازه واســتخراج كنوزه ودرره..

واللــه مــن وراء القصــد وهــو الهادي إلى ســواء السبيل.

الأمثال في القرآن الكريم



أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح - مصر

المثل - بكسر الميم - والمثل - بفتح الميم - والمثيل: كالشِّبْه، والشَّبَه والشَّبيه لفظا ومعنى والجمع: أمثال... والمثل - بفتح الميم والثاء: الحديث... وقد مثل به، وامتثله، وتمثله، وتمثل به.. وقد يعبر بالمثل والشبه عن وصف الشيء. نحو قوله تعالى «مثل الجنة التي وُعد المتقون.»

الأمـــثـــال أقـــوى أســالـيـب الـبـيـان وأقـدرهـا عـلـى الـتـعـبـيـر والـتـصـويـر

وقد يستعمل المثل عبارة عن المشابه لغيره في معنى من المعاني. أي معنى كان. وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة. وذلك: أن الند يقال فيما يشاركه في الجوهرية فقط.
والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة.
والشبه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط.
والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط.
والمثل عام في جميع ذلك. ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه في كل وجه. خصه بالذكر فقال تعالى: {ليس كمثله شيء}(سورة الشورى. آية ٤٢).
والمثل مأخوذ من المثال. وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. والأصل فيه التشبيه. فقولهم: مَثَل بين يديه إذا انتصب. وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول. كقول كعب بن زهير.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً
وما مواعيدها إلا الأباطيل

ويقول ابن السكيت: (المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ. شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره).
ويرى العلماء: أنه لابد أن تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ.. وإصابة المعنى.. وحسن التشبيه.. وجودة الكناية.. فهو نهاية البلاغة.
والفيروز ابادي يؤكد أن المثل: (عبارة عن قول يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره).
والكلام، إذا جعل مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.
والأمثال: أقوال سائرة مسلمة، سبقت للعظة والاعتبار، مع الإيجاز والإحكام والدقة، والتركيز.. وقضايا الأمثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم بها. فإذا ما عرض للناس في حياتهم أمر من الأمور التي تدخل في مفهوم أحد الأمثال تمثلوا به فتأنس النفوس لذلك.
والأمثال أقوى أساليب البيان، وأقدرها على التعبير، والتصوير.. لأنها:
أولاً: تعتمد على التشبيه الذي هو من أشرف كلام العرب، وبه تكون الفطنة والبراعة عندهم.. والتشبيه كذلك، يزيد المعنى وضوحاً، ويهبه تأكيداً..
وهو كما يقول الجرجاني: (يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين، حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة. ينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعتين، والماء والنار مجتمعين).
ثانياً: ليست تشبيهاً مفرداً، وإنما هي من قبيل التمثيل. فإن مضاربها تكون عادة من المعاني المعقولة التي يصعب تصورها. فيلجأ المتكلمون إلى استحضار أمور حسية، تكون مأنوسة للمخاطبين، معروفة لهم، وهي موارد الأمثال، فيتجلى الخفاء عن المعاني، وتبرز وجوهها سافرة كضوء النهار.

المثل يريك المتخيل في صورة المحقق. والمتوهم في معرض المتيقن..

ولذلك نجد عبدالقادر الجرجاني يقول: (إن أنس النفوس، موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم. نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طريق الحواس، أو المركوز فيها، من جهة الطبع، وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر، والفكر في القوة و الاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام).
ومن ثم كان الغرض من التمثيل: تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وإبراز المدركات المعقولة، والمعاني الخفية، في صورة محسة أو مألوفة، لبيان صفتها وحالها، أو تقرير معانيها، وتمكينها في النفس أو بيان إمكان وقوعها، وتحقيقها.. وغير ذلك من الأغراض..
ويبين ابن مسكويه وظيفة التمثيل، وضرب الأمثال. فيقول: (إن الأمثال إنما تضرب فيما لا تدركه الحواس مما تدركه. والسبب في ذلك إنسنا بالحواس وإلفنا لها منذ أول كوننا، ولأنها مبادئ علومنا ومنها ترتقي إلى غيرها. فإذا أخبر الإنسان بما لا يدركه، أو حدث بما لم يشاهده، وكان غريباً عنه. طلب له أمثالاً من الحس، فإذا أعطى ذلك أنس به، وسكن إليه لإلفه له. فأما المعقولات فلما كانت صورها ألطف من أن تقع تحت الحس وأبعد

من أن تمثل بمثال الحس إلا على جهة التقريب، صارت أحرى أن تكون غريبة غير مألوفة، والنفس تسكن إلى مثل وإن لم يكن مثلاً، لتأنس به من وحشة الغربة. فإذا ألفتها، وقويت على تأملها، بعين عقلها، من غير مثال، سهل حينئذ عليها تأمل أمثالها).

وأبو هلال العسكري العالم اللغوي يذكر: أنه ما رأى حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، لحاجته إلى الشاهد، والمثل، والشذرة، والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به، أوان المجادلة، في ميادين المجادلة، وإنما هو في الكلام، كالتفضيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم في البرد.

وإذا كان ما ذكرناه عن عبدالقادر الجرجاني. يمثل رؤية عالم من علماء البلاغة، وما ذكرنا عن ابن مسكويه يمثل رؤية عالم من علماء الأخلاق والتهذيب، وما جاء عن أبي هلال العسكري يمثل رؤية عالم من علماء اللغة. فإننا نجد عالماً من علماء التفسير يقول:

(ولضرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكلام الأنبياء والحكماء).

والحديث قد يطول. إذا ذهبنا، نذكر أسباب ورود المثل وبلاغته، وأقوال العلماء في ذلك. لذا رأينا أن نكتفي بما ذكرناه من أقوال علماء أجلاء.

ويهمنا أن نعرف أنه: من الجوانب التي تفيض بالحكمة والإعجاز، جاءت الأمثال في القرآن الكريم. فقد صرف الله في القرآن من كل مثل، وضرب للناس أمثالهم. فكان ذلك لون من ألوان الدعوة، ووجهاً من وجوه البيان، والكشف عن المعاني المرادة. إذ أن المثل يقرب الأمر المعنوي المراد، والفكرة التي يراد لها أن تغزو العقل والقلب.

والأمثال في كتاب الله تشكل جانباً من جوانب حجته البالغة على خلقه، فهي منارات تمد أشعتها على ما قبلها، وما بعدها من الآيات.

المثل في القرآن الكريم لون من ألوان الدعوة.

ولقد ضرب الله كثيراً من الأمثال في القرآن الكريم، حتى إن السيوطي يذكر في كتابه: ((الاتقان في علوم القرآن)): ((أن من أعظم علوم القرآن أمثاله)).

ودعا رب العزة سبحانه وتعالى الناس، أن يستمعوا إلى الأمثال ويتدبروها، ويتفكروا فيما تشير إليه، من كرائم المعاني، ويعقلوا ما توحي به من غوالي الحكم والمواعظ.

قال الله تعالى: {ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم} (سورة محمد. آية ٤٧). فالله قد ضرب الأمثال للناس، وأقام الشاهد من أنفسهم، ومما حولهم على أنه الواحد الأحد، رب كل شيء وخالقه، وبين في الأمثال الخير وما يؤدي إليه، والشر وما يعود على صاحبه منه.. خاطب الذين يسمعون ويبصرون ويستعملون عقولهم في التذكر، والتفكر، والتدبر..

ونظرة عابرة في الآيات الكريمة التي ورد فيها ضرب الأمثال، وتصريفها. تدلنا على التسلسل المنطقي في الكتاب العزيز، وليس غريباً هذا إذا عرف الإنسان أن أولى خصائص العقيدة الإسلامية: أن تربط بين المنطق الإنساني وبين عقيدته الواحدة الحاكمة الشارعة، وبينما تصورت العقائد الأخرى، والمبادئ الضالة الناس قطيعاً من البهائم، لا ينبغي لهم أن يفتحوا أعينهم على حالهم.

جاء الإسلام ليزيل الركام عن وسائل المعرفة فقال تعالى: {ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم} (سورة النور. الآية ٢٤). لأن النفس إذا لم تهتد إلى ضروب المغيبات والمعنويات كان من اللطف بها تبصرتها بضروب المحسات والماديات.

قال تعالى: {ولقد صرَّفْنا للناس في هذا القرآن من كل مثل}(سورة الإسراء: الآية ١٧). وقال تعالى: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل.} فأنت ترى أن الله سبحانه وتعالى، يرفع من مكان المثل في القرآن. ونلمس هذا في كلمة ((صرَّفْنا)) وما فيها من تأكيد وشدة تخاطب العقل لعله يذكر.. قال تعالى: {ويضرب الله

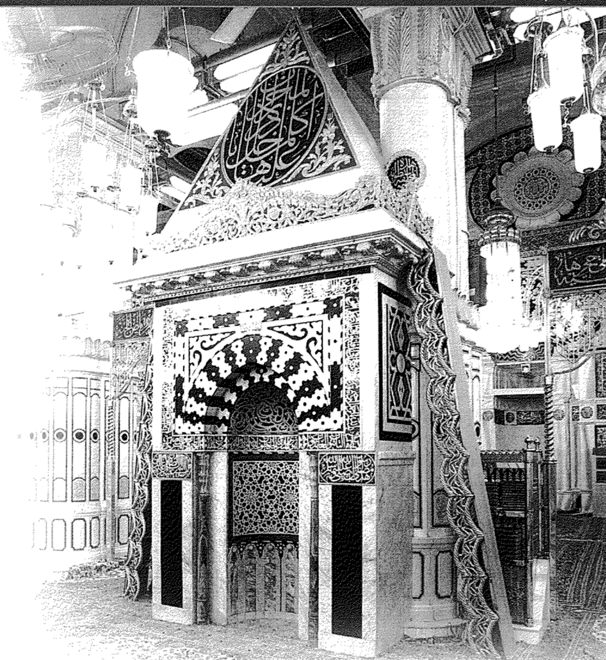
الأمثال للناس لعلهم يتذكرون}(سورة إبراهيم. آية ١٤).
فضرب الأمثال وسيلة للتذكر، والتذكر كما يقول العلماء: يؤدي إلى المعرفة، والمعرفة تقود إلى الله تعالى.
وهل كل الناس يسمعون ويبصرون؟ وهل كل الناس يتذكرون ويعقلون؟ لو كان ذلك لما كان الحال هو الحال..
ولكن ما أكثر الذين لهم أبصار. لا يبصرون بها، ولهم عقول لا يعقلون بها، ولهم أفئدة لا يفقهون بها، قال تعالى: {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير}(سورة الملك. آية ٦٧).
وقد أفادت البحوث والتجارب أن العالمين بوظائف حواسهم وعقولهم وقلوبهم، هم الذين يعقلون آيات الله ويعلمون ما فيها. قال تعالى: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} (سورة العنكبوت: آية ٢٩). وقال تعالى:{وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون}(سورة الحشر: آية ٥٩)
تلك غاية الأمثال في القرآن الكريم: التذكر- والتدبر- والتفكر.
وقد سيقت الأمثال في القرآن الكريم لتحدث في النفوس فرحة ورغبة، أو تستثير فيها هيبة ورهبة، أو ترشدها إلى خير، أو تكفها عن شر، أو تكشف لها عن حقيقة تجهلها، أولا تدري ما كنهها سيقت لتهدي الحائر والضال،وتكشف الغشاوات عن البصائر والعيون.فكل مثل من أمثال القرآن، يشرح للناس حقيقة من حقائق الحياة، أو ضربا من عجائب الطبيعة،أو هو حجة دافعة لإثبات أمر، أو تقرير مبدأ، أو إحقاق حق، أو إبطال باطل.
ويقول الحكيم الترمذي: ((اعلم أن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء، وخفيت عليه الأشياء. فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال. فضرب الله مثلاً من عند أنفسهم، لا من عند نفسه، ليدركوا ما غاب عنهم.. فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهدي النفوس بما أدركت عيانا. تدبير تدبر الله لعباده، أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم، لحاجتهم إليها، ليعقلوا بها، فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم)).
وقد لخص الإمام الزركشي، الغرض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم، فقال: (ضرب الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث والزجر،

الأمثال القرآنية صيغة من طبائع النفوس البشرية

والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر)..



فالأمثال مرآة النفس، وهل في الرءوس أسماعا وأبصارا. فما أدركت أسماع الرءوس وأبصارها. أيقن به القلب، واستقرت النفس، واتسعت في علم ذلك.
وإذا استقرأنا الأمثال القرآنية، وجدنا أنها قد صيغت من طبائع النفوس البشرية الراسخة، ومن القواعد الكونية التي لا تتغير، والمظاهر الطبيعية، الثابتة، التي تحيط بالناس في مختلف العصور والبيئات، ذلك أن القرآن باق إلى ما شاء الله. وكتاب هذا شأنه، حري أن تكون أمثاله محكمة كسائره، وأن تقوم على الحقائق الثابتة وحدها.
وللأمثال أهميتها اللغوية والبلاغية والأدبية. ولهذا أدت دوراً بارزاً في تعميق اللغة العربية، وحفظها، ونموها واتساعها، وشمولها، وتبلورها.
وقد فطن النحاة إلى ذلك. فجاءت مؤلفاتهم زاخرة بالاستشهاد بالأمثال لما لها من قوة وتأكيد.
وبما أن الأمثال اشتملت على الكنايات، والمجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والطباق، والجناس، والتورية، وغير ذلك من النكات البلاغية. فقد استفادت منها البلاغة واستمدت منها النضوج والعطاء.
ولا شك أن الأدب العربي قد استفاد من الأمثال القرآنية فقد أمدته بتراكيب لفظية بديعة.
ولازالت البحوث والدراسات تستمد من أمثال القرآن الكريم والسنة النبوية المقومات والأصول، وتكشف عن جديد يأتي بجديد.



صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم*

الشيخ/ عبدالله جبرين - السعودية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه نبذة في صفة صوم النبي -صلى الله عليه وسلم- وما فيها من واجبات وآداب وأدعية وفي حكم الصيام وأقسام الناس فيه، والمفطرات، وفوائد أخرى على وجه الإيجاز، ونسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين لتطبيق سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة، والله الموفق



تعريف الصيام:

هـــو التعبد لله تعالى بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

صيام رمضان:

أحد أركان الإسلام العظيمة، لقول النبي- صلى الله عليه وســـلم- بني الإســـلام على خمس: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام» (متفق عليه).

ولقول الحق ســـبحانه(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم..)

الناس في الصيام:

الصوم واجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر مقيم.

الكافر لا يصوم، ولا يجب عليه قضاء الصوم إذا أسلم.

الصغير الـــذي لم يبلغ لا يجب عليـــه الصوم، لكن يؤمر به ليعتاده.

المريـــض مرضاً طارئـــاً يُنتظر بُرْؤه يفطر إن شـــق عليه الصوم ويقضي بعد بُرئه.

المجنـــون لا يجب عليه الصـــوم ولا الإطعام عنه وإن كان كبيـــراً، ومثله المعتوه الذي لا تمييـــز له، والكبير المخرف الذي لا تمييز له.

العاجز عن الصوم لسبب دائم كالكبير والمريض لا يرجى برؤه- يطعم عن كل يوم مسكيناً.

الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصوم من أجل الحمل أو الإرضـــاع، أو خافتا على ولديهما، تفطران وتقضيان الصوم إذا سهل عليهما وزال الخوف.

الحائض والنفســـاء لا تصومان حـــال الحيض والنفاس، وتقضيان ما فاتهما.

المضطـــر للفطر لإنقاذ معصـــوم من غرق أو حريق يفطر لينقذه ويقضي.

المســـافر إن شاء صام وإن شاء أفطر وقضى ما أفطره، سواء كان سفره طارئاً كسفر العمرة أم دائما كأصحاب ســـيارات الأجرة فيفطرون إن شـــاءوا ماداموا في غير بلدهم.

أحكام الصيام:

النيـــة: وجوب تبييت النية في صـــوم الفريضة قبل طلوع الفجر، لقـــول النبي – صلى الله عليه وســـلم-: «من لم يُجْمِـــع الصيام قبل الفجر فلا صيـــام له» (صحيح أبي داود).

وقال – صلى الله عليه وســـلم-: «مـــن لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له» (صحيح النسائي). والنية محلها القلـــب، والتلفـــظ بها لم يرد عن النبـــي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم.

وقت الصوم:

قال تعالى: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض مـــن الخيط الأســـود من الفجـــــر} (البقـــرة آية ١٨٧)

والفجـــر فجران:

الفجـــر الكاذب وهـــو لا يُحِل صلاة الصبـــح، ولا يُحرم الطعام على الصائم، وهو البياض المســـتطيل الســـاطع المصعَّد كذنب السرحان.

الفجـــر الصادق: وهو الذي يحـــرم الطعام على الصائم، ويحل صلاة الفجر، وهو الأحمر المستطيل المعترض على رؤوس الشعاب والجبال.

فـــإذا أقبل الليل من جهة الشـــرق وأدبر من جهة الغرب وغربت الشـــمس فليفطر. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا

أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» (متفق عليه). وهذا أمر يتحقق بعد غروب قرص الشمس مباشرة وإن كان ضوؤها ظاهراً. السحور:

قال- صلى الله عليه وسلم-: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» (رواه مسلم) وقال -صلى الله عليه وسلم-: «البركة في ثلاثة: الجماعة، والثريد، والسحور» (صحيح رواه الطبراني في الكبير)، وكون السحور بركة ظاهرة لا ينبغي تركه، لأنه اتباع للسنة، ويقوي على الصيام. وهو الغذاء المبارك كما سماه الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «هلم إلى الغذاء المبارك» (صحيح أبي داود)، وقال صلى الله عليه وسلم: «السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» (حسن رواه الإمام أحمد). وقال -صلى الله عليه وسلم:- «نعم سحور المؤمن التمور» (صحيح أبي داود). وكان من هديه تأخير السحور إلى قبيل الفجر.

ما يجب على الصائم تركه:

قول الزور: قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله عز وجل حاجة أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

اللغو والرفث: قال: صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشراب، وإنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابَّك أحد أو جَهِل عليك فقل: إني صائم» (صحيح ابن خزيمة).

ما يباح للصائم:

الصائم يصبح جنباً: عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم: «كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم» (متفق عليه).

السواك للصائم: قال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء» (متفق عليه). فلم يخص الرسول صلى الله عليه وسلم الصائم من غيره، ففي هذا دلالة على أن السواك للصائم ولغيره عند كل وضوء وكل صلاة عام، وفي كل الأوقات قبل الزوال أو بعده.

المضمضة والاستنشاق: كان صلى الله عليه وسلم يتمضمض ويستنشق وهو صائم، لكنه منع الصائم من المبالغة فيهما، قال صلى الله عليه وسلم: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً» (صحيح أبي داود).

المباشرة والقبلة للصائم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه» (متفق عليه). ويكره ذلك للشباب دون الشيخ، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الشيخ يملك نفسه» (صحيح رواه أحمد).

تحليل الدم وضرب الإبر التي لا يقصد بها التغذية: فإنها ليست من المفطرات، لأنها ليست مغذية ولا تصل إلى الجوف.

قلع السن: لا يفطر الصائم.

ذوق الطعام: وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق، وكذلك الأمر بمعجون الأسنان. لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه: «لا بأس أن يذوق الخل أو الشيء ما لم يدخل حلقه وهو صائم» (رواه البخاري).

الكحل والقطرة ونحوهما مما يدخل العين: هذه الأمور لا تفطر سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده، وقال الإمام البخاري في صحيحه: «ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأساً».

الإفطار:

تعجيل الفطر من سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- وفيه مخالفة اليهود والنصارى، فإنهم يؤخرون، وتأخيرهم له أمد، وهو ظهور النجم. قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» (متفق عليه). وقال- صلى الله عليه وسلم-: «لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم» (صحيح ابن حبان).

الفطر قبل صلاة المغرب: عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يفطر قبل أن يصلي» (حسن رواه أبو داود).

على ماذا يفطر؟ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفطر على رطبات قبل أن يصلـي، فإن لم يكـن رطبات فتمـرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء» (صحيح أبي داود).

مـاذا يقـول عنـد الإفطـار؟ قال- صلـى الله عليه وسـلم-: «للصائم عند فطره دعـوة لا ترد» (صحيح ابن ماجه). وكان يدعو- صلى الله عليه وسـلم- عند إفطاره: «ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» (صحيح أبي داود).

مفسدات الصوم:

الأكل والشـرب متعمـداً: سواء كان نافعاً أم ضاراً كالدخان. أما إذا فعل ذلك ناسياً أو مخطئاً أو مكرهاً فلا شيء عليه إن شاء الله. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» (متفق عليه).

تعمـد القـيء: وهو إخراج مـا في المعدة عن طريق الفم لقوله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض» (صحيح أبي داود) فإن قاء من غير قصد لم يفطر.

الجمـاع: إذا وقع في نهـار رمضان من صائم يجب عليه الصوم فعليه مع القضاء كفارة مغلظة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شـهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

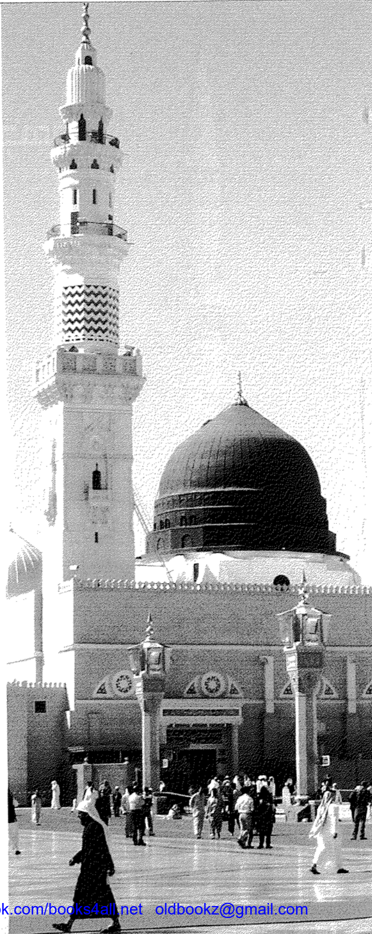
الحقـن الغذائية: وهي إيصال بعض المواد الغذائية إلى الأمعاء أو إلـى الدم بقصد تغذية المريض، فهذا النوع يفطر الصائم، لأنه إدخال إلى الجوف.

الحيـض والنفـاس: خروج دم من المرأة في جزء من النهار سواء وجد في أوله أو آخره أفطرت وقضت.

إنزال المني: يقظة باسـتمناء أو مباشرة أو تقبيل أو ضم أو نحو ذلك، وأما الإنزال بالاحتلام فلا يفطر لأنه بغير اختيار الصائم.

حقـن الـدم: مثل أن يحصل للصائم نزيف فيحقن به دمه تعويضاً عما نزف منه.

* من موقع الشيخ عبدالله جبرين على الشبكة العنكبوتية.



فتوحات إسلامية مجهولة في رمضان

د. خالد عزب - الإسكندرية -
المستشار الإعلامي - مكتبة الإسكندرية

تاريخ الإسلام تاريخ حافل بالفتوحات المجيدة على مدى العصور والدهور وعلى الرغم من محاولات الأعداء تقديم صورة مشوهة عن الفتوحات الاسلامية بإلصاق صورة الإرهاب بها لإبعاد الناس عن الإسلام من خلالها فإن هذه الفتوحات تظل علامة مضيئة في تاريخنا نحن المسلمين لما كان لها من أثر فعال في نشر مفاهيم الحق والخير والعدل والسلام في أرجاء الأرض وصدق من قال: (ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب). مقالنا هذا يسلط الضوء على بعض الفتوحات التي حدثت في شهر رمضان، ويجهلها كثير من المسلمين.

وصية السلطان الفاتح:

في وصية السلطان محمد الفاتح أنعم به من فاتح، لولده بايزيد، كما تروي المصادر العثمانية، تطالعنا هذه العبارات: «يا بني، إن نشر الإسلام في الأرض هو واجب الملوك على الأرض، فاعمل على نشر دين الله حيثما استطعت.

يا بني، حذار أن تغرك كثرة الأموال والجنود، وإياك أن تخالف أمر الشريعة في أي شأن، واحرص على الدين فإنه سر انتصارنا»(١)

الهرسك، وكان يسمى سانت ساباس، وكان البابا وقتها هوبي الثاني.

(وقد بدأ في طلب المساعدات من كل من ماثياس ملك المجر، ومن جمهورية البندقية، وحتى من اسكندر ارناؤوط، خاصة وأن رسل ملك البوسنة قد ذهبوا إلى روما في ديسمبر عام ١٤٦١، الموافق ربيع الأول ٨٦٦هـ، وطلبوا من مقام البابوية قوات مساعدة لهم ضد العثمانيين).

- وبعد مدة من هذا، وفي سنة ٨٦٦هـ اتفق نفس الملك



هكذا رسم محمد الفاتح لابنه المنهج الذي يجب أن يسير عليه، ومحمد الفاتح السلطان العثماني المحنك، فاتح القسطنطينية، له العديد من الفتوحات الإسلامية الأخرى، التي رسخت أقدام الدولة العثمانية والإسلام في أوروبا، ولعل أكثر هذه الفتوحات أهمية فتحه للبوسنة والهرسك الذي أتمه في شهر رمضان سنة ٨٦٧هـ/ مايو ١٤٦٣م

مقدمات الفتح:

كان فتح بلاد الصرب والمورة موقعاً لاضطراب عظيم وقلق كبير للنصرانية الأوروبية، ودافعاً للبابا لبث الدعاية المضادة للعثمانيين لما يسببه اتمام هذا الفتح من ترسيخ للوجود الإسلامي بأوروبا، وكان أكثر من استجاب لنداء البابوية في ذلك الوقت، ملك البوسنة ثم تلاه دوق

مع اسكندر، في كل هذه العلاقات السرية، كانت تتوسط جمهورية دوبرفنيك راجوازا الصغيرة التي كانت تدفع الخراج للدولة العثمانية، وكان للسلطان محمد الفاتح استخبارات على أعلى درجات التنظيم، وجواسيسه ينتشرون في كل مكان، وكان السلطان محمد الفاتح من خلال هذا الجهاز يتابع بدقة بالغة استعدادات العدو، وقرر السلطان الفاتح تسوية مسألة هذه الدولة الصغيرة بشكل حاسم، وذلك لكي يتمكن من إتمام فتوحاته في البلقان، لكن حرب الأفلاق الأخيرة التي حدثت في أوائل عام ٨٦٦هـ، ١٤٦١م. منعت التطبيق الفوري لقرار الفاتح، وذلك لأن الفاتح كان قد أرسل قبل تلك الحرب إلى ملك البوسنة (ستيفان توما شافيتش) رسلا يطلبون منه الخراج الذي تأخر عنده. لكن ملك البوسنة رفض دفع الخراج ووصل الأمر به أن ألقى برسل الفاتح في

غياهب السجون وبالتالي أخذت العلاقات بين الدولة العثمانية والبوسنة شكل العداء الصريح، والواقع أن ملك البوسنة وهو صهر ملك الصرب كان له ادعاؤه في قضية وراثة العرش الصربي، وادعى فيها عدة حقوق واتخذ في المسألة الصربية جبهة ضد العثمانيين (٢).

الفتح:

استعد السلطان محمد الفاتح لحملته على البوسنة بعد فتحه لجزيرة (ميديللي) -وبعد أن قضى على عائلة الأفلاق- وكانت قوات السلطان لفتح البوسنة عبارة عن جيش مكون من ١٥٠ ألف شخص، وسار إلى مملكة البوسنة في شعبان ورمضان ٨٦٧هـ.وفتح قلعة ياي تشا،وكانت هذه عاصمة المملكة البوسنية، ثم قدمت المدن الهامة الأخرى مفاتيحها للسلطان الفاتح، وبعضها الآخر قاوم مقاومة بسيطة لا تذكر ولكن الجميع سلم للعثمانيين، ولجأ آخر ملوك البوسنة إلى قلعة (كلوتز) وسلمت أيضاً هذه القلعة، وأعدم فيها ملك البوسنة بناء على فتوى من الشيخ علي بسطامي المعروف بلقب (مصنفك). وكان إعلام ملك البوسنة يستند إلى أسباب عدة أولاً: أنه حبس رسل الفاتح الذين أرسلهم إليه ليطلبوا منه الخراج.

ثانياً: دوره في تحريض القوى الصليبية ضد العثمانيين.

ثالثاً: وقوفه ضد العثمانيين أثناء غزوهم لبلاد الصرب، وبالعموم يستند قرار الإعدام إلى عدة أسباب حقوقية وسياسية والمعروف أن ملك البوسنة كان من أشد المعادين للعثمانيين في أوروبا. وفي حملة الفاتح هذه تم للعثمانيين فتح كل بلاد البوسنة، واستولوا على أكثر من ثلاثمائة قلعة وموقعا حربيا، وقد اهتدى جل أهلها إلى الإسلام.

فتح بلغراد:

ومن الفتوحات الإسلامية المجهولة التي تمت في شهر رمضان، فتح مدينة بلغراد التي تحولت فيما بعد الفتح إلى مدينة إسلامية، وكان ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) فيذكر الرحالة أوليا جلبي، إنه -أي السلطان- اهتم ببلغراد منذ أن كان وليا للعهد وعبر منذ ذلك الحين عن أمنيته قائلاً: (إذا منحني الله الحكم فسأوجه جيشي إلى بلغراد). وكان ذلك، بعد سنة فقط من توليه الحكم، قاد السلطان سليمان جيشا ضخما لفتح بلغراد التي وصلها في منتصف يوليو ١٥٢١م، وقد بدأ بقصف قلعة بلغراد في أواخر يوليو، واستمر طيلة شهر أغسطس.

وخلال القصف قام جيشه بهجومه الأول في ٢-٣ أغسطس ثم بهجومه الثاني في ٨ أغسطس، واستمر من الصباح وحتى المساء وانتهى بفتح القسم المنخفض من المدينة المحصنة، بعد أن لجأ سكان هذا القسم إلى القسم المرتفع من القلعة، حيث قبلتهم القيادة العسكرية بعد ممانعة لقلة المؤونة. وقد استمر العثمانيون في حصارهم للقلعة، الذي صادف طيلة شهر رمضان، إلى أن استسلمت في ٢٦ رمضان ٩٢٧هـ، الموافق ١٥٢١/٨/٢٩م.

يوميات فتح بلغراد:

وحول وقائع ذلك اليوم يذكر مؤلف (يوميات حملة السلطان سليمان إلى بلغراد) ما يلي: (بعون الله تعالى تم اليوم فتح قلعة بلغراد. وارتفع صوت المؤذن من القلعة). وقد صادف اليوم التالي الجمعة الموافق ٢٧ رمضان، وهكذا التقت هاتان المناسبتان، يوم الجمعة وكونه السابع والعشرين من رمضان، واختار السلطان هذا اليوم للدخول إلى بلغراد وسط احتفال كبير.

وعلى عادة العثمانيين في تحويل إحدى الكنائس إلى جامع عقب فتحهم لكل مدينة في البلقان لتخليد انتصارهم قام العثمانيون بتحويل الكنيسة الواقعة في القسم المنخفض من المدينة إلى جامع حيث أقيمت فيه فوراً صلاة الجمعة من ذلك اليوم.

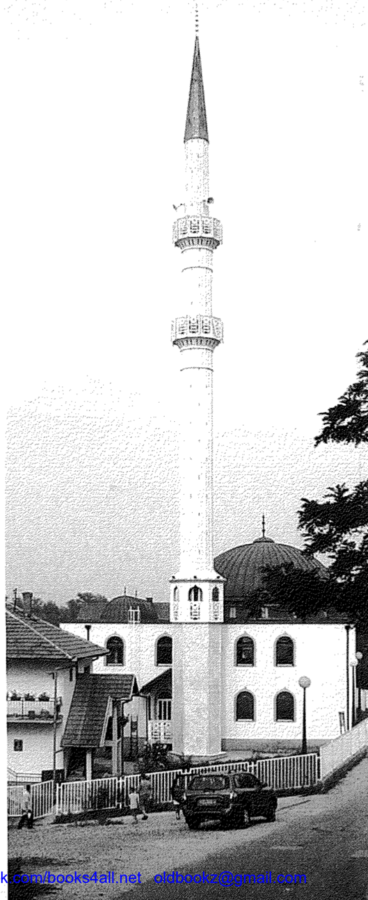
وفيما يتعلق بسكان المدينة وحاميتها، التي قاومت بشدة الجيش العثماني خلال هذا الحصار الطويل تجدر الإشارة هنا إلى أن السلطان سليمان تعامل مع هؤلاء بتسامح نادر.

فقد عفا السلطان سليمان عن كل السكان والعسكريين المجريين، بعد أن قاوموه أكثر من شهر، واستجاب لرغبتهم بالسماح لهم بالذهاب إلى المجر. واستثنى من هذا قائدين عسكريين أمر بإعدامهما. وقد ذهب السلطان في تسامحه إلى حد سماحه للسكان والعسكريين المجريين.بحمل ثرواتهم من المجر. ولكن من ناحية أخرى، تعامل السلطان

سليمان بشكل مختلف مع الصربيين الذين وجدوا في المدينة، فقد أمر بترحيل هؤلاء إلى اسـتانبول للإقامة هناك، مع السماح لهم بأخذ ثرواتهم وكنوزهم الدينية، وقـد غادر هـؤلاء بلغراد فـي اليوم التالـي، وحملوا معهـم ثرواتهم وكنوزهـم الدينية، كأيقونات كنيسـة مريم العذراء، وتم توطينهم قرب اسـتانبول، في الحي الجنوبي الغربي من المدينة.

(وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإدارة العثمانية سمحت لهم ببناء كنيسـة خاصة بهم في هذا الحي، كنيسـة مريم العذراء وذلك تعويضاً عن كنيسـتهم في بلغراد، ووضعوا في هذه الكنيسة الأيقونات التي أحضروها من بلغراد).

وكان فتـح بلغـراد من أهـم الأحداث التي شـهدتها أوروبا في القرن السـادس عشـر، فقد تحول (حصن المسـيحية)، كما كانت تسـمى بلغراد في ذلك الحين، إلـى دار للجهاد و(بوابة ضد الحـروب الصليبية) بعد أن استقرت في أيدي العثمانيين، فمع فتح بلغراد وضع العثمانيون يدهم على مفتاح المجر ووسط أوروبا (٤).



الهوامش:

(١) زيـاد أبـو غنيمة، جوانـب مضيئة فـي تاريخ العثمانيـين الأتـراك، ص٢٣، دار الفرقـان، عمان ١٩٨٥م.

(٢) د. محمد حرب، البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، ص٢٠، المركز المصري للدراسات العثمانية، ١٩٩٣م.

(٣) إسماعيل حامد دانشمند، تقويم التاريخ العثماني، جـ١، ص٣٠٠، ٣٠١ استانبول ١٩٧١م،

د. محمد حرب، مرجع سابق، ص٢١، ٢٢.

(٤) د. محمـد موفاكـو، تاريخ بلغراد الإسـلامية، ص١٧، ١٨.

دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٧م.

محمـد حرب، العثمانيـون في التاريـخ والحضارة، ص٩١.

دار القلم، دمشق ١٩٨٩م.

يا سكن الجوارح

شعر: يس الفيل - مصر

لك في القلوب مهابة وجلال ... ما لاح في الآفاق منك هلال

ولك المدى نغم يذوب صبابة ... وبك العواطف -رقة- تختال

رمضان.. ما أنت الصيام سماحة ... كلا.. ولا أنت الرضا- ينثال

أبداً.. ولا الحرمان يقتلنا ظما ... والماء تحت شفاهنا سيال

لكنما أنت السمو لأنفس ... ظمئت.. فخف بها إليك رجال

للصوم فيك على المكاره لذة ... هي في رحابك للمحب كمال

إن ضاقت الدنيا، وأجدبت الربا ... وازورَّ عن يدنا الكريمة حال

وتضورت بين الرياض جموعنا ... واستمرأت قمم المدى أهوال

قلنا نصوم.. وللصيام حلاوة ... ولنحن في سبق الصيام مثال

والجوع في الزمن الرديء كرامة ... إن كان في شبع الربا إذلال

رمضان.. يا سكن الجوارح، ياسنا ... يحدو خطاه على الرحاب جلال

هذي مواكبنا تسير، وهذه ... أيامنا جنحت، وطال جدال

فأنر دروب الحب، يرجع من كبوا ... فيها، وعن درب الهداية مالوا

مازلت يا رمضان فوق ربوعنا ... أملا.. تشد إلى سناه رحال

وعلى المدى ستظل.. تلك حقيقة ... أو لم تزل، بك تضرب الأمثال؟

هذي جوارحنا.. وذاك هيامنا ... منذ استوى لك في السماء هلال

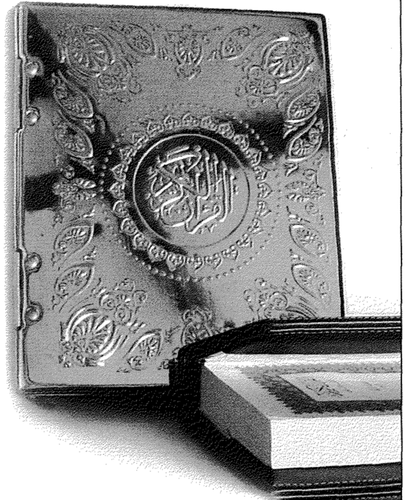
نعنوا وجوها للإله.. وتستحى ... في صومنا الأفعال والأقوال

حتى إذا أزف الوداع.. وأوشكت ... نذر الفراق على الربا تنثال

عشناك شوقاً لا يزول، وفرحة ... لا تنتهي.. وإن انتهت آجال

رمضان.. ما أنت الصيام.. وإنما ... أنت السمو به يتم كمال..

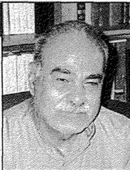
الرد على كتاب (المسيح في الإسلام)



مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور ميشال الحايك (١٩٢٨-٢٠٠٥م).. وهو كاثوليكي ماروني لبناني.. درس بالجامعة اليسوعية والجامعة الكاثوليكية.. وحصل على الدكتوراه.. في أصول الدين من جامعة السوربون- بباريس.. وعمل أستاذا للدراسات الإسلامية بالجامعة الكاثوليكية -ببيروت.

ولقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٦٠م، بعنوان: (المسيح إمام المسلمين).. ثم صدرت طبعة ثانية سنة ١٩٦١م، بعنوان: (المسيح في الإسلام).. وهذه الطبعة الثالثة- التي بين أيدينا-قد صدرت سنة ٢٠٠٤م.. وهي -كما يقول ناشرها: دار النهار للنشر-ببيروت- مطابقة للطبعة الثانية..

أمّا وقد ساق الكتاب الأباطيل والأكاذيب عن القرآن الكريم، هنا وجب الرد..



أ.د. محمد عمارة

مصر

وفي نهاية هذا الكتـاب-ص٢٨٤- عبارة: «طبع بإذن الرؤسـاء».. الأمر الذي يعنـي- بعد عزلة المؤلـف- تمثيل هـذا الكتاب للمؤسسـة الدينية المارونيـة.. وليـس فقـط لمؤلفه، الـذي هو أحد المتخصصين في اللاهوت الكاثوليكي..

وإذا كانت صفحات هذا الكتاب قد اقتربت من ٣٠٠ صفحة- من الحجم الكبير- وطبعت كلماته «بالبنط» الصغير.. فإن كل فصولـه هي عبارة عن نصوص انتقاها «المؤلـف» من الكتب الإسـلامية، وبالذات مـن مؤلفات التصوف الباطني، المليئة بالأسـاطير والشـطحات.. ووزعها على موضوعات فصول هذا الكتـاب.. وليس في هذا الكتاب ما هو من إنشـاء «المؤلف» سوى ٢٤ صفحة فقط لا غير!..

وتنقسـم فصول هذا الكتاب- بعد التمهيد- إلى تسعة فصول:

أولها: عن (المسيح في القرآن)..

والفصل الثاني: (عـن زكريا ويحيى المعمدان).. وهو نقول لقصص وحكايات وعظية من المصادر الصوفيـة الخاصة بمجازات ترقيق القلوب، أكثر من حقائـق التاريخ..ونسـبة القصص الخرافي فيها أعلى من المقبول والمعقول..

والفصل الثالث: عن (مـريم البتول).. وهو نقول من كتب التصوف الباطني..

والفصل الرابع: عن (معجزات عيسى في طفولته) وهو -الآخر- نقول عن مؤلفات التصوف الباطني، التي يعترف «المؤلف» بأنها -في الأغلب- خرافات لا صحة لها بمقاييس التاريخ..

والفصل الخامـس: عن (الحواريون).. وهو نقول عن كتب التاريخ الإسـلامي.. مـع مقارنة بينها وبين ما جاء في الأناجيل النصرانية..

والفصل السـادس: عن (مواعظ المسيح).. وهو -كذلك- نقول عن المصادر الصوفية الباطنية..

والفصل السـابع: عن (إمام السـائحين).. وهو نقول تغلب عليها المبالغات الأسطورية التي تتميز بها قصص الوعظ وترقيق القلوب..

والفصـل الثامن: عن (رفع المسـيح).. وفيه يرد حديـث «المؤلف» عن صلب المسـيح.. والنقل في هذا الفصل أغلبه عن «اليعقوبي»- نوح اليعقوبي- (٩٩٧هـ ١٥٨٩م)- وهو بطريرك لبناني.. وكأنه تلخيص لما جاء في الأناجيل عن صلب المسيح..

الفصل التاسـع: عـن (نزول المسـيح في آخر الزمان).. وهو قصص أسطوري، جمعه «المؤلف» من كتب التراث الإسـلامي، حول ظهور المسيح الدجال.. ونزول المسـيح عيسى ابن مريم- عليه السـلام-.. وحـول يأجوج ومأجـوج- في آخر الزمان-..

النقد العلمي لأخطاء هذا الكتاب

وبادئ ذي بـدء.. فلو أن «مؤلف» هذا الكتاب قد وقف عند حـدود عرض النقول التي يراها مؤيدة

الكتاب نقولات مختارة ومتعمدة لنصوص مختارة من أساطير وشطحات المتصوفة..

لعقيدته المسيحية، لما كان هناك أدنى مبرر للتعرض لهذا الكتاب.. فنحن مأمورون - بحكم عقيدتنا الإسلامية في حرية الاعتقاد- بأن نترك الناس وما يدينون، بل ومأمورون- في المجتمع والدولة- أن نمكن الآخرين من إقامة عقائدهم التي تخالف وتنكر وتجحد وتكفر بالإسلام، الذي به ندين.

لكن الأمر الذي استوجب تقديم الملاحظات النقدية لبعض ما جاء في هذا الكتاب هو تجاوز «المؤلف» لحدود عرض عقيدته المسيحية، والدفاع عنها، إلى محاولته الافتراء على القرآن الكريم والإسلام وبعض علماء المسلمين كي يشهدوا لعقائد المسيحية التي تخالف وتناقض العقيدة الإسلامية، ومن ثم ينكرها الإسلام والفكر الإسلامي بالإجماع..

وفي مقدمة هذه الافتراءات- التي نقدم عليها أولى هذه الملاحظات النقدية: ما جاء في هذا الكتاب- ص٦، ٧، ٨، ٢٥، ٢٦- عن:

الموقف القرآني من ألوهية المسيح

ففي هذه الصفحات -٦، ٧، ٨، ٢٥، ٢٦- من «التمهيد» و«الفصل الأول»- يصور «المؤلف» الموقف القرآني من عقائد النصارى في ألوهية المسيح.. وبنوته لله.. وقتله وصلبه، باعتباره موقفاً طارئاً على الاعتقاد الإسلامي والنص القرآني، اقتضته وسببته أحداث تاريخية حدثت بالمدينة المنورة- بعد الهجرة من مكة المكرمة- وفي مقدمتها ما أسماه «المؤلف» فشل النبي والإسلام في التعامل مع القبائل المسيحية في غزوتي «مؤته» سنة ٨هـ و٦٢٩م و«تبوك» سنة ٩هـ سنة ٦٣٠م.. الأمر الذي يصور الرفض القرآني والإسلامي لعقائد النصارى هذه باعتباره موقفا بشرياً، سببته أحداث تاريخية، وليس عقيدة ثابتة

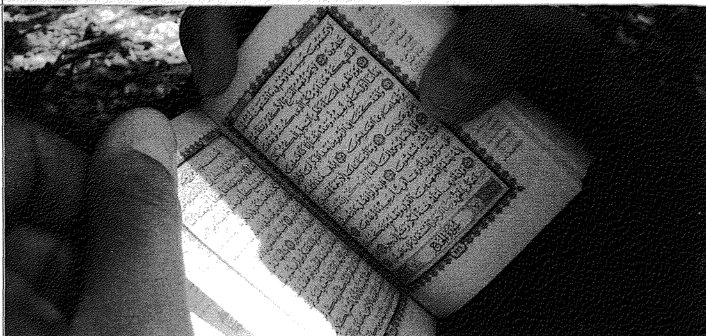
هذا الكتاب جاء ليمثل رأي طائفة مسيحية..

ووحيا إلهيا نابعا من أخص خصائص الإسلام في عقيدة التوحيد لله سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن الولد.. والحلول.. والاتحاد.. والتجسد.. والتشبيه.

وفي هذه الدعوى الخطيرة يقول «مؤلف» هذا الكتاب:

«لقد لاقى محمد لدى المسيحيين في مكة والمدينة، في بدء هجرته، إخلاصاً في الولاء وقياما بالعهد، فأحبهم بدوره حبا لا غش فيه، وحفظ القرآن آيات كانت صدى تلك المودة الأولى {ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون}- المائدة: ٨٢-

ولكن هذا التلاقي لم ينزل صوب الأعماق، بل بات سطحيا، إذ أن المسيحيين، قبيل الهجرة، في الجزيرة العربية، كانوا جماعة مبعثرة الشمل من أناس قليلي العدد، خاملي النسب، لا تجمع بينهم الروابط الدينية ولا يوحد أمرهم أولئك القسيسون والرهبان الذين ذكرهم القرآن، بل كانوا بالأحرى قوماً فرقت بينهم النزعات الدينية والعرقية والتجارية... وهؤلاء لم يعرفوا من دينهم المسيحي سوى جهلهم به.. فكرم البعض منهم مريم وقربوا لها التقادم والقرابين كأنها إله «من دون الله» وكان لمريم بين أصنام الكعبة تمثال يصورها وابنها عيسى «قاعداً مزوقا» في



لو وقف هذا الكتاب في حدود عرض رأي المؤلف ومعتقده لما تتبعناه

حجرها، كما ذكر الكلبي في (كتاب الأصنام).

وما نكران ألوهية المسيح في القرآن سوى غضبة على أولئك المسيحيين الذين تتبرأ منهم الحقيقة المسيحية.. فلم يكن بوسع النبي أن يلتقي بالعقيدة المسيحية على حقيقتها.. فما أن هاجر النبي إلى المدينة حتى اصطدم باليهود أولا فأخضعهم قبيلة بعد أخرى معملا السيف في رقاب ذكورهم مستبيحا البعض من نسائهم للمهاجرين والأنصار أو جاليا العاجزين والعاجزات منهم خارج الجزيرة. ثم كان له اصطدام أخير مع القبائل المسيحية اليعقوبية التي كانت تحمي النفوذ في الشمال، على طريق القافلات الداخلة أرض بيزنطة. فكانت غزوة تبوك ومؤته اللتان أسفرتا عن فشل المسلمين. فجاءت آيات في القرآن معاصرة لهذه الأحداث التاريخية المعروفة، وهي آيات مُرّه على المسيحيين. وكانت بعد ذلك المباهلة، أي دعوة الله على الكافرين، بين النبي ووفد مدينة نجران. ولقد أوسع محمد حينذاك مكانا للنجرانيين فصلوا صلاة الفصح في أول جامع إسلامي، في «المدينة المنورة» سنة ٦٣١م...

وغايتنا أن نظهر فكرة القرآن في تدريجها عندما تعرض العقيدة المسيحية. فهي في الآيات الأولى المكية كثيرة الحنان على النصارى، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسيسيهم. ولكنها في آخر عهد النبي، في المدينة، تصبح شديدة الوطأة للنصارى ويبدو أنها ترفض رفضاً قاطعاً ألوهية المسيح. وإن وراء هذا التحول أحداثاً تاريخية معروفة أهمها فشل النبي في غزوته ضد نصارى تبوك ومؤته ومباهلته مع وفد نجران..»

(للدراسة صلة)

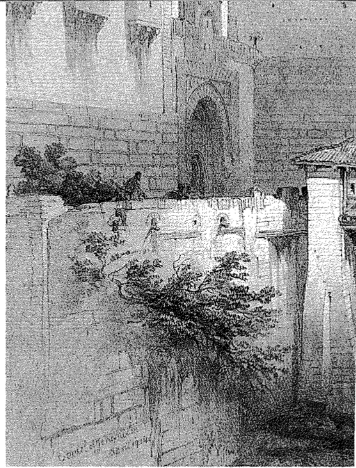
قرر مجمع البحوث الإسلامية في اجتماعه بتاريخ ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م تبنى هذا الرد.. ونشره إحقاقاً للحق.. وإزهاقاً للباطل.



أبو دلامة نديم الخلفاء.. في الأدب العربي

إياد فرعون - سوريا

في أواخر عهد الدولة الأموية أصاب المجتمع ازدهاراً كبيراً، وطفت على السطح مظاهر الثراء والترف، فشيدت القصور، ووسعت الدور، وكثر المال في أيدي البعض، وقد أدى هذا الترف والبذخ إضافة إلى اختلاط العرب بالفرس والروم وغيرهم من الشعوب إلى تغير عادات العرب وانماط حياتهم فشغف الناس بالطرب وسماع النوادر، وتفننوا في ابتكار وسائل اللهو وضروب الترفيه كالصيد، والرياضة، والشطرنج، والصوالجة، وغير ذلك أما الخلفاء وكبار رجال الدولة فقد كان لهم حظ أوفر في التسلية والترفيه إذ قربوا إليهم المغنين والمطربين، واقاموا في قصورهم مجالس للطرب والغناء، واللهو والتسلية، ومثل هذه المجالس تحتاج بلا شك إلى المضحكين وأهل الهزل ممن يروون النوادر والملح، ويضحكون أصحاب المجالس، فكان أن ظهرت طبقة الندماء التي اعتاد أفرادها أن يطرقوا أبواب الخلفاء والأمراء طمعاً في العطايا والمنح، فيجدون عندهم الحظوة والترحيب والمكان اللائق في صدر المجالس.



طبقة الندماء وأصحاب النوادر إفراز طبيعي للثراء والترف.

ومع أفول العصر الأموي وبدء العهد العباسي ترسخ وجود الندماء في قصور الخلفاء، وأصبحت المنادمة صنعة لها أصولها وأسرارها، يحترفها البعض بقصد التكسب وجمع المال.

كانت صنعة المنادمة تتطلب من النديم مجموعة من الصفات والمواهب تجعله بحق شخصاً فريداً ومتميزاً، فالنديم- كما تصوره كتب الأدب- شخص فكه مرح، متوقد الذكاء، قوي الحافظة، حاضر النكتة لطيف المعشر، سريع البديهة، لاذع الجواب، ولا بأس أحياناً بشيء من المجون والتهتك، وكان ثمن هذه المواهب دنانير وفيرة تملأ الجيوب وتكفي صاحبها عناء العمل.

في هذا الجو المترف المشبع بضروب التسلية واللهو، كان لابد أن نجد أثراً للمنادمة في الأدب مرآة المجتمع الصادقة التي تعكس حياة الناس وأنماط معيشتهم، وهذا ما كان بالفعل، فقد اهتم الأدباء والمصنفون بتتبع نوادر الندماء وتقصي أخبارهم مع الخلفاء، وكانت هذه الأخبار والنوادر مادةً طريفةً لا يخلو منها كتاب من كتب الأدب خصوصاً تلك التي تصور أنماط الحياة الاجتماعية كالأغاني ونهاية الأدب.

وقائمة أعلام الندماء طويلة، وتضم أسماءً من قبيل أبي الحسين الخليع، وأبي العبر، وأبي دلامة، والجمّاز، وأبي العيناء، وأبي الحارث جُمّني وغيرهم والحق أن من يستعرض هذه القائمة لابد أن يستوقفه أبو دلامة وذلك لعدة أسباب: فهو من جهة واحدة من أوائل الندماء ورواد صنعه المنادمة في المجتمع العباسي، وهو من جهة ثانية نموذج مثالي للنديم الظريف الذي يستجمع في شخصه أهم الخلال والمواهب المطلوبة من النديم، وهو من جهة ثالثة شاعر مجيد زاحم الشعراء في جميع فنونهم، وانفرد في وصف الشراب والرياض، وغير ذلك بما لا يجرون معه فيه، كما ذكر الخطيب البغدادي (١) لكنه كان من أكثر الشعراء ظرفاً، وأبرعهم نكتة وأحلاهم فكاهة، وأسرعهم بديهة، وله مع مؤسس الدولة العباسية أخبار ونوادر كلها طريف مستملح، ولكن قبل أن نمضي في عبث أبي دلامة وهزله مع خلفاء بني العباس لنقترب أكثر من أبي دلامة ولنتعرف عليه إنساناً وشاعراً.

من هو أبو دلامة؟:

لا تُعرف على وجه الدقة سنة ولادة زند بن الجون الذي يكنى بأبي دلامة، فقد ولد نكرة، وكان عبداً أسود لرجل من بني أسد ثم أعتقه فيما بعد.

عاش شبابه في أزقة الكوفة وحواريها وقد ألف البطالة والخمول، إذ لم تكن بيده صنعة أو حرفة يتقوت منها، لكنه كان يملك ما هو أهم من الصنعة والحرفة، يملك شاعرية وظرفاً لا يجاريه فيهما أحد، ولعله أدرك أهمية مواهبه تلك التي تؤهله لبلوغ أعلى المراتب، ولذلك وجدناه يطرق أبواب الأمويين عله يجد عندهم الحظوة والمكانة التي يطمح إليها، لكنه قوبل بالصد والجفاء.

لم يكن يعلم بأن قدره سيسوقه إلى قصور بني العباس الذين صعدوا على حطام الدولة الأموية قوة جديدةً فتية.

كان العباسيون تواقين إلى شيء من اللهو والمرح ينسيهم المكائد والدسائس التي حاكوها، والدماء التي أراقوها في سبيل الحكم، ووجدوا ضالتهم في أبي دلامة، ذلك الشاعر الفكه الظريف، فلمع نجمه فجأة كنديم في بلاط العباسيين أيام أبي العباس السفاح، ليبلغ أوج شهرته أيام أبي جعفر المنصور ثم المهدي اللذين كانا يقدمانه ويصلناه ويستطيبان مجالسته والاستماع إلى نوادره كما ذكر صاحب الأغاني(٢) وقد خلد الرواة والمصنفون اسم أبي دلامة علماً من أعلام الفكاهة وأحد مشاهير ظرفاء العرب، ويمكننا أن نقف على أخباره في أمهات الكتب كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه ونهاية الأرب للنويري، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وغيرها.

وعندما نقرأ نوادر أبي دلامة وأمثاله من الخلفاء والمُجّان يمكننا بالطبع أن نكتفي منها بالجانب الفكه الطريف، فنبتسم بسخرية، أو نضحك بطرب ولكن يمكننا أيضاً أن نذهب أبعد من ذلك، فنستشف منها خبيئة هذا الرجل ودقائق نفسيته وفلسفة حياته، بحيث تغدو تلك النوادر صورةً صادقة لذلك الخليع العابث الذي ألِف البطالة والخمول والتكسب بالاضحاك والهزل.

هذا هو ببساطة أبو دلامة، ولعلنا سنعرفه أكثر عندما نقرأ نوادره وأخباره.

أبو دلامة والخلفاء:

في ظل خلافة المنصور، ومن بعده المهدي علت مكانة أبي دلامة وخلصت منزلته، فأصبح النديم المفضل، والظريف المقرب الذي لا تطيب المجالس دونه، وكانت له مع هذين الخليفتين نوادر طريفة، ومواقف فكهة، فمن ذاك أن المهدي وعلي بن سليمان خرجا يوماً للصيد ومعهما أبو دلامة، فعَنَّ لهما ظبي، فرماه المهدي فأصابه، ورمى علي بن سليمان فأخطأ وأصاب كلباً، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة: قل في هذا. فقال:

قد رمى المهدي ظبياً
شكَّ بالسهم فؤاده

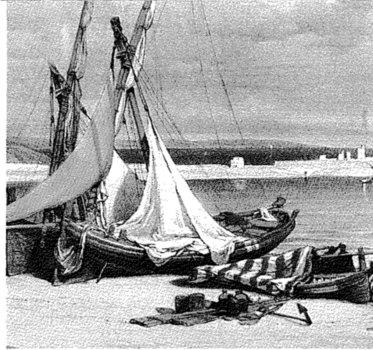


في العصر العباسي المنادمة أصبحت صنعة لكسب المال والجاه.

وعلي بن سليما
ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل
امرئ يأكل زاده

كان لأبي دلامة برذون (دابة من الفصيلة الخيلية) أعجف، محطم، هرم، فدخل يوماً على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف، فقال للمهدي: إني جلبت للخليفة مُهْراً ليس لأحد مثله، وأحببت أن أهديه لك. فإن أحببت أن تشرفني بقبوله فعلت. فأمر المهدي بادخال المهر، فخرج أبو دلامة، ثم أدخل بِرْذونه، فلما رآه المهدي قال لأبي دلامة: ويحك ألم تزعم أنه مهر؟ فقال أبو دلامة: أوليس وصيفك سلمة هذا تسميه وصيفاً وله ثمانون سنة؟ فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مهر. فجعل المهدي يضحك، وسلمة يشتم أبا دلامة.

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن علي، وعيسى بن موسى، والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام، وجماعة من أشراف بني هاشم فقال له



النديم: ذكي مرح، قويّ الحافظة، حاضر النكتة لاذع الجواب.

المهدي: أعطي الله عهداً لئن لم تهج واحداً ممن في هذا المجلس لأقطعن لسانك.

فنظر إليه القوم، وكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن علي رضاك. قال أبو دلامة: فعلمت أني قد وقعت، وأنها عزمة عزماته لابد منها، فلم أر أحداً أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألا أبلغ إليك أبا دلامة
فلست من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة كان قرداً
وخنزيراً إذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤماً
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا
فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق أحدُ منهم إلا أجازه.

وكان من لوازم هذه المكانة امتيازات كثيرة خصّ أبو دلامة بها نفسه نظير مرحه ومداعبته الخليفة،

ولعل النادرة التي سنسوقها الآن تكشف لنا بجلاء عن ذلك، إذ يروي صاحب الأغاني أن أبا جعفر المنصور كان قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم:

{فسيكفيكهُمُ الله وهو السميع العليم} [البقرة:١٣٧]

فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي، فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شرّ حال، وجهي في نصفي، وسيفي في إستي، وكتاب الله وراء ظهري وقد صبغت بالسواد ثيابي.

فضحك المنصور وأعفاه وحده من ذلك، وقال له: إياك أن يسمع هذا منك أحد. (٣)

التكسب بالظرف:

لقد عرف أبو دلامة كيف يستغل ظرفه ودعابته في التكسب واقتناص المال، فقد اعتاد التطفل على مجالس الخليفة، وملازمته في حله وترحاله، وهو مافتئ يتفنن ابتكار طرق السؤال، وأساليب طلب المال، معتمداً في ذلك على الفكاهة وحسن التصرف وسرعة الجواب، فمن ذاك أنه دخل يوماً على المنصور (وقيل المهدي) وأنشده قصيدةً في المدح، فسر منه وقال: سلني حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين هب لي كلباً. فغضب المنصور وقال له: أقول لك سلني حاجتك فتطلب مني كلباً؟ فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك؟ فقال المهدي: بل لك قال: فاني اسألك أن تهب لي كلب صيد. فأمر له بكلب صيد، فقال: يا أمير المؤمنين هبني خرجت إلى الصيد أ فأعدوا على رجلي؟ فأمر له بفرس. فقال: يا أمير المؤمنين من يخدم الفرس؟ فأمر له بغلام فقال: يا أمير المؤمنين هبني صدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية. فقال: هل يسكن هؤلاء في العراء؟ فأمر له بدار. فقال: يا أمير المؤمنين قد صيَّرت في عنقي جُملةً من العيال فمن أين لي قوتهم؟ قال: قد اقطعتك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً. فقال أبو دلامة: أما العامر فقد عرفته فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لاشيء فيه. فقال أبو دلامة: أما أنا فاقطع أمير المؤمنين مئة ألف جريب بالبادية ولكني اسأل

أمير المؤمنين جريباً واحداً عامراً فضحك المنصور وجعلها كلها عامراً.

وعندما قدم المهدي من الريّ دخل عليه أبو دلامة وأنشد قائلاً:

إني نذرتُ لئن رأيتك سالماً
بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتُصلّين على النبي محمد
ولتملأن دراهماً حجري

فقال المهدي: صلى الله عليه وسلم، أما الدراهم فلا. فقال له أبو دلامة: أنت أكرم من أن تُفرّق بينهما ثم تختار أسهلهما. فأمر بأن يملأ حجره دراهم.

ولدت لأبي دلامة بنت ليلاً، فأوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقق مستطيلة، فلما أصبح غدا بالخريطة إلى الخليفة المنصور، فاستأذن عليه- وكان لا يحجب-فانشده بيتين في المدح، فقال له المنصور: أحسنت، أيَّ شيء تريد؟ قال: ولدت لي جارية. قال المنصور: فهلا قلت فيها شعراً؟ قال: نعم، قلت:

فما ولدتك مريم أم عيسى
ولا رباك لُقمان الحكيم
ولكن قد تضُمّك أم سوء
إلى لَبّاتها وأبٌ لئيم

فضحك المنصور وقال له: بأي شيء تحب أن أعينك به في تربيتها؟ فأخرج أبو دلامة الخريطة وقال: تملأ هذه الخريطة دراهم فقال المنصور: املؤوها له دراهم. فوسعت ألفي درهم.

- ولعل من أطرف الحيل التي اعتاد أبو دلامة أن يلجأ إليها ليشبع طمعه بالمال تلفيق الأحلام الكاذبة، فمن ذاك أنه دخل على المنصور يوما وأنشده:

إني رأيتك في المنا
م وأنت تعطيني خياره
مملوؤة بدراهم
وعليك تأويل العباره

فقال له المنصور: امض فأتني بخيارة أملؤها لك دراهم. فمضى فأتى بأعظم دباءة توجد، فقال المنصور: ما هذا؟ قال أبو دلامة: يلزمني الطلاق إن كنت رأيت غير دباءة، ولكني نسيت، فلما رأيت الدباءة تذكرت. ولم تمض أيام حتى عاد أبو دلامة وجيوبه خاوية، فوقف بين يدي المنصور وأنشد قائلاً:

رأيتك في المنام كسوت جلدي
ثياباً جمّة وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخزّ فيها
وساجٌ ناعم فأتمّ زيني
فصدّق يا فدتك النفس رؤيا
رأيتها في المنام كذاك عيني

فأمر له المنصور بذلك وقال: لا تعد أن تتحلم عليّ ثانية فاجعل حلمك أضغاثا ولا احققه.

أدباء الفكاهة والنوادر أثروا الأدب العربي.



أبو دلامة وعامة الناس:

لم تقتصر نوادر أبي دلامة على منادمة الخلفاء ومداعبتهم فحسب، بل كانت له أخبار طريفة مع العامة من الناس تكمل الصورة التي رسمتها نوادره السابقة، وتبرز ما خفي من نزقه وسلاطة لسانه

ونوادر أبو دلامة مع العامة تختلف بلا شك عن أخباره مع الخلفاء، فهذه الأخيرة تقوم- كما رأينا- على الهزل والحيلة الظريفة، والاستجداء والتصاغر الذي يصل أحيانا إلى حد الهجاء الشخصي، ولكنه ما أن يخرج من قصور الخلفاء وينزل إلى الأسواق والأزقة حتى يخلع عنه ثوب التصاغر والاحتشام الزائف الذي يظهره بين يدي الخليفة ليظهر على حقيقته: إنسان عابث مستهتر، وشاعر هجّاء مقذع يتحاشاه الناس خوفا من سلاطة لسانه وبذاءة هجائه، ولعل النادرة التي ذكرها إبن خلكان تكشف لنا بجلاء عن هذا الجانب، إذ يروي صاحب وفيات الأعيان أن ولد أبي دلامة مرض ذات يوم فاستدعى له طبيبا ليداويه وشرط له جُعْلًا معلوما، فلما برئ قال له أبو دلامة: والله ما عندنا شيء نعطيك، ولكن ادّع على فلان

القضاة والتجار والأعيان كانوا يُفادون أنفسهم مخافة لسانه وهجوه.

اليهودي- وكان ذا مالٍ كثير- بمقدار الجُعْل وأنا وولدي نشهد لك بذلك.

- فمضى الطبيب إلى قاضي الكوفة- وكان يومئذ محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى- وحمل إليه اليهودي المذكور، وادَّعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر اليهودي، فقال الطبيب: عندي بيِّنة. فخرج وأحضر أبا دلامة وولده، فخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز بحيث يسمعه القاضي:

إن النـاسُ غطَّوْني تغطَّيت عنهم
وإن بحثوا عنِّي ففيهم مباحث
وإن نبثوا بئري نبثت بئارهم
ليعلم قوم كيف تلك النبائث

ثم حضروا بين يدي القاضي وأدَّيا الشهادة، فقال له القاضي: كلامك مسموع، وشهادتك مقبولة. ثم غرم القاضي المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما امكنه أن يرد شهادته خوفاً من لسانه، فجمع بين المصلحتين، وتحمل الغرم من ماله. (٤)

- ومر أبو دلامة بتمَّار بالكوفة فقال له:

رأيتك أطعمتني في المنام
قواصر من تمرك البارحة
فأم العيال وصبيانها
إلى الباب أعينهم طامحة

فأعطاه قُفَّةً كبيرةً من التمر وقال له: إن رأيت هذه الرؤية ثانية لم يصح تفسيرها. فأخذها أبو دلامة وانصرف.

ونختم المقالة بشعر لأبي دلامة نشتم منه رائحة المجون الذي اشتهر به وغطى جانباً من شعره وأخباره، ولكني آثرت أن لا أذكر شيئاً منه، وحسب المستزيد أن يرجع إليه في مظانه في كتب الأدب.

أما النادرة التي اخترتها هنا فأحسب أنها اللون الأخير الذي يكتمل به صورة أبي دلامة، إذ يروي صاحب الأغاني أن أبا دلامة دخل ذات يوم على اسحاق الأزرق يعوده، وكان اسحاق قد مرض مرضاً شديداً ثم تعافى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند اسحاق طبيب يصف له أدوية تقوي بدنه، فقال أبو دلامة للطبيب: يابن الكافرة أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض؟ ما أردت والله إلا قتله ثم التفت إلى اسحاق وقال: اسمع أيها الأمير مني. قال: هات ما عندك يا أبا دلامة، فانشد يقول:

نحِّ عنك الطبيب واسمع لنعتي
إنني ناصح من النُّصَّاح
ذو تجاريب قد تقلبت في الصحـ
ـة دهراً وفي السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح
من متون الفتية السُّحَّاح
فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً
من عتيق في الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا
وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتُقَوِّي ذا الضعف منك وتلفى
عن ليالٍ أصح هذي الصحاح
ذا شفاءٌ ودع مقالة هذا
.... ذا أمه ب.... رباح (٥)

الهوامش:

١- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي- بيروت: دار الكتب العلمية جـ ٨، ص ٤٨٨

٢- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني- تحقيق: إبراهيم الأبياري القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩، ج ١٠، ص ٣٦٩٩

٣- الأغاني ٣٧٠٠/١٠.

٤- وفيات الأعيان: إبن خلكان- تحقيق: د إحسان عباس بيروت: دار صادر، ج٢ ص٣٢٥

٥- الأغاني: ٢٧٣٤/١٠ هذا وقد تضمن البيت الأخير ألفاظاً فاحشة لا يصح نشرها علي صفحات مجلة ثقافية، ولذلك تركت مكانها فارغاً



قصة أمة

شعر: عبدالله بن صالح آل جازان - مكة المكرمة -

طَيفٌ بَدا لي أمْ مُهنَّدةٌ رِقَاقُ؟!
جاءتْ محملةً أجاجاً آسناً

أم أغْطَشَتْ مِن حُزننا الأحداقُ؟!
فاسودَّ وجهُ الأرضِ فَهْوَ محاقُ

أمْ أنَّ تلكَ غمامةٌ مُنقادَةٌ
أم أنَّ طَيفاً مِن خَيالِ مُؤَلِّفٍ

فيها العَذابُ، وشَرُّها سَبَّاقُ؟!
يَغْشَى العيونَ كَأنَّهُ أطباقُ

نَزَلَتْ بأرضِ جزيرةٍ فشعوبُها
دُهِشوا لها، وتَوَهَّموا، واشتاقُوا؟!

ما بينَ وهم، أو تساؤل حائرٍ
تتزاحمُ الأكتافُ والأعناقُ

عل الذي ملأ العيونَ بجرمه
طيفٌ يزول، وتكسرُ الأغلاقُ

فهيَ الحقيقةُ لا غشاوةَ حولَها
فحُدودُنا هَدَفٌ وذاكَ خِناقُ

النَّارُ تُقذَفُ والمدافعُ وجِّهَتْ
نحوَ البيوتِ كأنهنَّ نِطاقُ

والطائراتُ على الدِّيارِ تَسابقت
وبحشدها قد ضَاقتِ الآفاقُ

رُجِمَتْ بُيوتٌ والمساجدُ دُمِّرتْ
أمَّا المزارعُ نالها إحراقُ

تِلكَ المدائنُ والحصونُ تحطَّمَتْ
أمستْ طُلولاً.. دكَّها الأفَّاقُ

ooo

في "قَنْدَهارَ" وفي "جِنين" تَساقطتْ
أشْلاءُ قَومٍ بالفدَا قد فاقُوا

باعُوا نُفوساً للإله، وأُرخِصَتْ
تِلكَ النُّفوسُ لربها تَشتاقُ

بيَدِ العَدُوِّ تَدَفَّقَتْ أرواحُهُمْ
غابَ الطَّبيبُ ولم يَجِئْ تِرْيَاقُ

قُتِلَ الرِّجالُ وقُطِّعتْ أوصَالُهم
وهناكَ أسرَى قُيِّدُوا.. قدضَاقوا

عَاثَ العَدوُّ تَجَبُّراً وأهانهم
قد نالهم لَفْظٌ، ونَالَ بُصَاقُ

ما ذَنبُ حُرٍّ للعَذابِ يَسوقُهُ
عِلْجٌ.. ويُهْدَرُ دَمُّهُ ويُرَاقُ؟!

ooo

شِيشَانُنا تَبكي وتَندُبُ حَالَها
وبَكَت كُسوفو حَالَها، وعِراقُ

والقُدسُ تَبكي جُرحَها.. فَمكيدَةٌ
ظَهَرَتْ، وخَلْفَ سِتَارِهَا إغْرَاقُ

يا أهلَ قُدسٍ تطمَعونَ بِنصرِ مَنْ
تَركُوا النِّضالَ لِغيرِهِم وانسَاقُوا

هَيهَاتَ نَصرُ عَاجِلٌ ومُؤزَّرٌ
إنْ لم تُقَدِّمْ أنفُسٌ، وصَدَاقُ

في كُلِّ شِبْرٍ في البلادِ مَواجِعُ
لِلمُسلمينَ، وجُرحُنا دَفَّاقُ
كَيفَ الدَّواءُ وقد تجدَّدَ جُرحُنا؟!
إخوانُنا وقَفوا لنا وأعاقوا
أمَّا الثَّكالَى فالدُّموعُ مُنَفِّسٌ
عَن كَربِهِنَّ.. وربُّكَ الرَّزَّاقُ
يبكينَ مِنْ ألَمِ الفِراقِ وذِلةٍ
وجُسومُهنَّ مِنَ الهمومِ دِقاقُ
البيتُ دُمِّرَ، والصِّغارُ تَيَتَّموا
ضاعَ الجميعُ.. وعُطِّلَتْ أسواقُ
كَم مِن فَتاةٍ قد تَهَتَّكَ سِترُها
الكَلبُ يَنهَشُ، والأُسودُ تُساقُ
نَزعوا عنِ الطُّهرِ البَريءِ رِداءَهُ
فدموعُها مِنْ خوفِها مِهراقُ
والعِزَّةُ القَعساءُ حارَ دَليلُها
ويحولُ دونَ نصيرِها الفُسَّاقُ

ooo

كَم أُسرةٍ في الدَّوِّ أمضَتْ لَيلَها
وَسْطَ العَراءِ.. رَفيقُها الإملاقُ
الليلُ أظلَمَ والمساكِنُ هُدِّمَتْ
طَالَ الظَّلامُ فَهَل لَه إشْراقُ؟
والطِّفلُ يَسألُ، والمَخاوفُ حَولَهُ
أبَتاهُ أينَ شَقيقَتي أشواقُ؟
أبَتاهُ أينَ دَفاتِري ومَلابِسي؟
أبَتاهُ قُلْ لي: أينَ راحَ رِفاقُ؟!
لا مِنْ مُجيبٍ سُؤلَهُ فَأنيسُهُ
أمْسى قَتيلاً، أو أبوهُ مُعاقُ
صَاحَ الصَّغيرُ بِحُرقَةٍ وتَراجَفَتْ
أيْدي الصَّغيرِ، ودَمعُهُ رَقْراقُ
أبَتاهُ هَلْ لي بَعْدَ فَقدِكَ مُؤنِسٌ؟
فَالعَيشُ لَيسَ لَهُ سِواكَ مَذاقُ
مَا ذَنْبُ طِفلٍ لا يُطيقُ تَحَمُّلاً
للخَوفِ.. يَبكي قَد ضَناهُ فِراقُ
أمسَى وحيداً والأشاوسُ شُرَّدٌ
هَلَعاً.. وأنَّى ما دَهاهُ يُطاقُ؟

ooo

مِن عالَمٍ مُتَوحِّدٍ بِعَقيدَةٍ
صِرنا عَوالِمَ سادَها الإخْفاقُ

قــومِّــيــةً عــربيــةً مَــأْفُــونَةً
ومَــذَاهِبــاً أصــواتُهَــا أبواقُ

الكُلُّ يَنعِقُ بالعُــروبةِ يَبـــتَــغي
هَدفـــاً، وأنَّى تَلتَـــقي الأذْواقُ؟!

نرنُوا بَريقَ حَــضــارةٍ مكذوبَةٍ
فِــيــهَــا تَزَلُّفُ خُــدْعَــةٍ، ونِفَــاقُ

أوَلَسْــتُمْ خَلَفــاً لخَــيـــرِ أرُومَــةٍ
عَــزَّتْ.. فَــسِلْمُ عَــمِّــهَــا، ووِفَــاقُ؟!

عَــزَّتْ بحــفظِ كِــتَــابِهــا، وشَــرِيعَــةٍ
تَســمــو بِنهجِ رســولِهــا الأخــلاقُ

جِــبــريلُ يشــهَــدُ، والملائكُ حَــولَه
وسَــرَى بِهِ عَــبْــرَ السَّــمَــاءِ بُرَاقُ

هَذا النَّبيُّ مــحــمــدٌ، فَــبِنهــجِــه
نُشِــرَ السَّــلامُ، وَرَفْــرَفَ الخــفَّــاقُ

لمَّا ابْتَــغَـــينَا عِــزَّةً وكَــرامَــةً
مِن أمَّـــةٍ لِهَــلاكِنا تَشــتَـــاقُ

أخَــذَتْ تَســوسُ حَــيــاتَنا وتَقــودُنا
حَكَمَتْ.. وَطَوعــــاً سُلِّمَتْ أعْنَاقُ

مَلَكَ القِــيَــادَ مكابرٌ مُــتَــغطرسٌ
أعــمى البَــصــيــرةِ حَــاقِــدٌ.. أفَّــاقُ

صَنَعَ القَــرارَ بِخُــبــثِــه، ودَهَائِهِ
فَـــبُنودُهُ بِرِقَـــابِنا أطواقُ

إني أرَى في ذا الزَّمَــانِ عَــجَــائبــاً
كيفَ الحَــقــيــرُ يُطيعُــه العِــمــلاقُ؟!

ooo

أمَّـــا الذينَ وجُـــوهُــهُم قَـــد نُوِّرَتْ
بِالدِّينِ زَادَ عَليـــهِمُ الإطْبَـــاقُ

عَاشُوا عَلَى شَظَفٍ وضِيقِ مَعِيشَةٍ
مَـــا فَــرَّقَتْ أعْــلامَــهُم أعْــرَاقُ

كَم حَــاوَلوا إيقَــاظَ غَــفــوةِ أمَّــةٍ
في غَــفْلَةٍ قَــد حَــقَّــهَــا إطْرَاقُ

فَـــالدِّينُ عِـــزٌّ والتِـــزَامُ حُـــدودِهِ
فِــيهِ النَّجَــاةُ مَتَى الغُــفَــاةُ أفَاقُــوا

تِلْكُم حِكَايَةُ أمَّــتِي.. فَــفُــصُــولُهَــا
قَــصَــصٌ تَضــيقُ بذِكْــرِهَــا الأوراقُ



العيون في مرآة الشعراء

عبدالله بن حمد الحقيل - الرياض

للعيون في الشعر العربي حيز ومكانة راسخة عبر الأجيال.. وقد أبدع الشعراء قديماً وحديثاً وتغنوا بالعيون باعتبارها من أهم ملامح الجمال.. ولذا حظيت بالتمجيد في مختلف الآداب الانسانية قديماً وحديثاً، ووصفت بأوصاف شعرية رائعة نقرؤها ونسمعها فتثير فينا شيئاً من المتعة والاعجاب.. والشعر العربي على امتداد مسيرته الفنية والتاريخية أولى العيون مكانة سامية حيث اتجه عدد من الشعراء إلى نعتها بأبلغ الأوصاف وأجملها وأبدعها وخلدوا ذلك في نصوص شعرية بليغة ومؤثرة.. وهي نصوص كثيرة مبثوثة في دواوين الشعراء مفعمة بروعة التصوير ودقة الأداء وجمال التعبير..

وحين نستعرض ذلك تقفز أبيات الشاعر جرير، حيث صور لنا العيـون إذ تقتل وتصرع كما يقتل الأبطال ويصرع الصناديد خصومهم في قوله:

إن العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

كما صـور لنا صريع الغواني مسـلم بن الوليد ذلك في قوله:

هل العيش إلا أن أروح مع الصبا
وأغدوا صريع الراح والأعين النجل

ويقولون إن العين تفضح الأسـرار وتبث الأخبار كما يرى سبط بن التعاويذي في قوله:

عيني وقلبي في الهوى
عون عليَّ فمن يلوم

أما الفرزدق فيقول:

وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

لقد فاض الشـعراء في أقوالهم وقصائدهم ورسموا صورة حية للغة العيـون وأطنبوا في وصفها وقوتها وتأثيرها ورقتها وعطفها، والعين مرآة تجسـد الغنى والفقر والشـبع والجوع ووضعوا لها أسماء متعددة كدعجاء ونجلاء،

يقول أحد الحكماء: ما أجملها إن طربت، وما أقساها إن غضبـت، ومـا أحلاها إن نعسـت، فهـي الجنة بنسيمها، والجحيم بشررها، كم بطل صنديد جندلت، فالدمعة سلاحها والأهداب سهامها..

ويقول أحد الشعراء:

فانظر بعقلك إن العين كاذبة
واسمع بقلبك إن السمع خوان
ولا تقل كل ذي عين له نظر
إن الرعاة ترى ما لا يرى الضان

أما بشار بن برد الشاعر العباسي الأعجمي فله رأي فـي العين حيث يرى أن المحـب لا يرى بالعين وإنما يبصر بالقلب فسلطان الهوى ينظر بالقلب لأنه مصدر الإحساس والتعبير عن المشاعر والعواطف إذ يقول:

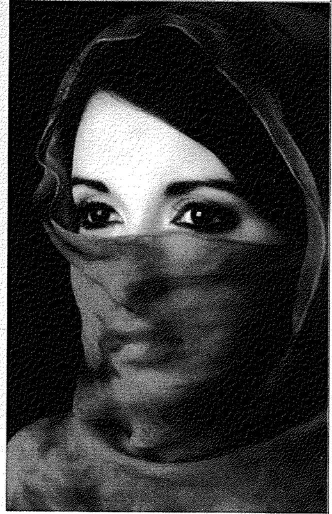
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذووا اللب
فما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وألَّف بين العشق والعاشق الصب

ويرى أن الأذن تعشق قبل العين حيث يقول:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

أما البحتري شاعر الطبيعة والوصف فإننا نراه يهرب من سحر العيون وجمالها حيث قال:

من عذيري من الظباء الغيد
ومجيري من ظلمهن العتيد
إن سحر العيون ضلل لبي
وحماني الرقاد ورد الخدود
أتراها دامت على الوصل أم
من عادة الغانيات نقض العهود



أمـا العبـاس بن الأحنف شـاعر الحـب والعاطفة فيقول:

ظلمت عيناك عيني إنها
بادلتها بالرقاد الأرقا

إنها صورة شـعرية أخذت من عينيـه النوم والراحة وأعطته السـهر والأرق، لقد أعجب الشعراء بالعيون فوصفوها بأشـعارهم وخيالهم لما للعين من أثر على النفوس حيث نرى ابن زيدون - الشـاعر الأندلسي يقول:

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل في سكر الصبا عطفاك
هلا فرغت لعاشقيك سلافها
ببرود ظلمك أو بعذب لماك

أما الشـاعر قيس بن ذريح فقد سئل عن سبب علته فقال:

عيد قيس من حب لبنى ولبنى
داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادني العوائد يوما
قالت العين لا أرى من أريد

أما الشريف الرضي فقد قال:

وتلفتت عيني فمذ خفيت
عنها الطلول تلفت القلب

ويروى عن ابن حجر العسقلاني قوله: *

أظهر جمالك للعيون وأبده
وصل الوداد لمن رضاك بوده

وكم تعبر العين عما بداخلها ولسان حالها يقول:

إنا لننطق والأفواه صامتة
حتى ترى من صميم القلب تبيانا

وبعد فإن القول في هذا المجال ذو سـعة ولكن المقام يدعـو إلى الاقتضاب حيث إن هناك طائفة من أقوال الشعراء والأدباء في وصف العيون وسحرها وجمالها وبهائها وخطرها وشعاعها السحري كما قيل:

لدغت عينك قلبي
إنما عينك عقرب

وختاما نسـأل اللـه أن يحفظ لنا العيـون ويحفظنا ويقينا من العيون.. هذا وبالله التوفيق.

* ابن حجر العسقلاني الشارح لصحيح البخاري مـا أظنّه يقول مثل هذا القـول.. إلاّ إذا كان يقصد جمالاً آخر غير جمال المرأة..



دارة مجلة «المنهل» ومنسوبوها يتشرفون

برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأماني

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك إلى

مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود (يحفظه الله)

وإلى صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود (يحفظه الله)

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وإلى حكومتنا الرشيدة .. وأبناء وطننا الغالي ..

سائلين الله عزّ وجلَّ أن يعيده على الجميع بالخير واليمن والبركات

مع تحيات دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة



واعرف لجارك حقه

الشاعر: يزيد بن الحكم الثقفي

محمد عبد الواحد حجازي
- مصر -

الشعر هو الإيقاع الوجودي للتجربة الإنسانية في معاناتها لحياتها ومكابدتها لتحقيق إمكاناتها من خلال صرائف الزمان حيث تشتجر بواعث النفوس وتصطرع أطماعها وتطلعاتها.. وإذ يكون الشعر هو الإيقاع الوجودي للتجربة الإنسانية فإنه تجسيد للإلهام الذاتي بحقيقة النفس الإنسانية وتجسيد لبصيرة الفكر في استخلاصه للغاية بعد الموازنة والتقويم..

قـصـائد الحكمـة تسـتـجـيش في النفس خصائص التسامي الأخلاقي

ويتآصر كل من الإلهام الذاتي والتقويم الفكري في الوزن والتقدير لتخرج الحكمة المَوْضُونَة بعمقها في المعنى والدلالة وتأثيرها العاطفي في الوجدان، فإذا هي تنفذ إلى الفكر فتزيده تبصرة وإلى الشعور فتزيده تحفزا، وإلى النفس فتزيدها ثقة ويقينا أو تعيدها إلى الثقة واليقين إن كانت قد نأت عن سواء السبيل، أو التبست عليها الحقائق بين اختلاط الألوان والشكول.

وإذا مَثَّلَتْ حكمة الشاعر تلك المعاني وكانت له اليد الصناع في التصوير والتعبير ظفرنا لا محالة، لا بقوالب من المواعظ الجافة الجامدة التي تجتويها النفوس لتكلفها وغلبة الاعتساف عليها. ولكننا نظفر بالكلمة الحية التي تحيي النفوس وتستجيش فيها خصائص التسامي الأخلاقي على الصراعات والخلافات التي تُبَصِّرُها بما ينبغي عمله وكأنها، أي الكلمة، صديق حَدِبٌ عطوف نطمئن إليه ونثق فيه ونقول له: "زدنا ولا تبخس حبَّك لنا".

وعلى هذه الشاكلة وبهذه الروح تمثلت الحكمة الجاهلية عند زهير بن أبي سُلْمَى، فمن حكمه:

فمن يك ذا فضل ويبخل بفضله

على أهله يُسْتَغْنَ عنه ويُذمَم

كما تمثلت الحكمة الجاهلية عند أبي ذئيب الهذلي، فمن حكمه:

وإذا المنِيَّةُ أنشَبتْ أظفارها

ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

ومن حكماء الجاهلية أيضا السَّمَوْأَلُ بن عاديا الذي قال:

إذا المرءُ لم يدْنَسْ من اللؤمِ عرضه

فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

وفي الإسلام نطق الكثير من الشعراء بالحكمة، فمن قول الحطيئة:

ولستُ أرى السعادةَ جَمْعَ مالٍ

ولكنَّ التَّقيَّ هو السَّعيدُ

ومن قول حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم:

أصُون عرضي بمالٍ لا أدنِّسُهُ

لا باركَ اللهُ بعدَ العِرْضِ في المال

أحتال للمالِ إن أودى فأكسبُهُ

ولستُ للعرضِ إن أودى بمحتال

ويعلمنا كُثَيِّرُ كيف نعامل الغير بما يحفظ المودة ويديم الإخاء فقال:

ومَنْ لا يُغمِضْ عَيْنَه عن صديقه

وعن بعضِ ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَنْ يَتَتبَّعْ جاهدا كلَ عَثْرةٍ

يجدها ولا يسلَمْ له الدَّهرَ صاحبا

وشاعرنا الذي اخترناه لتصوير الحكمة العربية الإسلامية هو يزيد بن الحكم الثقفي. وقد كان جدُّه أبو العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاعر إسلامي عاصر الفرزدق وجريرا وكانت به إباءةٌ وأنفة.. واجه الحجاج بن يوسف يوما ولم يأبه لتهديده ووعيده بل إنه أزرى عليه وهجاه.

والقصيدة التي اخترناها له خاطب بها ابنه "بدرا" يعظه ويبصِّره.

ووعظ الابن ليس مجرد حِكَماً تُنْظم في رصانة ولكنها- أي الحِكَم- تجسد في حقيقتها حنان الأبوة وعطفها كما تجسد حرصها على أن تكون الحِكَمُ تربية وتزكية وتوعية لينتفع بها الابن في حياته وما أكثر ما سوف يتعرض له ويواجهه مع الناس...

فمع قصيدة: "واعرفْ لجارك حقَّهُ" ليزيد بن الحكم الثقفي..

القصيدة:

يا بَدْرُ والأمْثالُ يَضْـ — ـرِبُها لذي اللُّبِّ الحَكيمُ

دُمْ للخليلِ بِوُدِّهِ — ما خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ

واعرِفْ لجارِكَ حَقَّهُ — والحقُّ يَعْرِفُهُ الكَريمُ

واعلَمْ بأنَّ الضَّيْفَ يَوْ — ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أو يَلومُ

والنَّاسُ مُبْتَنِيانِ مَحْـ — ـمُودُ البِنايَةِ أو ذَميمُ

واعلَمْ بُنَيَّ فإنَّهُ — بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العَليمُ

إنَّ الأمُورَ دَقيقُها — مِمَّا يَهِيجُ لَهُ العَظيمُ

والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تَقْـ — ـضاهُ وقَدْ يُلْوى الغَريمُ

والبَغْيُ يَصْرَعُ أهْلَهُ — والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

ولَقَدْ يَكُونُ لكَ البَعيـ — ـدُ أخاً ويَقْطَعُكَ الحَميمُ

والمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى — ويُهانُ لِلْعُدْمِ العَديمُ

قَدْ يُقْتَرُ الحَوِلُ التَّقِـ — ـيُّ ويُكْثِرُ الحَمِقُ الأثيمُ

يُمْلَى لِذاكَ ويُبْتَلَى — هذا فأيُّهُما المَضيمُ

والمَرْءُ يَبْخَلُ في الحُقُو — قِ ولِلْكَلالَةِ ما يُسيمُ

ويَرَى القُرُونَ أمامَهُ — هَمَدُوا كما هَمَدَ الهَشيمُ

وتَخَرُّبُ الدُّنيا فلا — بُؤْسٌ يَدُومُ ولا نَعيمُ

كُلُّ امْرِئٍ سَتَئيمُ مِنْـ — ـهُ العِرْسُ أو مِنْها يَئيمُ

والحَرْبُ صاحِبُها الصَّليـ — ـبُ على تَلاتِلِها العَزُومُ

واعلَمْ بأنَّ الحَرْبَ لا — يَسْطيعُها المَرِحُ السَّؤُومُ

الحكمة: تربية وتزكية وتوعية، تتداولها الأجيال

حين نشمل هذه القصيدة بنظرة كلية فإننا نجد أنها تصور الحكمة العربية الإسلامية في أظهر خصائصها النفسية والاجتماعية وكذلك الحضارية. ففيها خلاصة الآداب التي على الفرد أن يلتزم بها إذ أن فيها توفيقه ونجاحه كما أن فيها توفيق مجتمعه وتأصيل دعائمه التي تحفظ كيانه وتضمن بقاءه. قد نلمس فيها مسحة جاهلية ولكنها في حقيقتها من الخصائص التربوية التي يقوم عليها تنشئة الابن تنشئة قوية لا تعرف التخاذل ولا التردد ولا الطيش بغير تقدير لعاقبة...

أمر آخر هو أن شاعرنا يزيد بن الحكم الثقفي إذ يعظ ابنه بدرا فهو مؤمن بأنه يخاطب إنسانا واعياً حاضر

الذهن يقظ القلب قادراً على أن يفرق بين الحق والباطل لا تخدعه الأوهام ولا تصرفه عن الصواب.

فهو يستهل قصيدته بأن يدعو ابنه بدرا الذي توسم فيه الخير وأنه يبشر برجولة صادقة في طباعه وخصاله وعلاقاته التي تربطه بمن حوله.. فهو يقول له:

يابدْرُ والأمثالُ يضـ
ـربُها لذي اللُّبِّ الحكيمْ

فهو على يقين بأن ابنه ذو لب، واللب هو الإمكانية الحية التي تتصف بالقدرة على الوعي الفطري والإدراك السليم. فإذا خاطب ابنه بأنه ذو لب، فهو يزكّيه من ناحية وينبهه من ناحية أخرى كي يستمع جيدا لما سوف يلقيه على سمعه بل على وجدانه من حكم. فهو يستهل حكمه بالمجموعة الأولى التي تضم أخص الخصائص الاجتماعية التي يتحقق بها وجوده الاجتماعي ووجوده الإنساني وقد جاء في هذه المجموعة:

دُمْ للخليلِ بودِّهِ
ما خيرُ ودٍّ لا يدومْ
واعرفْ لجارِكَ حقَّهُ
والحقُّ يعرفُهُ الكريمْ
واعلَمْ بأن الضيفَ يو
ماً سوفَ يحمدُ أو يلومْ

فالبيت الأول:

دُمْ للخليلِ بودِّهِ
ما خيرُ ودٍّ لا يدومْ

يبين أن أقرب الناس إلى المرء هو الخليل فهو يخلطه بذاته ويستريح إلى آرائه وصحبته ويجده عونا له في السراء والضراء. ولذلك تأتي الجملة الأولى: "دُمْ للخَليل بِوُدِّه"، ينصحه بأن يكون مخلصا لخليله محتملاً لتجاوزه إن تجاوز فالود الصادق يتطلب التجاوز والصفح واغتفار الهفوات. أما إن آخذ على الكبيرة والصغيرة فلن يدوم وُدٌّ، ولذلك جاءت الجملة الثانية من البيت وكأنها لتحذير الذي يجب على "بدر" أن يراعيه.. نعم: "ما خَيْرُ وُدٍّ لا يدومُ".

والإنسان الثاني الذي يجب على "بدرٍ" أن يراعيه هو الجار.. وهكذا فالانتقال من "الخليل" إلى "الجار" طبيعي وتلقائي يفرضه ترتيب العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.. وفي هذا يقول الشاعر:

واعرفْ لجارِكَ حقَّهُ
والحقُّ يعرفُهُ الكريمُ

فما يحتاجه الجار هو حقه الذي لا ينبغي الاعتداء عليه: حقه في الأمن، وحقه في المعاملة الطيبة، وحقه في النجدة إن ألمت به نازلة.. وهذا ما تقوله الشطرة الأولى: "واعْرِفْ لجَارِك حَقَّهُ".. ولذلك فإن التسليم بحق الجار ورعايته لا يصدر إلاَّ عن خلق كريم معطاء: " والحَقُّ يَعْرِفُهُ الكَرِيمُ"... وبعد هذا فمن هو الإنسان الثالث الذي يجب على "بدر" أن يرعاه ويصون حقه ويفيض عليه من بره وسخائه؟ إنه الضيف وفيه يقول الوالد ناصحاً لابنه:

واعْلَمْ بأن الضَّيْفَ يو
ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أوْ يَلُومُ

والحمد يأتي من الكرم والجود، واللوم يسببه البخل وضيق الصدر بالضيف مما يؤدي إلى خلق

الجفوة وقطع علاقات التواصل مع الجيران الذين يتعامل "بدرٌ" معهم.

ثم يأتي بعد ذلك بيتان يتميزان بإيقاع خاص حتى يمكن أن نعتبرهما التوطئة التي لابد منها أو المدخل الذي لابد منه لنوعية العلاقات الاجتماعية التي يجب أن تنشأ بين ولده والناس.. والبيتان هما:

والنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْـ

ـمُودُ البِنَايَةِ أوْ ذَمِيم

واعْلَمْ بُنَيَّ فَإنَّهُ

بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العَلِيمُ

فشأن الناس دائما على صفتين في أخلاقهم وسلوكهم: فمنهم من يحسن العمل متطلعاً إلى طيب الذكر وجميل الحمد حيث ينتفع بفضله وبره القريب والبعيد. وعلى النقيض من هذا، هناك من يسئ إلى الغير ويبغي عليه فكأنه يقيم بناء مذموما يكرهه الناس.. وحين تأتي كلمة: "العلم" في البيت الثاني فالمقصود بها العلم العملي لا مجرد المعرفة الفكرية بشيء.. فإذا أحسن المرء علمه أو جعل من علمه الصائب سلوكا يتعامل به مع الناس فإنه سوف يجني الخير لا محالة.. ولهذا فإن من علم طرق الرشاد ثم لم يسلكها كانت معرفته وبالاً عليه.. ثم يأتي قول الشاعر لابنه:

إنَّ الأُمُورَ دَقِيقَهَا

مِمَّا يَهِيجُ لَهُ العَظِيمُ

ومعنى الدقيق هنا الحقير، ومما يقصده الشاعر أن الشر يبدؤه أصغره حتى يعم القبيلة والبلد أو المجتمع بأسره.. ومن ثم فإنه يحض ابنه ويستحثه على ضرورة النظر في عواقب الأمور قبل أن يشرع في تحقيقها.

الحكمة .. تنفذ إلى الفكر فتزيده تبصرة وإلى الشعور فتزيده تحفزاً ..



ثم يأتي الإيقاع الجديد بأهم الخصائص النفسية والأخلاقية التي يعتمد عليها أفراد المجتمع في علاقاتهم وسلوكياتهم فيقول الشاعر لابنه ناصحا وموضحا لما ينبغي عليه:

والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تَقْـ

ـضَاهُ وقَدْ يُلْوَى الغَرِيمُ

والبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ

والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

ولَقَدْ يَكُونُ لَكَ البَعِيـ

ـدُ أخاً ويَقْطَعُكَ الحَمِيمُ

وإذ يقول الشاعر في البيت الأول:

والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تَقْـ

ـضَاهُ وقَدْ يُلْوَى الغَرِيمُ

فإنه يتمثل فيه خليقة جاهلية متوارثة، فالثأر أو التبل عمل لابد من تنفيذه فلا يظن أحد أنه مما يمكن تأجيله أو الإغضاء عنه. وذلك لأن الثأر مثل الدين الذي لا تفلح معه مماطلة.. ومن هنا فإن على ابن الشاعر أن ينأى بنفسه عن البغي والإجحاف بحقوق الغير.. وحين يقول الشاعر: " والبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ" فهو في الواقع يحذر ابنه بأنه إذا بغى أو ظلم فسيأتي اليوم الذي يلاقي فيه مصرعه حقا والظلمُ مَرْتَعُهُ وخيم"...

ثم يأتي البيت الثالث الذي يقول فيه الشاعر

ولَقَدْ يَكُونُ لَكَ البَعِيـ

ـدُ أخاً ويَقْطَعُكَ الحَمِيمُ

فـإذا كـان الشـاعـر قـد حـذر ابنه من البـغي والإجحـاف بالغير فإنه في الحقيقة يحذره من الأيام فـلا يخدعـه مخـادع ولا ييـأس من خـيـر يصيبه.

ثم تأتي المجموعة التالية فتصف أظهر الخصائص الأخلاقية وأظهر الخصائص الاجتماعية التي تتحكم في سلوكيات الناس وأخلاقهم؛ فيقول الشاعر:

والمـرءُ يُـكْـرَمُ لـلـغـنـى

ويُهـانُ للْعَـدَمِ العـديمُ

قـدْ يُقْـتـرُ الحـولُ التـقـ

يُّ ويُكْثِـرُ الحـمِقُ الأثيمُ

يُمْلَى لذاك ويُبْـتلى

هذا فـأيُّـهُـمـا المضيـمُ

فمن أظهر السلوكيات الاجتماعية أن الناس يتقربون ممن هو غني فائض الغنى، فعلى ولده أن يكون حريصاً على ماله فلا يبعثره فيما لا نفع فيه وأن يحذر التبذير والإسراف ليظل لديه المال الذي يُعزُّ مكانته ويحفظ هيبته أجل:

والمـرءُ يُـكْـرَمُ لـلـغـنـى

ويُهـانُ للْعَـدَمِ العـديمُ

وهناك خاصة اجتماعية للغنى والفقر فليست المسألة اجتهاد وسعي فرب ساعٍ مجتهد لا يفوز بغير الفقر رغم حيله الكثيرة.. ورب أحمق يسرف في الاعتداء على الغير بحمقه وسفاهته فيفوز بالثراء العريض، وهكذا شأن الدنيا فأيهما يا ترى يستحق اللوم والتقريع؟

تم تأتي المجموعة التالية بما هو من العيوب النفسية والاجتماعية التي لا نخطئها في تعاملنا مع الناس؛ فيقول الوالد العطوف:

والمَرْءُ يَبْـخَلُ في الحُـقـو

قِ وللْكَلالَةِ مـا يُسِـيمُ

مَـا بُخْلُ مَنْ هُـوَ للْمَنُو

نِ ورَيْبِهـا غَـرَضٌ رَجِـيمُ

ويَرَى القُـرُونَ أمَامَـهُ

هَمَدُوا كَمـا هَمَدَ الهَشِيمُ

فالشاعر يحذر ابنه من أن يتخلق بصفات البخلاء فـيضن بالحق على أصحـابه فـالحق في عنقه كالدَّين.. وليته يعلم أنه إذا كان يمتنع عن دفع ما هو مكلف به أن سيأتي عليه يوم تنتهي فيه حياته وتؤول أمواله للكلالة أي للورثة ينتفعون بها من بعده.. وليت ذلك البخيل يعي أن الموت أو المنون سـوف يصيبه في أية لحظة فينتهي وجوده.. أجل:

مَـا بُخْلُ مَنْ هُـوَ للْمَنُو

نِ ورَيْبِهـا غَـرَضٌ رَجِـيمُ

وهكذا الدنيا أو جماعات الناس سوف يهمدون في يوم من الأيام وكأنهم الهشيم الذي ذهبت منه خضرة الحياة ونضرتها:

ويَرَى القُـرُونَ أمَامَـهُ

هَمَدُوا كَمـا هَمَدَ الهَشِيمُ

ثم تأتي المجموعة التالية لتصور صروف الحياة الدنيا فلا تجعل الإنسان يطمئن إليها اطمئنانا كاملاً؛ فقال الشاعر:

وتَخَـرَّبُ الدُّنيـا فـلا

بُؤْسٌ يَـدُومُ ولاَ نَعِـيمُ

كُلُّ امْــرِئٍ سَــتَــئِـيمُ منـ
ـهُ العِــرْسُ أو مِنْهَــا يَئِـيمُ
مَـــا عِلْمُ ذي ولدٍ أيثْـ
ـكَلُهُ أمِ الوَلَدُ اليَــتِــيمُ

فالبيت الأول إذ يقول:

وتَخَـــرُّبُ الدُّنيـــا فـــلا
بُؤْسٌ يَدُومُ ولا نَعِـــيمُ

فإن معنى هذا أن الشاعر يحذر ابنه من الدنيا فلا يركن إليها ولا يطمئن إلى دوامها على حال واحدة وربما أكثر من هذا وأشد حزازةً في النفس أن كل امرئٍ ستئيم منه العرس أو منها يئيم أي تفارقه أو يفارقها بالموت.. وليس معنى هذا أن الشاعر يُبَغِّض الدنيا لولده ولكنه يحذره من زينتها وزخرفها أو تقهره بمصائبها لكن عليه أن يكون يقظا واعيا يعمل لنفسه وأهله ومجتمعه بغير يأس أو تجبر..

ثم تأتي المجموعة الأخيرة بما هو من صفات الطبيعة العربية أو الإرادة العربية أو القبلية العربية.. وإنها لإرادة الحرب فيقول شاعرنا:

والحَـرْبُ صَـاحِـبُهَـا الصَّلِيـ
ـبُ على تلاتِلِهَـا العَـزُومُ
مَنْ لا يَمَلُّ ضِـرَاسَـهَـا
ولدى الحقيقةِ لا يَخِيمُ
واعْلَمْ بِأنَّ الحَـــرْبَ لا
يَسْطِيعُهَـا المَرِحُ السَّؤُومُ

فالشاعر هنا يزكّي في ابنه إرادة الحرب فيبصّره بما توجبه من شجاعة فالفارس المقدام هو من يدرك

الإرادة .. لا يضعفها المرح ولا يميتها السأم



حقيقة الحرب.. وهنا يقول الشاعر:

والحَـرْبُ صَـاحِـبُهَـا الصَّلِيـ
ـبُ على تلاتِلِهَـا العَـزُومُ

فالفارس هو من يكون قوياً صلبا قادراً على احتمال تلاتل الحرب أو شدائدها بإرادة عزومة ماضية لا توْجَل ولا تتردد.. ثم هو أيضا:

مَنْ لا يَمَلُّ ضِـرَاسَـهَـا
ولدى الحقيقةِ لا يَخِيمُ

أي لا يسأم من ضراس الحرب وعذابها ومن ثم فهو لا يخيم أي لا يجبن عند المواجهة.. ويتكامل مع هذه الخصائص ما هو جوهر الحرب وحقيقتها؛ فيقول الشاعر أو الفارس المجرب لابنه:

واعْلَمْ بِأنَّ الحَـــرْبَ لا
يَسْطِيعُهَـا المَرِحُ السَّؤُومُ

فالحرب تقتضي اليقظة الدائمة والإرادة الجسورة فلا يضعفها المرح ولا يميتها السأم أو الضجر الذي يؤدي إلى التخاذل..

وهكذا أسدى الشاعر الفارس يزيد بن الحكم الثقفي موعظته لابنه "بدر" وإنها لتضم خصائص أخلاقية نحن في حاجة إلى أن نعيها ونتمثلها عملا ننتفع به وننفع به...

اقتصاد المعرفة..وسلطة

د. مرزوق العمري - كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنة. الجزائر

يستبشر الخطاب العلماني بكل إنجاز معرفي معتبرا إياه محطة من محطات انتصاره على الخطاب الديني، مستصحبا في ذلك جدلية العلم والدين التي تبلورت في بداية النهضة الحديثة في أروبا. ومن المعارف التي استبشر بها الخطاب العلماني في الحقبة الأخيرة: أي مع ثورة الاتصال فضاء معرفي ينعت بـ: اقتصاد المعرفة. واقتصاد المعرفة مفهوم يعمل على دمج العمل العلمي ضمن العملية الاقتصادية بشكل عام. وهو فضاء معرفي جديد يصنف على أنه فرع من فروع العلوم الاقتصادية. ومن خلال التسمية - اقتصاد المعرفة - ندرك الأساس الذي يقوم عليه هذا الاختصاص فهو يقوم على فهم جديد لدور المعرفة ورأس المال البشري في العملية الاقتصادية ونمو المجتمع وتقدمه.





بل يجعل المعرفة من أهم الآليات التي تحرك العملية الاقتصادية لطبيعة التنافس الذي يقتضي إنجازات إبداعية هي في حقيقتها عملية معرفية احتيج إليها في فضاء الاقتصاد وتصبح بالتالي المعلومة رأس مال حقيقي يفوق قيمة وأهمية البضاعة المادية في الرأسمالية الكلاسيكية.

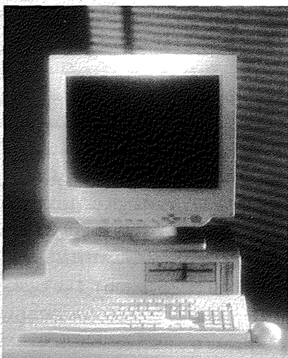
وقد أصبحت عوامل الإنتاج في هذا الاقتصاد غير التي كانت سائدة، فهذه العوامل هي: المعرفة، الإبداع، الذكاء، المعلومات... ويلاحظ أنها عوامل يركز فيها على الإنسان ومهاراته وقدراته الذاتية وإمكاناته الإبداعية وذكائه وما إلى ذلك، وهي عوامل بشرية بالدرجة الأولى وتأتي في مقابل عوامل الإنتاج القديمة التي هي عوامل طبيعية مثل: الأرض، اليد العاملة، ورأس المال...

ليس مفهوم اقتصاد المعرفة ما أقصده هنا، بل الكتابات التي بدأت انطلاقاً من هذا العلم تطرح بعض التصورات التي تصطدم مع المعتقد الإسلامي، والتي ذهب أصحابها نتيجة تسليمهم باقتصاد المعرفة باعتباره عملية معرفية أولاً، وباعتباره صار مدعوماً بسلطة سياسية هي سلطة الدولة المبدعة ثانياً، سيجعل الفكر العربي يتخلى عن عدة مرجعيات منها مرجعية المقدس.

طبعاً المقدس المتحدث عنه هنا هو الوحي المعصوم عند المسلمين الذي يتمثل في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. أقول عند المسلمين لأنه عند غير المسلمين لم يعد الأمر يطرح من جهة، ومن جهة ثانية لأن هذه الكتابات تأتي في إطار الفكر العربي المعاصر، وهو على ارتباط بالمقدس الإسلامي لا بغيره. وبناء على ذلك تكون سلطة المقدس المتحدث عنها هي سلطة الكتاب والسنة باعتبارهما مرجعية عمل للحياة الإسلامية، وباعتبارهما مرجعية الفكر العربي الإسلامي. وهنا تجدر الإشارة إلى عدة أمور:

أولاً: هل سلطة المقدس متحققة في الراهن العربي حتى نتحدث عن تراجعها؟. الواقع يؤكد أن تحكيم المقدس غير متحقق على المستوى المؤسساتي وإنما هو على المستوى الفردي، وإذا كان كذلك فهو بهذه الصورة لا يتصادم حتى مع الرؤية العلمانية ويكون الحديث عن تراجعه من قبيل تحصيل الحاصل.

ثانياً: الحديث عن المقدس بهذا الشكل يدل على طبيعة نظرة الخطاب العلماني لسلطة النص المقدس على أنها تأسست في التاريخ وليست سلطة ذاتية، والحدث التاريخي يمكن تجاوزه



(اقتصاد المعرفة) يجعل المعرفة من أهم الآليات التي تحرك العملية الاقتصادية..

ونسخه بحدث تاريخي آخر أقوى منه تأثيرا، ولذلك يستبشر هذا الخطاب العلماني بكل ملمح علمي معتبراً إياه مبشرا بزوال سلطة المقدس، مثلما كانت إشادته في السابق بإنجازات العلم المادي ونتائجه.
بناء على ما تقدم نتساءل هل يصح الاعتقاد بزوال سلطة المقدس؟ أحسب أن الإجابة على ذلك تكون من جانبين:

أولاً: بالنظر إلى ما تضمنه النص المقدس

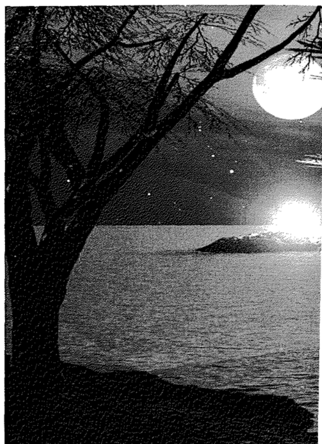
وهذا ما يأخذ به كل مسلم أولاً
وثانياً لأن الذين يكتبون هذا الاتجاه يقدمون أنفسهم على أنهم مفكرين مسلمين، وإنما اختلفوا عن غيرهم بأنهم استوعبوا الواقع وتحولاته أكثر من غيرهم ولذلك كانت قراءاتهم مختلفة. والنظر إلى مضمون النص يقتضي أن ننظر إلى القرآن الكريم من جهة وإلى السنة النبوية من جهة أخرى. فبالنسبة للقرآن، فهو المرجعية الكبرى لأي عمل إسلامي إلا إذا لم يرد بيان حكم ذلك العمل فيه، ولذلك لا يجوز للمسلم أن يتخلى عن هذه المرجعية مهما كان الأمر، ولا أن يأخذ بغيرها قبل العودة إليها، فالمسلمون اتفقوا: "على أن القرآن الكريم حجة يجب العمل بما ورد فيه ولا يجوز العدول عنه إلى غيره من الأدلة إلا إذا لم يرد فيه حكم الحادثة التي يبحث عن حكمها"(١).
وقد قامت الأدلة المختلفة على أن القرآن الكريم مرجعية عمل تستوعب الزمان والمكان وذلك لاعتبارات عدة منها: طبيعة هذا القرآن ذاته، ومنها ما تضمنه من آيات توجب العمل به وعدم جواز تركه، ومنها إجماع المسلمين وعدم اختلافهم في هذه المسألة: أي أن القرآن المصدر التشريعي الأول.
فبالنسبة لطبيعة القرآن الدالة على أنه حجة على الناس، وأنه يجب اتباع أحكامه وأنه المرجعية الأولى للأعمال في الإسلام وكونه من عند الله عز وجل وقد قامت الأدلة على إثبات مصدره الإلهي، ومن هذه الأدلة إعجازه: فالقرآن كلام معجز ويشير المهتمون بالبحث في مسائل الإعجاز أن الإعجاز لا يتحقق إلا إذا توفرت ثلاثة شروط هي(٢):

- التحدي: أي طلب المعارضة
- أن يكون المقتضى الذي يدفع إلى التحدي قائما.
- أن يكون المانع من المعارضة منتفيا

وهذه الشروط الثلاثة قائمة وتتوفر عليها آيات القرآن الكريم: فالتحدي ورد في آيات كثيرة منها



من خلال هذا المصطلح (اقتصاد المعرفة) ظهرت كتابات تصطدم مع المعتقد الإسلامي..



المنظرون للخطاب العلماني عملوا جاهدين للقضاء على سلطة التشريع الإسلامي (المقدس)..

قوله تعالى: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} (البقرة/٢٤). وأما قيام المقتضى للمعارضة عند العرب الذين شهدوا نزول القرآن الكريم فمتحقق أيضاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأنه رسول من عند رب العالمين وأبطل معتقداتهم فكانوا أحوج ما يكونوا للرد عليه ولكنهم لم يفلحوا. وأما انتفاء المانع من معارضة القرآن الكريم فهذا المانع منتف؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وكان القوم الذين نزل فيهم يفهمونه جيداً ولكنهم عجزوا عن التحدي.

من هنا فأحد أوجه كونه مرجعية عمل طبيعته المعجزة التي تؤكد مصدره الإلهي. كما نجد هذا الأمر متداولا عند علماء الإسلام في القديم؛ فالإمام ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام جعل من أبواب كتابه بابا بعنوان: في الأخذ بموجب القرآن، مما جاء فيه: "لما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا والذي ألزمنا الإقرار به، والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال فيه للشك، أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهور في الآفاق كلها وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع إليه"(٣). إذن فخصائص القرآن الكريم الذاتية كإعجازه أحد الأدلة التي توجب الأخذ به واعتماده المصدر الأول للتشريع لا يجوز للمسلم أن يحيد عنه، وكان هذا بإجماع مختلف المذاهب والفرق الإسلامية فلا خلاف بينها على وجوب الأخذ بما في القرآن(٤).

ثم بعد ذلك نجد أن القرآن تضمن آيات توجب العمل به وعدم إباحة الاعتماد على مرجعية أخرى بالنسبة للمسلم مثل قوله تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمْرِهم} (الأحزاب/٣٦) وقوله تعالى: {إن الحكم إلا لله} (يوسف/٥٧) وقوله تعالى: {ومن لم يَحْكُمْ بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} (المائدة/٤٤). ومن السنة كذلك هناك أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم توجب العمل بما في القرآن أولاً، مثل حديث معاذ، فحينما سأله النبي صلى الله عليه وسلم: إذا عرضت لك مسألة فبم تحكم؟ قال بكتاب الله فأقره النبي صلى الله عليه

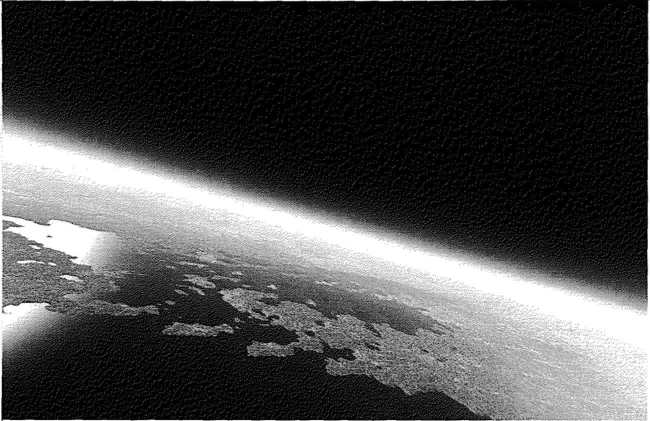
وسلم على ذلك، ولهذا حينما تأسس علم أصول الفقه روعي فيه ذلك الترتيب الذي ورد في الحديث وكان الكتاب المصدر التشريعي الأول. وقد تجلى هذا النمط التوظيفي للقرآن الكريم بعد تأسيس العلوم الإسلامية، وبروز القراءات التأويلية، فكانت كل هذه العلوم تستمد مادتها من القرآن الكريم، وتهدف إلى إقامته والعمل به والدفاع عنه وكان ذلك الأمر في الفقه مثلاً ببيان الأحكام الشرعية وكيفية الالتزام بها. وفي علم الكلام ببيان المسألة العقدية والدفاع عنها.. إلى غير ذلك.

أما بخصوص السنة النبوية، فهي المرجع الثاني للأعمال في الإسلام بعد القرآن الكريم، وقد قامت على هذا أدلة من القرآن والسنة. توجب الأخذ بسنة النبي عليه الصلاة والسلام وعدم جواز تركها بحال. فمن القرآن الكريم وردت آيات كثيرة توجب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرسول فقد أطاع الله} (النساء/٨٠). وقوله تعالى: {إن الذين يُبَايِعُونَك إنما يبايعون الله} (الفتح/١٠)، وقوله تعالى: {فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسَلِّموا تسليما} (النساء/٦٥).

هذه الآيات القرآنية وغيرها كثير، تفيد الأمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بل نجد القرآن الكريم يحذر من مخالفته صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى: {وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مُذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون} (النور/ ٤٨، ٤٩، ٥٠). والأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة سواء في حياته وبعد وفاته. ففي حياته صلى الله عليه وسلم أخذ عنه الصحابة الكثير من أمور الشرع منها ما تعلق بالصلاة مثلا كهيئتها، وأوقاتها، وعدد ركعاتها، وغير ذلك من الأمور التي جاءت مجملة في القرآن الكريم، واقتضت معرفتها الرجوع إلى السنة النبوية، وقد كان الصحابة يطيعون النبي صلى الله عليه وسلم، ويعودون إليه في تفسير أحكام القرآن الكريم ويحكم بينهم في المنازعات ويحل بينهم الخصومات، وكانوا يلتزمون حدود أمره ونهيه ويتبعونه في مختلف أعماله ومعاملاته وعباداته(٥). ولذلك كان يبين لهم كيف يأخذون عنه مناسكهم لقوله صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني مناسككم". وقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي".

وكما ذهب الصحابة إلى القول بوجوب طاعته في حياته، قالوا بها بعد وفاته أيضاً؛ لأن الأحاديث الدالة على ذلك عامة لم تقيد طاعته بحياته دون وفاته، فقد وردت في ذلك عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي". بناء على هذه النصوص الواردة في القرآن والسنة بنى علماء الإسلام قولهم بحجية السنة واعتبارها مرجعية عمل في الإسلام بعد القرآن الكريم، فالإمام الشافعي في الرسالة وهو يعدد أوجه البيان يقول: "ومنه ما سن رسوله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل"(٦).

ويستدل الغزالي على حجية السنة بقوله: "قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة لدلالة المعجزة على صدقه، ولأمر الله تعالى إيمانا باتباعه، لأنه: {وما ينطق عن الهوى إنْ هُو إلا وحي يوحى} (النجم/٤)(٧). كما بين علماء الإسلام مكانة السنة



النبوية التشريعية بالنسبة للقرآن الكريم، ومن ثم لا يمكن الاستغناء عنها كمرجعية عمل فهي بالنسبة للقرآن: إما مفصلة لمجمله، وإما مقيدة لمطلقه، وإما مخصصة لعامه، وإما مبينة لحكم سكت عنه القرآن الكريم، وإما ناسخة لحكم نزل به.

من خلال هذا يتبين لنا أن السنة النبوية مرجعية عمل، وقد وظفت على هذا الوجه منذ عهد النبوة، فالسنة هي التي بينت تفصيل فريضة الصلاة، كما أن الصحابة كانوا حريصين على تقليد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأخذ بأقواله وأفعاله وتطبيقها. وهذا مما يدل على أنهم كانوا يوظفونها على أنها وحي موحى وليست مجرد أقوال أو أفعال متعلقة بأمور دنيوية ليس لها أية سلطة تشريعية: أي خلاف ما يتردد في الكتابات العلمانية التي تنكر حجية السنة أصلاً بدعوى أنه لا دليل على ذلك من القرآن أو من السنة نفسها.

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما منهاج حياة المسلم، وأي اصطدام معهما هو اصطدام مع (المقدس)..

وهؤلاء هم الذين صاروا يسمون أنفسهم بالقرآنيين في الراهن.

ثانياً: الدليل التاريخي

وهو الوجه الثاني الذي يمكن أن يرد به على القول بأن سلطة المقدس في تناه وآيلة إلى زوال ويتمثل في أمرين أساسيين:

أما الأول فهو اعتراف كبار المنظرين للخطاب العلماني بصعوبة القضاء على سلطة المقدس؛ فمثلا محمد أركون رغم اجتهاده الكبير في التنظير والتبرير للعلمانية، ورغم قراءاته التفكيكية الناقدة للنص الإسلامي، ورغم استخدامه لمختلف آليات

القراءة في ذلك نجده يعترف بأن النص الإسلامي كان ولا يزال: "عبارة عن بنية محركة للوجود ومترجمة إلى تجسيدات وجودية عديدة ومتغيرة"(٨). ويعلق هاشم صالح مترجم أركون شارحا عبارة أركون هذه بقوله: "القرآن يحرك الوجود في كل جيل؛ لأن كل جيل يقرؤه ويفسره ويستمد منه المعنى ويعيش عليه وبالتالي فلا يمكن اعتبار القرآن ذا قيمة تاريخية فقط، فما دام يؤثر على عقول الناس وسلوكهم عن طريق أداء الشعائر والعبادات وعن طريق تلاوته فسوف يظل حيا محركا للوجود"(٩).

وفي هذا اعتراف بأن القرآن مازال يمارس سلطته، ولا يزال يشكل مرجعية عمل بالنسبة للمسلمين، كما نجد اعترافا ضمنيا بأن انتصار العلمانية نظريا لم يتحقق بعد بل قد يتعذر تحقيقه بشكل شمولي طالما أن القرآن- مقدس- حي محرك للوجود. وأمام الاعتراف بهذه الحقيقة التي نؤمن بأنها باقية اتجه الخطاب العلماني إلى البحث في سر ممارسة المقدس لسلطته بغرض الكشف عن آليات تلك السلطة ومن ثم العمل على محاصرته فيستبشر بأي إنجاز علمي ويعلق عليه الأمل على أنه الذي سيقضي على سلطة المقدس.

كما نجد اعترافا آخر لدى محمد أركون بخصوص القرآن فقد قال عنه بأنه له قابلية بأن يعني(١٠) أي أن قدرته على إنتاج المعنى وتوليده هي قدرة مستمرة. وهذه الخاصية هي التي ينطلق منها الخطاب الديني في بيان صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان. فكيف يمكن حبس هذا المعنى المستمر في إطار (زمكاني) وثقافي معين واعتباره خاصاً بذلك الإطار رغم توفره على القدرة على إنتاج المعنى؟! وكيف يمكن أن يتخلى عن الاحتكام إليه إذا كانت هذه هي خاصيته؟.

سنة ١٩٧٧ كتب محمد أركون مقالا بعنوان: الإسلام التاريخية والتقدم، نشرته مجلة الأصالة، ثم أعيد دمجه ضمن كتابه الفكر الإسلامي قراءة علمية، مما جاء فيه أن المسلمين بدأوا يتحولون من اللامبالاة إلى التاريخ الأرضي الذي لا صلة له بالمستقبل الأخروي في نظر أركون(١١). وكان هذا الحكم على الموقف الإسلامي الذي ينم عن مراقبة له، واستشرافا لتحولاته أيضاً في نظر صاحبه مؤسسا على سند واقعي وليس على سند ميثي كما يقول محمد أركون، ولكن نبوءة أركون سرعان ما تلتها أحداث أخرى مفندة لها لعل أقربها إلى زمن تلك النبوءة انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، وهذا ما جعل أركون يعترف بفشل نبوءته تلك بعد مضي ٢٠ سنة أي سنة ١٩٩٧، وقد أشار إلى ذلك في كتابه الفكر الأصولي واستحالة التأصيل الذي صدر سنة ١٩٩٧.

كما أن نظرة الخطاب العلماني إلى المقدس كونه تقدس في التاريخ كانت نظرة متذبذبة إلى درجة أنها تبدو متناقضة يتجلى ذلك مثلا من كلام نصر حامد أبو زيد وهو يتحدث عن القرآن محاولا إثبات تاريخيته وانحساره كمرجعية وأنه منتج ثقافي، إذ راح يبحث في التراث عن سند يستند إليه فأنكر أزليته محاولا في ذلك الاعتماد على مقولة خلق القرآن الاعتزالية فأكد من خلالها أن أزلية الكلام الإلهي ليست من العقيدة، ثم نجده في ذات الموقف لا ينكر ذلك فيقول في تقرير متناقض: "إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر

الفكر الإسلامي يظل ممتداً عبر كل الأزمنة، يجيب عن كل الأسئلة الصعبة..



من ثم إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص. إن الإيمان بالمصدر الإلهي للنص ومن ثم لإمكانية أي وجود سابق لوجوده العيني في الواقع والثقافة، أمر لا يتعارض مع تحليل النص من خلال فهم الثقافة التي ينتمي إليها"(١٢).

إن هذا النص يتضمن تناقضاً صارخاً في مسألة الكلام الإلهي، فمن جهة يلغي الأسبقية الميتافيزيقية له ومن ثم أزليته وهذا ما يؤكد تاريخيته في نظر صاحبه، ومن جهة ثانية يطرح إمكانية ذلك، الأمر الذي جعل أحد النقاد يعتبر ذلك تلفيقا منهجياً وفضيحة(١٣).

أما الأمر الثاني: فهو طبيعة وجود الحركات الإسلامية في الواقع السياسي العربي هل هو في تراجع أم في تقدم؟. من دون أدنى شك أن الكثير من الحركات الداعية إلى الاحتكام إلى سلطة المقدس في تقدم وفي تنام وعرف هذا على مستوى الانتخابات التي أجرتها بعض الدول الإسلامية، ومنها تركيا التي كانت ولأمد طويل نموذج العلمانية، وكيف تراجع الفكر العلماني فيها واحتل الفكر الديني مواقعه... إلخ.

بل نجد حتى عند غير المسلمين اهتماما متميزاً بالفكر الديني والعودة إلى تفعيل المقدس والاحتكام إليه. تشير بعض الدراسات التي كتبت عقب وفاة البابا يوحنا بولس الثاني أن أتباع الكنيسة في الفترة التي استلم فيها البابوية إلى وفاته ازداد بنحو ٢٥٠ مليون من اتباع الكنيسة الكاثوليكية.

هذه بعض الشواهد الدالة على استحالة التخلي عن الاحتكام إلى المقدس من الناحية التاريخية، والدالة على الاعتقاد به من الناحية الشرعية. وإذا كان اقتصاد المعرفة في جوهره يعتمد على المعلومة، فيجب أن لا يغيب عنا أن الإسلام ظهير للعلم، ظهير للإبداع، مكرم للإنسان.

الهوامش:

(١) وهبة الزحيلي: علم أصول الفقه، دار الفكر ط١ (١٩٨٦)، ج١، ص٤٣١

(٢) المرجع نفسه، ص٤٣٢/ ٤٣٣

(٣) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، ط١ (١٩٨٤)، ج١، ص٩٢

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، دار الوراق، ط١ (٢٠٠٠)، ص٧٠.

(٦) الإمام الشافعي: الرسالة، تحقيق وشرح أحمد شاكر المكتبة العلمية، ص٢٢.

(٧) الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق، محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٩٩٧) ج١، ص٢٤٦

(٨) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، دار الساقي، ط٢ (٢٠٠٢)، ص٤٧

(٩) هاشم صالح في تعليقه على نص اركون/ نفس الصفحة.

(١٠) محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المركز الثقافي العربي، ط٢ (١٩٩٦)، ص٢٧٤

(١١) مجلة الأصالة، العدد ٤٩/ ٥٠، ص٣٩

(١٢) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، ط٥ (٢٠٠٠)، ص٢٤

(١٣) علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، ط٢ (١٩٩٥)، ص٢٠٩

بين رزانة العقل وشطط العاطفة

من ذكريات العمر

عدت إلى بغداد وفي نفسي حب عارم وشوق كبير لبغداد ، مَنَّ الله عليَّ بالحصول على مفتاح الأبواب التي أُغلقت أمامي بكل قوة وتبارت الكليات التي رفضت أن اعمل فيها أن أكون أحد المدرسين فيها، سبحان الله على هذا التغيير، قبل سنتين أغلقت الأبواب ولما جاء حرف الدال من جامعة لندن شُرِّعت لي الأبواب وسعدت بأن أكون مدرسا في الأدب..

كان في القسم عدد من المتخرجين من مصر وهم الأكثرية ومنهم من تخرج من السوربون. كانت الألفة والصحبة والحب هي التي سيطرت على قسم اللغة العربية وكانت الزيارات والسفرات تجمع بين أعضاء هيئة التدريس وما أجمل الحب والإخاء والتعاون بين الزملاء في كل عمل وفي كل مهمة.

كان العراق يسير سيراً حثيثاً في طريق التطور





ا.د يوسف عزالدين
لندن

والتجديد برغم المعوقات الكثيرة، وكان مجلس الإعمار قد خطط لكل صغيرة وكبيرة في الطرق والري والتعليم والمدارس ولم ينس حتى وضع خريطة كاملة للمجمع العلمي العراقي.

ولكن للأسف أقولها فإن الشعب العراقي كان يقلب الحقائق ويقول: المدارس هي ثكنات للإنجليز والطرق لسير الدبابات الانكليزية والسدود للطائرات المائية الإنجليزية. والغريب أن هذه الأقاويل تجد رواجاً عندنا وتروى من دون أن نفكر فيها، وبذلك كان الشعب يكره الدولة وللأسف إن الأحزاب القومية والتقدمية وأصحاب المصلحة يروجون هذه الإشاعات ونصدقها ونصب الكراهية على الأمير عبدالله الوصيّ على عرش العراق بالدرجة الأولى وعلى نوري السعيد وعلى صالح جبر بالدرجة الثانية لأنه أصبح رئيساً للوزراء واقترن اسمه بنوري السعيد.

هذه الكراهية من جراء الاشاعات سرت بين كل الناس وكأنها حقائق لايعتريها الباطل. وأقولها بمرارة، لذلك عم الفرح وسادت الجماهير غبطة عندما صار الانقلاب ١٤تموز ١٩٧٨م وانطلقت العاطفة الجامحة تهدم وتخرب وتقتل وتسلب لتفرغ شحنة الكراهية التي غرستها الأحزاب في نفوس ابناء الشعب.

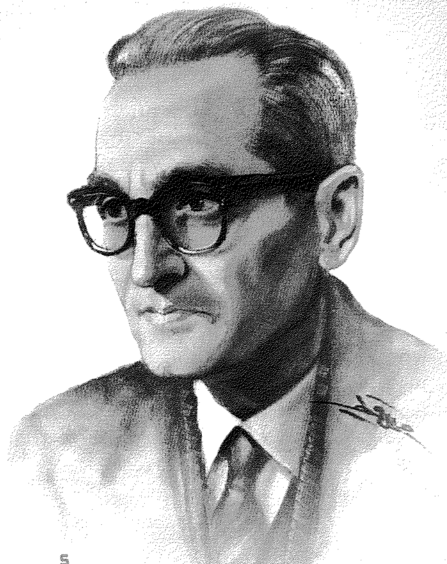
إن الانقلاب الذي قام به عبدالسلام عارف وسانده فيه عبدالكريم قاسم وجماعة الضباط صَبّ الويلات والمصائب على العراق واستمر يعاني من جراء هذا الانقلاب حتى هذا اليوم، وليت الأمر انحصر في أبناء الشعب وانما المؤلم انه دخل الجامعة وساعد على هذا من هو أولى بالبناء، إنهم أساتذة الجامعة وسرت للأسف الكراهية في قسم اللغة العربية وتفرق الصَحبُ وتنافرت الغايات، وقلدهم الطلاب.

وكنت في هذه الفترة وكيل كلية الآداب وما يسمونه في العراق معاوناً للعميد، فهالني هذا التغير في المجتمع العلمي بين الطلاب وأخذ يعتدي بعضهم على بعض وبقساوة عجيبة ولما تسلط اليساريون على الحكم بدأ الطلاب يهاجمون الأساتذة دون وازع علمي أو احترام للصلات، وسارعتُ لإنقاذهم بوساطة الجيش، والغريب أن اليساريين أرادوا حرق سيارة احد الأساتذة.

ولما انقلبت الأمور وجاء أفراد من الحرس القومي كالوا لإخوانهم بالكيل نفسه.

الانقلابات كلها دافعها حب السيطرة والسطوة وحب الحكم، وتدعي الحرية وهي أوّل من يقتل الحرية في البيان الأول.

والمؤلم أن أعضاء هيئة التدريس تفرقوا وبدأت الحرب والكراهية بين قادة الأدب والفكر وأسهموا في مساندة هذه الاضطرابات المدمرة. وبذلك كان الانقلاب وبالاً على أهل العراق.. والانقلابات في الوطن العربي أساس التغريب والتفرقة.. فهل يفهم بعض هؤلاء النتائج التي وصلت لها الانقلابات والتي يسمونها ثورات.



محمود تيمور.. وأنا..

رستم كيلاني - مصر -

أسجد لله شكراً.. بأن ظروفي الصحية فرضت عليَّ اعتزال أضواء المجتمع الأدبي، وأصبحت بعيداً عن الحياة الأدبية التي تسربت إليها بعض الطفيليات المدعية الكتابة والأدب فأصابتها بالأمراض. مما جعل أكثر الكتاب من الجنسين الذين يحترمون كلمتهم فضلوا -الظل- والابتعاد عن حضور المنتديات في هذه الآونة على فقدان الكرامة.. بسبب عدم معرفتهم بالخوض في تلك اللعبة التي يحياها المناخ الآن من المتأدبين من طباع سوء، ومعارك خفية، وحقد وكراهية، وجحود، ونكران لمن سبقونا، ومعاول هدم لكل القيم، كل هذا يدور في كثير من أروقة المنتديات للأسف الشديد.. والشديد جداً..

فلقد عشت الزمن الجميل؛ ومازلت أعيش- وأنا على هذه الحال- بذكرياتي بعين خيالي.. في زمن العمالقة الأفذاذ على مقربة، ومرقبة منهم، فلقد تتلمذت على أيديهم، وعلى الأخص أستاذي خالد الذكر الذي لم يغب عني لحظة محمود تيمور..
ومن فرط إعجابي، والافتتان به ولشخصه الوديع الإنساني، وفنه الصادق العميق، وبخلقه الحسن، وانسانياته الحميدة، وبقلمه البليغ، وحديثه الرائق، وتفكيره الدقيق، وأناقة عبارته، كما كان هو أنيق الملبس.. قلدته في كل ما أعجبني فيه فكراً، ومظهراً، وصادقته في حب حتى انتقل إلى أوسع الرحمات..
وقد صدق أستاذنا العلامة، الباحث الإسلامي المدقق أنور الجندي- يرحمه الله- عندما قال:
(محمود تيمور.. هو الرائد القصصي الأول في الأدب العربي الحديث كله.. معتدل الرأي لم يسرف، ولم يتطرف، ولم تحمل قصصه أي لون من ألوان الحقد على المجتمع، أو السخرية بالإنسانية، أو الذهاب إلى مذهب هواة الكشف والاستهتار وإرضاء الغرائز والاستجابة لرغبات الجماهير..)..
كان أستاذنا محمود تيمور يطلع على كل جريدة ومجلة تصدر في مصر والعالم العربي، ويقوم بتصفح هذه الصحف والمجلات وهو جالس في مكانه في مشربه المعتاد، فإذا نهض تركها- عن قصد- لمن يريد القراءة والإطلاع عليها من صحابه.. وجلسائه ومريديه.. ويعتبر هذا دعوة للثقافة بدون إحراج!!
وفي الصيف وأثناء وجود أستاذي الراحل «محمود تيمور» بالأسكندرية كان يقوم بحجز غرفة لي في أفخم فنادق الأسكندرية المواجهة للبحر والقريبة من منزله لأكون بجانبه في اللقاء اليومي مع راحلنا الأصيل توفيق الحكيم في كازينو)بترو).. ومن أخلاقيات «تيمور بك» ذلك الإنسان الراقي، المهذب الواسع الشهرة المتواضع أنه كان حينما يريد لقائي كان يرسل لي مساعده يستأذن مني في المقابلة والموعد الذي يناسبني، على الرغم من أنه كان صاحب فضل في حجز حجرتي بالفندق والذي يستأذن ليجيء ويقابلني في مشربه لجلستنا المعهودة..
كان راحلنا «تيمور بك» يرى أن لكل إنسان خصوصيته التي لا يحق لآخر اقتحامها حتى ولو كان أستاذه.. رغم أنني كنت، وما زلت وسأظل إلى أن يحين اللقاء من أشد المعجبين به ومن أقرب تلاميذه، ومريديه.. الذي اقتفيت أثره في فنية القصة، وكيف تصاغ، وأعتز بأستاذيته أيما اعتزاز.. حيث اتخذت نهجه إماماً لي..
وفي الحق هذه السطور سقتها تذكيراً بفضله، وما أكبر فضله..
وإذا التقينا اليوم على اسم أستاذي «محمود تيمور» فإنما نلتقي لنشيد فيه عما يجيش في نفوسنا نحوه، ونحو مثاليته، وسلوكياته، وريادته، فلقد قدم الكثير من كتب الشباب في الفن القصصي والأخذ بأيديهم..
ذلك الرائد الذي أعترف دوما بفضله، وبحسن صنيعه، والذي قال فيه أستاذنا المرحوم الدكتور رشاد رشدي- الذي ظلم حياً وميتاً- عطر الله ذكراه:
(...لقد أعطانا محمود تيمور الكثير الذي أثرى وجداننا، واختلط بدمنا جيلا بعد جيل.. لقد خرجنا جميعا من عباءة تيمور...)
في الحق لقد تعلمت من أستاذنا الراحل محمود تيمور الذي استزرع القصة القصيرة على ضفاف الأدب العربي الحديث، وقد أخذت على عاتقي أن أردد على مسامع كل حامل قلم جديد كل ما تعلمته من هذا الرائد، صاحب القلب الذي لم يعرف الاستعلاء يوماً..

- **تعلمت من «محمود تيمور» الكثير، وما سأذكره في هذه العجالة قليل من كثير..**
- **تعلمت أن الأدب في أبسط تعريف هو التعبير عن الحياة..**
- **تعلمت أن الأديب إنما هو إنسان يجب أن يتحلى**

بالأخلاق قبل كل شيء..

- تعلمت أن الكتابة شعور بالمسئولية، ودراسة، وأصول، وعلم إلى جانب الموهبة الشخصية..
- تعلمت أن الفن الصادق هو الفن الذي يجد له الناس على اختلاف ألوانهم، وتفاوت مداركهم صدى في الأفئدة، وتجاوبا في المشاعر..
- تعلمت منه الدقة في اختيار اللفظ المناسب، وجمال العبارة، وتناسق الجمل، وكانت هذه الدقة من خير مزاياه وقد عرف بها..
- تعلمت أن الكاتب لا يكثر من الكتابة اكثاره من القراءة، بل و لا يقسم وقته بينهما بالسوية.. فإن ادمان القراءة للأعمال الفنية خليق أن يذكى حس الكاتب، ويرهف ذوقه، ويجلو كوامن مواهبه، ويهز القلم في يده..
- تعلمت منه أن أحذر أن يهزني الثناء إذا كتب لبعض أعمالي التوفيق والنجاح حتى لا أظن أنني قد بلغت المنى وفصل الخطاب وحتى لا يذهب بي الغرور إلى أنني قد ودعت عهد التلمذة، وغنيت عن الدرس والاطلاع..
- تعلمت أن الأديب الفنان مرآة للحياة، مرآة للمجتمع، مرآة للإنسانية في محيطها الواسع، وآفاقها الرحيبة..
- تعلمت أن الكاتب يجب أن يعيش في قصة ويتلبس بالشخصية التي أخذها لمعالجته..
- تعلمت أن القصة عامل من عوامل التحبيب في الخير، والتنفير من الشر، ولون من ألوان الدعوة إلى الحق، والنهي عن الباطل..
- تعلمت أن الأسلوب وسيلة لإبلاغ الفكرة.
- تعلمت منه أن الأدب رسالة اجتماعية، فيجب أن يعكس صورة المجتمع الذي نعيش فيه..
- تعلمت أن الكاتب إن وجد في نفسه حرارة الاستجابة للكتابة فليكتبْ والا فليُمسكْ.. ولا يفرض على نفسه شيئا..



د. يوسف السباعي

وبينما كنت في لمَّة من الرفاق أتحدث إليهم عن التجاهل والتعتيم والتعميـة.. والتكميم لتيمور- المأسوف عليه- وشمائله، وأنه صاحب صيحة: (إن الكاتب يجب إن يتحلى بالأخلاق قبل كل شي..)

بادرني الصديق الصفى المرحوم الأستاذ حسين فؤاد رزق الذي عرفناه رفيق رحلة العمر الإداري والأدبي لراحلنا الكريم رجل السيف والقلم يوسف السباعي الذي استشهد برصاص الغدر والخديعة؛ والذي حرص هو ورفقاؤه الذين أنشأوا (نادي القصة) أن تكون من أهم شروط عضوية النادي «أن يكون عضو (نادي القصة) انسانا محترما».. برسالة خطية وشخصية من أستاذنا «محمود تيمور» صاحب الكلمة الطيبة التي كانت تسبق لسانه فتخرج من شفتيه معطرة، وذلكم نص الرسالة التي تفصح عن سموِّ أخلاق، وطرفة أدبية جميلة من صاحب الذكرى، ومن صديقناً المرحوم الأستاذ حسين رزق.. الذي كان بجانب عمله الكثير يقوم بحبٍّ بالإشراف، والتنسيق لحفلات رواق «محمود تيمور» بـ(نادي القصة).. في عصره الذهبي..

عزيزي الأستاذ حسين رزق

تحية طيبة وكل عام وأنتـم بخير. وبعد فتجدون طيه نـص الدعوة التي بعثت بهـا إلى نخبة من أصدقائي الأدباء وأحتسـب أنكـم اطلعتم على السـطر الأخيـر الخـاص بحفلة الشـاي. وقد أطمعني كرم خلقكم وما رأيته منكم من سـالف معروف أن أرجوكم في تدبير أمر «الشـاي» كما عهدتـه فيكم مـن ذوق مصفى، وحسـن رعاية واهتمـام. ولعلنا ظافـرون على مائدة الشـاي العتيـدة بألوان الفطائر والشـطائر، والخبزات، والمعجنات، والعصى الملحة، واللقيمات المحلاة، والكسر المبرقشة إلى غير ذلك من طرف الحلوى، شكولاً وأفانين..

ولكم أوفى شكر واحترام

(محمود تيمور(١٩٥٨/٤/٢١–

لعل أصدق ما أختتم به هذه الأسطر عن أستاذنا محمود تيمور..

أن أذكر مما كتبه في رثائه صديق عمره خالي الشاعر الراحل «قاسم مظهر» إذ يقول في هتفة صادقة:

عش في جوار الله واسعد عنده
فسلامه للواصلين متاح
واخلد حبيب العمر واغنم هانئاً
بنصيبك الموفور فهو رباح

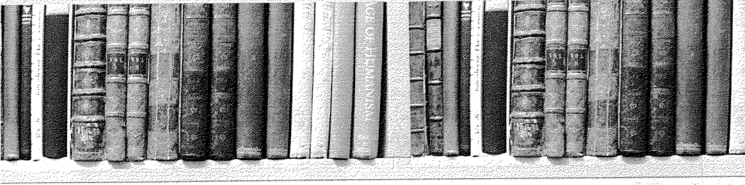
يرحم الله «محمود تيمور» المعلم الضخم من معالم حياتنا الأدبية بمبادئه السامية، وأخلاقه الحسان، ويرحمنا نحن الذين لم نرحل بعد.. ولا أزيد..

إضـــــاءة:

رستم كيلاني

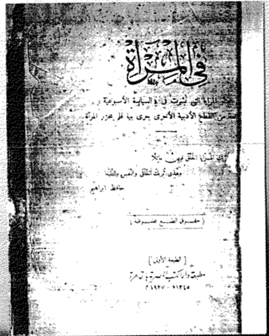
"رسـتم كيلاني كاتـب يملي على قلمه مـا في قلبه الخفـاق، قصصه تمتاز بعاطفتها الإنسـانية الأخاذة».(محمود تيمور)

- ولد رسـتم كيلاني فـي(١٧ من نوفمبر (١٩٤٢ بالقاهـرة في حي)عابدين(وبـدأ كتابة القصة عام ١٩٥٨ أي في السادسـة عشـرة من عمره فلقد حباه الله تعالى بعوامل وراثية وبيئية أثرت في شخصيته الأدبية وأعانته على هذا الإبداع القصصي المبكر، فوالده يهوى الرسم، والنحت، والشعر، وعمه أديب ويهوى كتابة الخط العربي وله محاولات قصصية، وخاله شاعر من الشعراء المعاصرين.
- تعلم رستم كيلاني في المعاهد العلمية المصرية، ثم أقبل على الآداب العربية، والغربية فقرأ الكثير من مؤلفات أعلام الأدب العربي والأجنبي مستعيناً في مطالعاته بهدي خاله الشاعر الأستاذ «قاسم مظهر»، كما تأثر إلى حد كبير بأستاذه فقيد القصة العربية «محمود تيمور».
- ويعتبر رسـتم كيلاني أحد خريجي مدرسـة «محمود تيمور» القصصية)الإبداعية(الأصيلة التي تؤمـن بأن الأدب لابد أن يكون هادفا، وأن المجتمع الأخلاقي الذي يسـير في طريق البناء إذا أراد الأديب أن يعبر عنه فنيا فلا وسيلة له سوى الواقعية الواضحة، الفاضلة، البناءة.
- نشـرت معظم آثار قلم)رستم كيلاني(بكبرى الصحف والمجلات المصرية، والعربية، كما قدمت له الإذاعة المسموعة والمرئية بعض أعماله، وأخرج من كتبه القصصية جملة.
- سجل اسمه ضمن شخصيات الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة التي أصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات، حصل على درع التكريم من (نادي القصة).
- عضو إتحاد الكتاب.
- عضو نادي القصة.
- عضو جمعية الأدباء.



فـــي المــــــرآة

كان هـذا الكتـاب هـو الأول في بابه، وظـل كذلك لم يحذ حذوه أحد فـي كتاب مجموع، لأن بعـض الكبار قد حاولوا احتذاءه في مقالات نشرت في الصحف، ولم تجمع، وظل كتاب (في المرآة) مثلا للأسلوب التصويري المجسم لخوافي النفس الباطنة، وملامح الهيئة الظاهرة، وقد أوتي البشرى براعة فيما اتجه إليه، حتى أن كبار الساسة من الزعماء كانوا يسـهرون ليلهم الأطول مرتقبين الصباح إذا علموا أن البشـريَ سيخرج بمقال تصويري عنهم في جريدة الغد، وهم لا يملكون دفعا لنقده، لأن الأديب الكبير يكسر العظم الخافي، ولا يمس الجلد الظاهر فهو بمنأى عن المؤاخذة القانونيـة، وظـل الرجل متفـرداً بمواهبه التي لا يكاد يشـاركه فيها أحد، هـذه الموهبة التصويريـة تؤازرها موهبة أخـرى هـي خفـة الروح التـي تبعث بالنكتـه الطريفة ذات اللفـظ المضحك والمعنـى الموجع، وهي لا تبعـد عن موهبة التصوير القلمي، فكلتاهما تنزع من دوحة واحدة.


في المرآة

تأليف: الأستاذ عبدالعزيز البشري

وهــذا الانفــراد الأدبي المرموق عناه الشــاعر الكبير الأســتاذ خليل مطـــران حــين قال في رثاء البشرى

أخلا من البشريَ عصر ما به

من ذلك النمط البديع اثنان!

وقد عبّر البشرى في مقدمة كتابه عن الغرض من هذه الصور التي ينشرها في مرآته فقال: والغاية التـــي تذهب إليهـــا المرآة هي تحليل شـــخصية من تجلوه للناس، والتســلل إلـــى مداخل طبعه، ومعالجة ما تدســـى من خلالـــه، ونفض هذا على القارئ في صورة فكهة مســتملحة، وهذا النوع من البيان إنما ترويناه من كُتَّاب الغرب وما فتئنا نقلدهـــم فيه تقليداً، علـــى أن بعض كتاب العرب من أمثال الإمام الجاحظ قد سبقوا إلى شيء من أمثال هذا التصوير البياني الا أنهم لم يَعُنّوا منه

تَسـقُط هنات المرء، والصولة عليها بألوان التندر والتطريف، أما التوسـل بمظاهر خلال المرء إلى مداخل نفســه، ومنازع طبعــه، وإجراء هذا على أسـلوب علمي وثيـق، فذلك ما لم أقــع عليه في منادراتهم ووجوه تطرفهم".

كما وصف الشـاعر الكبير حافظ إبراهيم مرايا البشـرى في بيـت واحد يغنى عـن أبيات، وهو قوله:

تريك المرايا الخلق فيهن ماثلا

وهذى تريك الخلق والنفس والطبعا

ووصف الخلق الظاهرى سهل وصعب، سهل لمن يكتفي بالهيكل البارز، فيرسـمه كما هو، وصعب لمن يتخذ مـن الملامح الدقيقة، والغضون الخافية سـببا لتجسـيم ما يريد من المعانـي، وهذا ما عناه الأسـتاذ البشرى حين قال في المقدمة (ولا يذهب عنك أن شأن الكاتب في هذا الباب كشأن المصـور (الكاريكاتـورى) فهو إنمـا يعمد إلى الموضـع النائي من خلال المرء، فيزيد في وصفه، ويبالغ في تصويره بما يتهيأ له من فنون النكات) والموضع النائـي من أوصاف المـرء الظاهرية، وخلاله الباطنية كان الهدف الذي ينتحيه البشرى دائماً، فإذا كان المؤرخ للشخصية يحفل بالنائي والظاهر معاً، وقد يكون اهتمامه أحياناً بالظاهر تاركاً الخوافي لأصحاب التحليل النفسـي، فإن الكاتـب المصـور غير المؤرخ تمامـاً حين يجعل النوائي هي كل شـيء، وكأنه بذلك يلفت القارئ إلى شـيء لا يظنـه مجال الفحـص والاعتبار، ولأضرب المثل بشـخصيه أحمد زيور باشا أحد رؤسـاء الوزارة السـابقين في مصـر على عهد البشـرى، فقد كان سـميناً بديناً ذا جثة وافية، هذا من الناحية الخارجية، كما كان متساهلاً مع الإنجليز وهم المحتلون الغاصبون تساهلاً لا يقف



أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

عنـد حد. مما كان موضـع نقد جارح! وقد أراد البشرى أن يرسـم المنظر الهائل لجسم الرجل، فكتب في افتتاحية حديثة عنه يقول:

"أما شكله الخارجي، وأوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومسـاقطه الأفقية، فذلك كله يحتاج في وصفه وضبط مسـاحاته إلى فن دقيق وهندسة بارعـة، والواقع أن زيور باشـا رجل- إن صح هـذا *التعبير* - يمتاز عن سـائر الناس في كل شـيء وليس امتيازه في شـكله المهـول، طوله وعرضـه وبعد مداه، فإن في الناس من هم أبدن منه، وأبعد طولا، وأوفـر لحما، إلا إن لكل منهم هيـكلاً واحـدا. أما صاحبنا فـإذا اطلعت عليه أدركـت لأول وهلة أنه مؤلـف من عدة مخلوقات، لا تـدرى كيف اتصلت. ولا كيـف تعلق بعضها ببعض، وإنك لترى بينها الثابت، وبينها المختلج، ومنها ما يدور حول نفســه، وما يدور حول غيره، وفيها المتيبس المتحجر، وفيها المسترخي المترهل، وعلى كل حال، فقد خرجت هضبة عالية مالت من شعافها إلى الأمام شـعبة طويلة أطل من فوقها علـى الوادي رأس فيه عينـان زائغتان، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق..

هذا الرسـم الرائـع للمظهر الخارجـي يجعله البشـرى سـببا لمظهر داخلي يلمس في اتجاه الرجل لمسـا واضحـاً، فزيـور كان متناقضا في أوصافــه، وفي أقواله يقول اليـوم ما يخالفه في الغد، وينطق عن علم تارة وعن جهل تارة فما علة

ذلك في رأي البشرى الحصيف؟ اسمعه يقول: "إذا كان هـذا - التناقـض- ممـا لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد، فقد غلط الناس إذ حسـبوا زيور رجلاً واحـداً. والواقع أنه عدة رجال. وعلى الصحيح هو عدة مخلوقات لا تدرى كما حدثتك كيف اتصلت، ولا علق بعضها ببعض، فإذا أدهشـك التباين في أخلاقـه، وراعك هذا التناقض في طباعه، فذلك لأن هذا الجرم العظيم الذي تحسبه شيئاً واحداً، مؤلف في الحقيقة من عـدة مناطق، لـكل منها شـكله وطبعه وتصوره وحظه من التربية والتعليـم فمنها العاقل، ومنها الجاهل، ومنها الحكيم ومنها الغر، ومنها الكريم ومنهـا البخيل، ومنها المصرى ومنها الفرنسـي ومنهـا الإنجليزي، وكل منهـا يجرى في مذهبه، ويتصرف في دائرته الخاصة!!

أرأيـت كيف علل تناقض الرجـل تعليلاً فكاهياً، إنه جعل زيور يمثل عدة رجال في حجمه الكثير، ولكل رجـل خُلقه الخاص. ولا يوجد تناقض إذن في كل مـا يأتيه زيور، إذ هو عـدة رجال، وكل رجل مسئول عن رأيه الخاص، ولا علاقة له برأي سـواه! لقد تهدى البشرى إلى هذه الحقيقة بعد أن مهـد لها بالوصف الظاهري للجسـم الكبير المؤلـف من عدة أجزاء فـكان هذا الوصف دليلاً وجدانياً لا عقلياً على صحة ما ذهب إليه الكاتب الكبير.

أما خضوع زيور للإنجليز في كل ما يطلبونه من صغير أو كبير، فقد رسم له البشرى صورة تغنى عن كل إسـهاب حين قال بعد أن قرر حقيقة هذا الخضـوع المنتقد من رئيس وزارة في دولة كبيرة مثـل مصر، "لقد زعموا أن بعـض كبار علمائنا الأعـلام، مصابيح الدجى وعمد الإسـلام، بعد ما أعياه الكد والجهد وشـدة الطلب، والسـعي، وطـول الوقوف على الأبواب، والتردد بين مختلف الأحـزاب، في سـبيل وظيفة خالية عـزم أخيراً على لبـس (القبعة) لعله يحظى فـي هذه الأيام بمعونة زيور على إفتاء الديار أو مشيخة الإسلام ومولانا الشـيخ بوجه خاص، لا يعدم ألف فتوى من الشـريعة تحل له هذه الذريعة! والقبعة التي يخضع لها زيور توفر لإذعانه التام للإنجليز.

هذا بعض ما قاله البشـرى في مقاله الرائع عن زيور، وكله جيد مختـار تصويراً وتعبيراً وتهكما ولمحاً وإيمـاء، وتصريحاً في آن وتلويحا في آن، وقد حاول أدباء كبار من طراز البشرى محاكاته فيمـا قـال عن زيـور، لأن البشـرى كان يكتب مقالاته هذه في جريدة السياسـة الأسـبوعية، ولها أخت أخرى تنافسـها أشـد المنافسة، وهي صحيفة الكشـكول، وحـين رأى رئيس تحريرها صدى مقالات البشـرى في باب المرآة، فتح هذا الباب في الكشـكول، واختار لـه أديبين كبيرين حقاً، هما الأسـتاذ محمد الههياوى والأسـتاذ محمـد إبراهيم هلال، وكلاهما مبـدع في بابه، ولـو جمعت آثارهما في كتـاب على نحو ما فعل البشرى، لكان للباحث مجال في الموازنة بين هؤلاء الكتاب، ولكن البشرى وحده هو الذي حرص على جمـع هذه الفصول مما كتب، لأنـه أهمل كثيرا ممـا صور لأمر قام في حسـابه ولا ندريه، فإن كل آثـاره جيد مسـتطاب، ولعلنا نسـتريح إلى موازنـة طارئة يعقدها القـارئ في لحظات تأمله حين نعرض ما كتبه صاحب الكشكول في مرآته عـن زيور، بعد أن ذكرنا بعض ما قاله البشـرى عن الرجل نفسه، إذ يقول صاحب مقال الكشكول بعد مقدمـة طريفة عن خرافة عوج بن عنق الذي كان يسـير في الأرض بقدميه، ويداه في الأعلى تلمسان السحاب!

مـا رأيت زيور مرة إلا حدثتني نفسـي أن أقف بين يديه، فيداه مدلاتان في أعلى الجو كجريدتي

النخلة أو كحبل الشراع، وأنا منهما كالنملة السارية، أو كالذّرة الرامية بل تحدثني نفسي أن أرفع بصري حيث ركّب الله أذنيه على جانبي رأسه، وأصبح مما في طاقتي من صياح مرفوع، وأصرخ بما يبلغ إليه إمكاني من صراخ مسموع، أيها المخلوق الهائل، بحق من أسكنك الهواء، وجعلها منك عتبة للسماء، هات لنا ما ترى وتسمع من أنباء أخيك زحل، وأخبرنا الخبر اليقين عن أبناء عمنا سكان المريخ، فزيور باشا إن كان جبلاً فأنت تسير في سفحه مائة عام، وإن كان سهلاً فأنت تضرب في فضائه الأخبية والخيام، وإن كان بحراً فهو قادر أن يبتلع البر في جوفه، وإن كان براً فهو ضمين بأن يشرب البحر حتى ينكشف قاعه، وإن كان معدنا فهو منجم لا ينفد، وإن كان محصولاً فهو مخزن لا يفرغ، وإن كان واحداً فهو زحمة بين الأرض والسماء، وإن كان متعدداً فأين مصلحة الإحصاء؟

وهذا كله وصف ظاهري مبدع، ولكننا في حاجة إلى وصف داخلي كالذي تدسس إليه البشري، وقد ألم الكاتب بقليل من ذلك حين تحدث عن تعلم زيور في مدرسة الجزويت وهو تلميذ، منزل بين النصرانية والإسلام منزلة وسطى حتى لقد يسأله صاحب الدير أن يزوره في الدير فيجيبه مسروراً، ويسأله ذلك إمام المسجد فلا يتردد.

ولا تعفي الصداقة العريقة عبدالعزيز البشرى من التندر القارص، على أعز أصدقائه، وأثرهم لديه، فقد كان البشرى من أخلص أصدقاء شاعر النيل حافظ إبراهيم، وكانا لا يكادا أن يفترقان بعد انتهاء عملهما الرسمي في الوظيفة الحكومية وقد عمرت بهما مجالس العلية من الكبار، إذ حرصوا على دعوتهما معاً في السهرات الليلية الطويلة، ليكونا زينة العقد، وحلية المعصم، ومع

هذه الصداقة العريقة الأصيلة لم يعف البشرى صاحبه من التندر حين رسم صورته في مرآة السياسة الأسبوعية، إذ هجم عليه هجوماً كاسحاً زائحاً. حين تحدث عن مظهره الخارجي فقال:(١)

"جهم الخلق، جهم الصوت، جهم الجسم، كأنما قُدَّ من صخرة في فلاة موحشة، ثم فُكِّرَ في آخر ساعة في أن يكون إنساناً فكان، والسلام، أما ما يُدْعى فمه فكأنما شُقَّ بعد الخلق شقا، وأما عيناه فكأنما دقتا بمسمارين دقاً، وأما لون بشرته والعياذ بالله فكأنما عهد به (نقاش) مبتدئ تشابهت عليه الأصباغ والألوان فداف أصفرها في أخضرها في أبيضها في بنفسجيها، فخرج خرْجاً من هذا كله، لا يرتبط من واحد بسبب، ولا يتصل بنسب، وإنك لونَضَوْتَ عنه ثيابه وألبسته درّاعة من دونها سراويل، وأفرغت عليه من فوقها جبة ضافية، وتوجته بعمامة عظيمة متخالفة الطيات، لخلته من فورك دهقاناً من دهاقين الفرس الأقدمين، فإذا جردته كله وأطلقته في البر حسبته فيلاً، أو في البحر ظننته درفيلا،ولكن اكشف بعد كل هذا عن نفسه، فلا والله ما النور بعد الظلام، ولا العافية بعد السقام، ولا الغنى بعد البؤس، ولا إدراك المنى بعد طول اليأس، بأشهى إليك، ولا أدخل للسرور عليك من حافظ إبراهيم".

وبعد هذا الوصف المخيف لهيكل حافظ إبراهيم، تطرق إلى وصف شعره فصدقه القول حين قال عنه أنه يرى أن جلال الشعر وبهاءه ليسا في التعلق بدقائق المعاني، وإن تزايلت من دونها الألفاظ، وإن أدق المعاني وأجلها لقد تقع للدهماء في حوارهم ومنازع كلامهم، أما إشراق الديباجة، ونصاعة القول وتلاحم النسج، ورصانة القافية فذلك هو الشعر، أليس يبهرك ويروعك

ويشيع الطرب في نفسك قول البحتري

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا
مقصرا من صبابة أو مطيلا
لم يكن يومنا طويلاً بنعما
ن ولكن كان البكاء طويلاً

وقوله

وقفة بالعقيق نطرح ثقلا
من دموعي بوقفة بالعقيق

وقول الشاعر

يا ليت ماء الفرات يخبرنا
أين تولت بأهلها السفن

ولا أدري لماذا اختار البشرى ما يعجب حافظاً من قول غيره، ولم يختر البشرى من قول حافظ ما ينطبق على مقياسه الأدبي وهو حاضر موفوراً! وقد غاظ حافظ إبراهيم أن يرسم البشرى صورته الجسمية هكذا دون تلطف يخفف من وقع أثرها الصارم، فأراد أن يعاقبه على طريقته، وكان يعرف أن صاحبه يخشى الإسراع في سير السيارة إذا اضطر السائق إلى ذلك، ويرى ذلك خطراً لا تحمد عقباه، فاتّفق حافظ سرا مع بعض السائقين على أن يركب مع البشرى ثم يأتي السائق بأقصى ما يحتمل من السرعة، ويكون السير في طريق صغيرة على شاطئ نهر كبير، وقد كان فجعل البشرى يصرخ ويستغيث، وحافظ يضحك ويسخر، ثم صاح به البشرى: ألست تخاف على نفسك إذا حطمنا هذا المجنون وأشار إلى السائق، فقال حافظ، لا بأس فالأمر كما قال الشاعر

فاقتلوني ومالكاً
واقتلوا مالكاً معي!

وكانت رحلة!

وقد يتوافر البشرى على المدح الخالص دون نقد ما إذا امتلأت جوانحه بالإعجاب من شخصية عظيمة! وأي شخصية في مصر أعظم من شخصية سعد زغلول! لقد كان البشرى ذا هوى مع حزب معارض لسعد، ولكنه في أطوائه كان يكن لسعد من الإجلال والتوقير ما لم يكنه لزعيم آخر، وحين تعرَّض لتصويره في المرآة، جعل العنوان (في حضرة الرئيس)! وافتتح به مقدمة كتابه (في المرآة) دليلاً على منزلة الرئيس الجليل لديه ولدى الشعب الذي اختاره زعيما ناطقاً بآماله وأمانيه، قال البشرى في وصف سعد (٢).

ملء السمع، ملء القلب، ملء البصر، لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيماً ما استطاع، وهيهات لا مرئ أن يملك من نفسه ما شاء الله لها!بسطة في العلم والجسم، بسطة في العقل والحلم، وعزم تتزايل الجبال دون أن يتزلزل، ويقين تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول، منطق يصول في الجلى حتى لتحبسها الجحافل قد تداكت بسيوفها وعواليها، ويلطف في السمر حتى لتتمثل أسراب الكواعب، وسَوّسَتْ حليّها وتضوعت منها غواليها.. وإنه ليقبل عليك بكل لطفه، حتى يفرغ روعك، ويفسح لك في جوانب القول لتقول، وانه ليباريك في نزعك، ويدارجك في حديثك إلى أن يرسلك على سجيتك ويسترسل معك، حتى إذا اطمأننت إليه، وظننت أنك في مساجلة رجل مثلك، خانته عبقريته فوثب به ذهنه إلى ما لا يتعلق به ذهنك، فإذا أنت قد طرت كل مطير، وإذا الطبيعة تأبى برغمك ورغمه إلا أن تشعرك أنك في حضرة سعد زغلول.

هذا بعض ما يقال عن كتاب في المرآة وعن صاحب كتاب (في المرآة) هذا الكتاب الذي لم يظهر له ند للآن.

الهوامش

(١) في المرآة ص١١٤

(٢) في المرآة ص (١)

لا خوف.. لا غـــرق

حفـــيظ الدوســـري

- السعودية -

وَطِرْنا..

نعبُرُ الآفاق

من شرق إلى غرب..

نخوض الصعب..

مهما كان

لا نخشى من الكرب..

نزلزل كذبة التاريخ

في سلم

وفي حرب..

وننقل سورة الأنفال

من قلبٍ

إلى قلب..

من الأعراف.. للأحقاف

من طه.. إلى العلق..

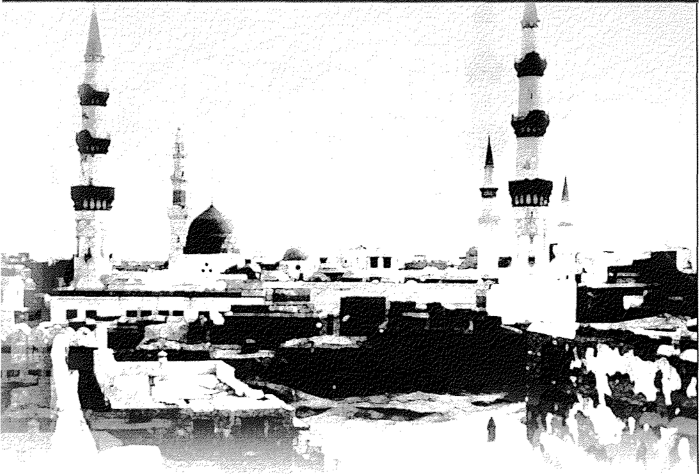
نسير مع الكتاب.. ولا

نخاف جناية الحنق..

ومهما كادنا الأحباب

والأغراب

لا نخشى من الغرق..



من أعلام الحرمين الشريفين..
نور لدين أبو الحسن .. عالم المدينة الشريفة

ومن المدنيين العالم العلامة البحر الفهامة مؤرخ المدينة الشريفة صاحب التصانيف العديدة والمفيدة نور الدين أبو الحسن السيد على بن محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى الشريف الحسنى المشتهر بالسمهودي رحمة الله عليه .

فهو عالم المدينة الشريفة على صاحبها أزكى الصلوات وأتم التحية في كل صباح وعشية. وهو مفتيها ومدرسها ومؤرخها المشهور فقد ولد رحمة الله عليه في شهر صفر الخير سنة ٨٤٤ للهجرة المباركة بقرية سمهود بمصر المحروسة في بيت علم وصلاح فنشأ نشأة صالحة طيبة وحفظ القرآن الكريم وجوده وقرأ على والده المنهاج وغالب الألفية كما سمع عليه بعض كتب الحديث وشرح البهجة وسمع عليه جل صحيح الإمام البخاري ومختصر صحيح الإمام مسلم

ثم قـدم القاهرة مع والده وبدونـه مرات عديدة. ثم لازم العالم شـمس الدين الجوجرى بالقاهرة وأخـذ عنه الفقه وأصولـه واللغة العربية كما قرأ عليه جمع التوضيح لابن هشـام والخزرجية مع الحواشـي. وقرأ على الإمام جلال الدين المحلى بعض شرحيه على المنهاج وجمع الجوامع. وأكثر من ملازمة الإمام شرف الدين المناوى وأخذ عنه المنهاج والتنبيه والحاوي والبهجة وبستان العارفين للنووي وشـرح الجوامع. وسـمع عليه المسلسل بشـرطه والبخاري مرارا وتفسير البيضاوي. ثم قرأ على العلامة نجـم الدين ابن قاضي عجلون بعض تصحيـح المنهاج. وعلى العلامة شـمس الدين البامى قطعة من شرح البهجة مع تقاسيمه في المنهاج. ودرس على الشـيخ زين الدين زكريا شـرح المنهاج الأصلي للأسـنائى وشرحه على

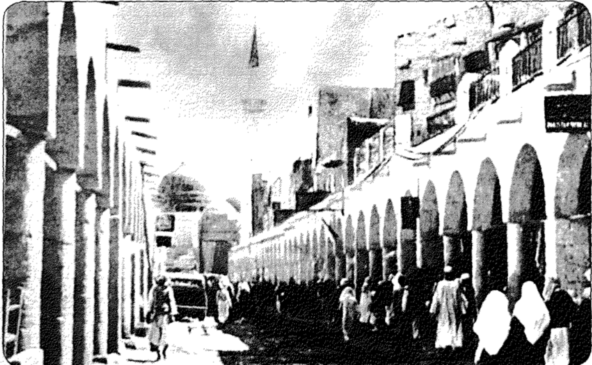


ضياء محمد عطار

المدينة المنورة

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

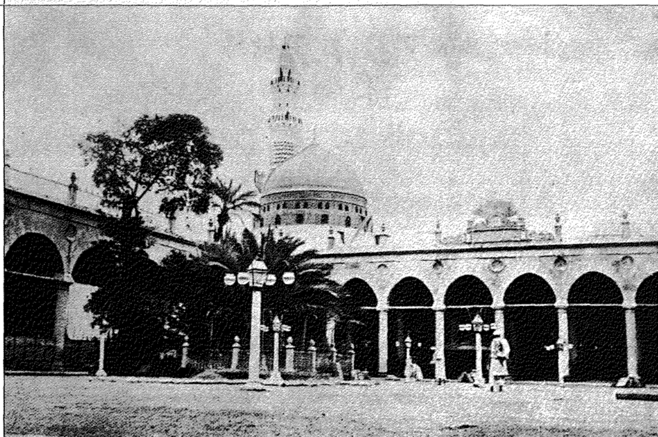
منظومة ابن الهايم في الفرائض (علم المواريث). وتتلمذ على الإمام شـمس الدين الشـرواني في شـرح عقائد النسـفي للتفتازاني. وسمع غالب شـرح الطوالع للأصفهاني وسمع عليه الإلهيات بمكة شـرفها الله وسـمع شـيئاً من الكشاف والمختصر والمطول وشرح المنهاج للسيد العبري. وجالس العلامة العلم البلقيني في دروسـه. وقرأ عمدة الأحكام على العلامة سـعد الدين الديرى فأذن لـه في التدريس هـو والبامى والجوجرى.



وأذن له في الإفتاء شـهاب الدين السارحي بعد أن امتحنه في كثير من المسـائل ومذكراته معه. كما أذن له في الفتيـا والتدريس العلامة المحلى والمنـاوي وعظم قربه منهما واختصاصه بهما ثم تزايدت صحبته للإمام شرف الدين المناوى الذي أبدى رغبته فـي تزويجه حفيدته الشـريفة ابنة أحمد المصري الصبار. فعينه معيدا في الحديث الشـريف بجامـع ابن طولـون وفـي الفقه في الصالحية وفي غيرهمـا من الوظائف والمرتبات. وأسـكنه قاعـة القضـاء بهـا وعـرض عليه النيابة فأباها.

ثـم نزل القاهرة ووقع فـي خاطره الإعراض عن تلك الجهات التي عين فيها على الوظائف المذكورة لشـيء وقع في نفسه. وبعد أحداث كثيرة وسنين طويلة قرر رحلـة الحج إلى البلاد الحرمية فركب البحر مع والدته وترك الزوجة والوظائف وذلك في شـهر ذي القعدة الحرام ففاتـه الحج عامه ذلك وتألم كثيراً لهذا الفوات وحزن حزنا عميقا ولكنه قرأ قصة في شـرح الأسـماء للإمام القشيرى مفادها أن الانكسـار والحزن لهـا وقع عند رب العالمـين وأنها من خير الأعمال ومن الحج أيضاً فلما قرأ القصة سـري عنه هذا الحزن وفرح لها فرحاً شديداً. فأقام بمكة شرفها الله فجاءه خبر وفاة شـيخه شـمس الدين الشـرواني وله فيها قصص وحكايات طويلة ثم عاد إلى القاهرة وعاد منها إلى البلدة المقدسـة وأقام بالمدينة الشريفة. وسـمع بمكة على العالمة العلامة الشيخة كمالية بنت محمد بن أبي بكر المرجاني وشقيقها الكمال أبي الفضل محمد وعلى العالمة زينب السـويكية

والعالـم العلامـة مؤرخ مكة شـرفها الله النجم عمر بن فهد الهاشـمي. وأثنى على علمه وورعه وفضله الإمام السخاوي حيث قال عنه في التحفة اللطيفة: فهو جمال لأهل المدينة عالم متفنن ومتميز في الفقه والأصلـين مع نظم ونثر متوجه للعبادة وإرخاء للعذبة مديم للمطالعة والاستفادة والكتابة. وتآلفيه كثيرة التعـداد وللمباحثة والمناظرة قوى الجـلادة. وهو على هذا طلق العبـارة فيه مغرم بـه مع قوة نفس وتكلف فيمـا يظهر له. ولازالت كتبه ترد عليه بالسـلام وطيـب الكلام. وعلى كل حال فهو شـيخ أهل المدينة علما ونسـبا وعبادة ولينا وعليه ينطبق قول شـيخه المناوى بقوله مما لا يحتـاج إلى برهان انتهـى وعقـد له ترجمة مطولة. ثم قرر أن يسـتقر بطيبة الطـيبة بجوار خير البرية صلى الله عليه وسلم فصاهر بها بيت الزرندى ثـم طلقها وتزوج أخت الشـيخ محمد المراغى ابنة شيخه أبي الفرج ثم فارقها بعد مدة وكان عقيمـاً لا ينجب. وفي غضـون ذلك جلس للتدريـس والإفتاء والتعليم وإسـداء النفع لأهل المدينة الشريفة فانتفع به أهل الحرمين الشريفين انتفاعـا عظيماً. ثم عكف علـى التأليف فصنف من الكتب المفيدة كثيراً ومن أشـهرها سعيه في تقصـي معالم دار هجرة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وتقصى مآثرها ومواطنها ومواقعها فكتب فيها كتابه المشـهور المحبوب على الأفئدة (وفاء الوفـا بأخبار دار المصطفى) وهذا الكتاب يعتبر مرجعاً شـاملاً لمعالم هـذه البلدة المباركة ولذلك قال العالم العلامة الشـيخ إبراهيم بن أبي الحرم الشافعي لله دره:



من رام يستقصي معالم طيبة

ويشاهد المعدوم كالموجود

فعليه باستخلاص تاريخ الوفا

تأليف عالم طيبة السمهودى

وكتب فيها كتابه الوفا ويقال أنه احترق ضمن حريق الحجرة النبوية الطاهرة. وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى وهو معروف. وحاشية الإيضاح على مناسك الإمام النووي وسماها الإفصاح. وكتب حاشية على الروضة فسماها أمنية المقتنين بروضة الطالبين. وجمع فتاويه في مجلد واحد. وبعضا من كتبه احترقت في حريق المسجد النبوي الشريف. واشترى بها عقارات وأملاك وكان له بها بيوت ومنها الدار الكبرى التي بقرب باب الرحمة والحديقة السمهودية والمزرعة المعروفة بالأخوين كما ترجم له العلامة عبدالرحمن الأنصاري في تحفة المحبين والأصحاب وهي إلى اليوم معروفة بهذا الاسم وباقية وتقع في الجانب الشرقي للحرم الشريف. واشتغل في نظارة المكتبات والأوقاف والمدارس التي أوقفها له الملك الاشرف قايتباي وغيره. ولم يزل يفيض بما حواه من علم وفهم وقراءة وتدريس حتى توفي إلى رحمة الله عز وجل صباح الخميس الثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ٩١١ من الهجرة الشريفة بالمدينة المنورة فدفن بمقبرة بقيع الغرقد وصلى عليه جمع عظيم من الناس كما ترجم له العلامة شمس الدين عبدالقادر العيدروس في تاريخه النور السافر. ولم يعقب رحمه الله ولدا وورث تركته إخوته الثلاثة الذين تولوا بالمدينة الشريفة خطابة المنبر النبوي الشريف والإمامة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

attar@naseej.com

الشيخ/ محمد المختار..
من علماء الحرم النبوي الشريف

الدكتور نايف الدعيس - المدينة المنورة -

هو محمد المختار بن محمد بن سيد الأمين بن حبيب الله بن أحمد مزيد الجكني ينسب إلى قبيلة الجكنيين وهي قبيلة كبيرة مشهورة، وقد ولد رحمه الله في سنة ١٣٣٧هـ بالقرب من مدينة الرشيد في موريتانيا ونشأ في حجر والده الذي كان رئيسا لآل أحمد فريد وشيخا لها.. وقد حفظ القرآن الكريم على يد والدته في طفولته، ثم شرع في قراءة رسم المصحف وضبطه.. وما يتعلق بذلك من علوم القرآن على علماء أجلاء نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ محمد السالم بن عبد الجليل والشيخ محمد بن محمود بن الحبيب.. ثم اشتغل رحمه الله بعلوم النحو والصرف، والفقه وأصوله على مذهب الإمام مالك فقرأ على شيخه أحمد بن مود..

وكان لشيخه أحمد هذا الأثر البارز واليد الطولى في ظهور شيخنا رحمه الله وبراعته في شتى العلوم.. كان رحمه الله محبا للمدينة المنورة بلد الرسول ومأرز الإيمان حبا لا يوصف وكان ينصح طلاب العلم بالحرص على البقاء فيها وقد خرج

من بيته قاصداً البقاع الطاهرة في المحرم مطلع عام ١٣٥٦هـ فنزل بمكة المكرمة، وأدى مناسك العمرة ثم توجه إلى المدينة المنورة وتفرغ للتعليم وطلب العلم.. ولازم الشيخ عمر السالك ثم حج فرضه في ذلك العام ماشيا، حيث خرج من المدينة المنورة في غرة شوال ووصل مكة في اليوم الثاني عشر منه وقد حضر على مشائخ من مكة المكرمة ومنهم الشيخ محمد العربي التباني وسمع منه الموطأ وسنن أبي داود ولازم الشيخ محمد تكر نزيل مكة المكرمة وسمع من الشيخ حسن مشاط والسيد أمين كتبي ثم عاد رحمه الله إلى المدينة المنورة للدرس والتدريس في المسجد النبوي الشريف وكان مورد رزقه قاصرا على ما يتعاطاه من أسباب ولم يكن شغوفا على جمع المال مما ساعده على الزهد في الحياة الفانية فكان ما يحصل عليه من تجارته يقنعه إذ لم يكن غرضه التوسع في طلب الرزق.

وفي عام ١٣٦٦هـ انتقل للتدريس في مدرسة الفلاح بجدة بطلب من القائمين عليها وكان طيلة بقائه في جدة يدرس دروسا عامة في مسجد عكاشة المعروف فدرس فيه التفسير ورياض الصالحين ثم إنَّ الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أرسل له للتدريس في المعهد العلمي بالرياض.. وبقي هناك ست سنوات إلا أنه كان يقضي إجازته بالمدينة المنورة والتدريس في المسجد النبوي.

ثم صدر قرار بتعيينه مدرسا بدار الحديث، وحينئذ نشط في إعطائه الدروس في المسجد النبوي الشريف فكان يدرس فيه بعد كل فرض من الفروض الخمسة وكان رحمه الله مثالا للنشاط يحتذى حتى أنه في سنواته الأخيرة رحمه الله كنت أعجب من مقدرته وتحمله وجلده ومن أندر ما أعرفه من جلده أنه كان رحمه الله يصلي الفجر في المسجد النبوي في رمضان ولا يخرج منه إلا بعد أن يفطر، وكان مع أنه صائم لا يترك التدريس فيدرس بعد الفجر وبعد الظهر وبعد العصر ثم يذهب إلى منزله بعد صلاة المغرب ليعود لصلاة العشاء مرة أخرى.

وكان درسه بعد الفجر تفسير كتاب الله، وبعد الظهر صحيح البخاري وبعد العصر مغني المحتاج في فقه الشافعية.. وبعد صلاة المغرب موطأ الإمام مالك.. وبعد صلاة العشاء صحيح مسلم وكان رحمه الله بحراً لا يدرك غوره، فصيح اللسان، حاضر البديهة، وسريع الإجابة متوقد الذهن.

ذكيا ألمعيا متمكنا من علمه.. إذا قرأ أو حدَّث فكأنما



يقرأ من كتاب، نظراته ثاقبة، وفراسته لا تخطئ، قد ضرب في كل فن من الفنون بسهم.. إذا استعرض معاني كتاب الله قلت المفسر الذي لا يبارى وإذا حَدَّث قلت المحدث الجهبذ الفريد وإذا تكلم في العربية وغيرها قلت الخطيب المفوه والعالم النحرير.

سمعت عليه رحمه الله صحيح البخاري وصحيح مسلم وبعضا من جامع الترمذي بشرحه له في المسجد النبوي الشريف وحضرت عليه شيئاً من تفسير الشوكاني في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية وكانت له نوادر ووقفات تدل على علمه وبراعته واعتداله.

انتقل من دار الحديث في عام ١٣٨٢هـ للتدريس في الجامعة الإسلامية حتى عام ١٤٠٣هـ إذ لم تمكنه صحته من الاستمرار في العمل ولتجاوزه سن المعاش أنهى رحمه الله صحيح البخاري بشرحه في المسجد النبوي خمس مرات وصحيح مسلم أربع مرات والموطأ أربع مرات والسيرة النبوية لابن هشام ثلاث مرات.. والرسالة في الفقه المالكي مرتين.. والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير مرة واحدة وسنن النسائي مرتين وجامع الترمذي مرة واحدة.

وقد كتب شرح سنن النسائي ووصل حتى الجزء الثالث ولم يتسن له اكماله رحمه الله لانصرافه عنه بسبب ما احاطه من مرض في سنواته الأخيرة التي عانى فيها الكثير من مرض الحساسية الذي ألهب جسمه.

لم يكن انشغاله بالعلم والتدريس يمنعه من الإجابة على الأسئلة التي ترد إليه من مختلف أنحاء العالم والافتاء في المعضلات من المسائل.

وكان رحمه الله مخصصاً يومين من أيام الأسبوع يوم الاثنين والخميس للتدريس في مسجد قباء.. بعد صلاة المغرب ولمجلسه في قباء رواده وملازموه.

وممن يحضر مجلسه العلمي في قباء الشيخ عبدالحميد عباس بارك الله في عمره.. وممن أعرف ممن تتلمذ عليه وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ راشد بن خنين والشيخ عبدالله الزاحم، والشيخ عطيه محمد سالم والدكتور محيي الدين كيال وكاتب هذه السطور ومن تلاميذه خارج المملكة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري من قطر.

وله من الأولاد رحمه الله ابنه عبدالله وقد نال درجة الماجستير قبل وفاة والده بأيام من الجامع الأزهر بالقاهرة.. وعبدالرحمن مدرس في شعبة اللغة العربية في الجامعة الإسلامية ومحمد سعيد بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية وأحمد بالمرحلة الثانوية وأبو بكر في المرحلة المتوسطة وله من البنات أربع.

وهكذا ينتهي بشيخنا الحبيب (المختار) المطاف.. وتتوقف فيه الحياة وينتقل إلى الرفيق الأعلى في فجر الأربعاء الأول من غرة جمادى الآخرة من عام خمس وأربعمائة وألف من الهجرة فعليه من الله سحائب الرحمة وأفاض عليه من رضوانه وأوسع له مدخله وأكرم نزله وألحقه بالشهداء والصالحين من السلف الذين سار على هديهم واقتفى أثرهم وسار على نهجهم.

فقد كان رحمه الله سلفي العقيدة، يكره البدعة وأهلها ويجل الفقهاء ويرفع من شأنهم ويدعو لهم بالرحمة والمغفرة وكان يميل إلى مذهب الإمام مالك بغير تعصب ولا تشدد ولا تقليد أعمى.

وتعتريه أحيانا حدة الأخيار، لا سيما إذا انتهكت محارم الله أو تكلم أحد أمامه في فتوى بدون علم، وقد قضى حياته بين طيات الكتب والدرس والعبادة وكان بشوشاً يحتسب المزاح المؤدب وقورا لا يجرؤ ممازحه أن يتطاول عليه كريم النفس عفيفها فرحمه الله رحمة واسعة.



قراءة سيميولوجية في الجوانب البصرية

رقصة المزمار في المملكة العربية السعودية

إن الحديث عن الفن الشعبي لأمة من الأمم، لهو حديث عن تراث هذه الأمة وغوص في ممارساتها؛ وسياحة في عاداتها وتقاليدها.

تراث الشعب الذي صنعه بيده طوراً بعد طور، وصنعاً بعد صنع؛ ليعيش جوه وقضاياه، ويعكس همومه ومزاياه، ويحفظ عاداته وممارساته، ويجسد مأثوراته ومعتقداته.



والفن الشعبي مصطلحٌ فضفاض، يحوي من المضامين ما يجعله متعدد الآفاق ومتسع المفهوم، الأمر الذي يجعلنا نعتقد بترادفه لمصطلح الفولكلور FOLKLORE الذي يعني التراث الإنساني الذي انتقل من شخص إلى آخر عن طريق الذاكرة أو الممارسة.

وهو عندئذ يشمل: الرقص، الغناء، الحكايا، القصص البطولية، المأثورات والعقائد، الممارسات والمعتقدات الخرافية.

أو هو فكرة إنسان استطاع أن يعبر عنها في فعل



خالد مصطفى

- مكة المكرمة -

مُعْتَقَد أو عادة أو قصة أو أغنيةٍ أو قول مأثور.

تقول مس بيرن Ms. Bern: الفولكلور هو معارف الناس، وقد استندت على أصل الكلمة في اللغة.. إذ تتكون كلمة فولكلور من مقطعين: FOLK بمعنى الناس وlore بمعنى معرفة أو حكمة. فالفولكلور حرفياً هو (معارف الناس أو حكمة الشعب)(١).

ولقد حدد تومز TOMS هدف الفولكلور ليدل على دراسة العادات والمأثورات والعقائد، وبتحديده ذلك فلقد اقترح هذا الاصطلاح في سنة ١٨٧٧م (٢).

ولقد كان من أهداف جمعية الفولكلور الإنجليزي هو "جمع المأثورات الشعبية والأغاني الروائية الأسطورية، والأقوال الحكمية المحلية، والمعتقدات الخرافية والعادات القديمة" (٣).

وإذا كان ذلك كذلك فإن التراث هو ما مورس في الماضي، وانتقل من شخص إلى شخص آخر، وحفظ بالممارسة أو بالذاكرة وعن طريق السجل المدون

وبما أن الفولكلور هو ذلك الكل المعقد من الظواهر التقليدية المأثورة، فذلك يعني لزاماً أن يوضع في دائرة العروض الاحتفالية الراقصة في شكلها الجماعي.

ونتساءل: ما هو الرقص الشعبي كلون فولكلوري؟

إن الرقص الشعبي هو إبداع الناس،وهو إلى ذلك نتاج الحياة الإنسانية، كما أنه مرآة تعكس تاريخ الشعب، وتكشف عن عاداته وتقاليده، وتظهر معتقداته وعقائده، وأفكاره ولغته وقيمه الحضارية والأخلاقية وخصائصه الحياتية.

ويرجع الرقص الفولكلوري بنا إلى ماضٍ سحيق موغل في القدم، ماض سبق التاريخ، بل إنه يرجع بنا إلى بداية البدايات.. يوم كان الإنسان يتحسس الأشياء، ويكتشف الظواهر، ويوم كان الإنسان لا بد وأن يحيا ويعيش، ويدافع عن نفسه ضد طبيعة متقلبة، أو غزو مباغت، ويوم كان الإنسان فلوتاً يتمرغ في حيواته، ويسلي رغباته؛ ليكتشف ذاته وذوات الآخرين من حوله.

ويتعدد الرقص بتعدد الشعوب، ويتعدد الموضوع: فهناك (رقصة العمل رقصة الخصب) وأيضاً رقصات النصر والتضحية، ورقصات الحرب والسلم ثم الرقص الديني الشعائري(٤).

ونستطيع بعد هذا السرد أن نخلص إلى أهم العروض الاحتفالية الراقصة بالمملكة العربية السعودية بمناطقها الخمس: فهناك (الهجيني والدحة) بمنطقة الشمال، و(الخاطفة والمخموس والحدادي والمجليسي) بالمنطقة الشرقية، و(العرضة والمعشي ورقصة الصف) بجيزان، و(العرضة والخطوة والحادي والصفقة) بمنطقة الجنوب، و(السامري والدوسري والعرضة النجدية) بالمنطقة الوسطى، وأخيراً (الخبيتي والرديح والعدني والينبعاوي والمجرور والموال والمزمار) (بالمنطقة الغربية)(٥).

وبعد

فإن المزمار _موضوع اشتغالنا- هو لون فولكلوري من ألوان الفن الشعبي بالمنطقة الغربية، بمدنها (مكة المكرمة- المدينة المنورة- جدة والطائف)، والمدن الصغرى والضواحي (ينبع، رابغ، خليص... إلخ).

النص المتحرك _انكسار السياق:

المزمار: من الألعاب المسلية، التي كانت من أحب الألعاب إلى نفوس الناس.. وابن المنطقة الغربية شغوف إلى درجة الجنون بهذه الراقصين الشعبية. لذا تراه يتمايل دونما شعور لحظة سماعه لأي صوت (نقرزان) أو (زومال)(٦).

الرقص اختزال تصويري لمجريات حياة شعب من الشعوب..

ولهذه الرقصة طقوسها الخاصة إذ تقام عادة في الأفراح والأعياد والمناسبات العامة والخاصة.. وإذ يتقرر إقامتها، يتجمع الراقصون حول نار يوقدونها ليلاً، ويبدأ النشيد بمصاحبة الإيقاع، وينزل اللاعبون إثنان إثنان.. يرقصون حول النار ملوحين بعصا يسمونها (الشون) مستعرضين مهارتهما الجسدية وبراعتهما في استخدام العصا.. وهكذا يتعاقب الراقصون، والطبول تدق والجمهور يشارك بالتصفيق..

ولكن المزمار ارتبط بالشغب وإراقة الدم في أذهان العامة كون بعض ذوي النزعات الشريرة والذين حين ينتشون يحولون أرض المزمار ساحةً للقتال والنزاع.. لذلك نقول أن ثمة كسراً في سياق اللعبة.. إذ أصبح المزمار حلبة للقتال وإراقة الدماء، الأمر الذي أدى إلى انقراضه إلا في المواسم الوطنية العامة تذكيراً به.

التسمية والنشأة:

المزمار آلة موسيقية من آلات النفخ، يشبه إلى حد بعيد آلة الناي المعروفة ويصنع من القصب المجوف، ويمتاز بكثرة الثقوب..

وقصة ارتباط هذا الاسم برقصة المزمار هي قصة المزمار في الحجاز "فمنذ ازدهار العهد الفاطمي بشمال إفريقيا ظلت وفود الحجيج تفد إلى الحجاز

وحمل الكثير منهم آلة المزمار.. الذي استهوت أنغامه الحجازيين، فكانوا يوقعونه بأجسادهم بحركات راقصة تسمى (لعب)، وفي البدء ظل ذلك يتم بشكل فطري وبسيط ثم لم يلبث أن أدخل على رقصة المزمار بعض الآلات الشعبية المعروفة بالحجاز" (٧).

وهذا يعني أن أنغام المزمار كان يصاحبها ذلك التوقيع الجسدي، الذي تطور إلى الشكل المتعارف عليه، فأصبح المزمار منبثقاً من أعماق الحياة الحجازية فعكس تصورات تلك الحياة، وكشف عن إنسانها بأفكاره وتجاربه الروحية والنفسية والاجتماعية.

جوانب بصرية:

للجوانب البصرية في رقصة المزمار دور هام في تحقيق التواصل، هذا من جهة ومن جهة أخرى تشكل تلك الجوانب تسلسلاً دراميا ينهض عليه العرض الفولكلوري هنا.

وهي جوانب بصرية مادية محسوسة، وقابلة عندئذ للتشريح..

والجوانب البصرية في رقصة المزمار هنا هي:

١- الأداء الحركي (للانموذج).

٢- ألبسة (فلسفة اللون).

٣- النار.

٤- العصا.

فماذا يعني الأداء الحركي في رقصة المزمار، وكيف يمكن أن تتنامى دلالاته وفق تنامي حركية الأداء ديناميكياً؟ ثم ماذا تعني الملابس، وكيف يمكن أن تقدم شخصية الراقص، وتعكس تصوراته؟

ونار المزمار التي يتحلق حولها الراقصون، ماذا تشع في جو اللعبة، وكيف يمكن أن تثير ما تثيره من مادية ما، وما تقدمه من دلالات؟ وأخيراً ما هي وظيفة العصا التي يتقلدها الراقص؟

التراث الشعبي يمثل ذاكرة الأجيال المتوارثة عبر كل الأزمنة..

١- الأداء الحركي (الأنموذج):

إن المزمار تجسيد للحرب.. والحرب في طقوسها وأشكالها المتعددة عبر تلاحق الحضارات والممالك ما هي إلا تجربة الدم.

والحرب كمفردة تقابل مفردة السلم.. بمعنى: إنها تمثل وجهاً مضاداً معلناً عن سماته الحرب: الفتك/ الدمار/ الفناء/ الموت/.... الخ.

وتلك السمات تكشف عن نفسها في خضم الواقع الفعلي للحرب.

والمزمار كنموذج لوقائع الحرب عبر تداخلات إستراتيجية تعنى فيما تعنيه فرض مقولة (البقاء للأقوى)، يعني تأطير لمفردة الحرب، وتوظيف لرمزيتها وحمولتها وسياقها.

والمزمار كمشهد فني راقص، يبني عناصره على مستوى الرمز؛ ليشكل نصاً مركباً (لغة، غناء، ألبسة، أداء حركي)، ولرقصة المزمار عندئذ نموذج يقلد الراقص فيه المحارب الذي يقذف إلى أرض المعركة تسبقه قيم رمزية يدافع عنها، ويغامر في سبيل البقاء عليها، فتجد الراقص يلوح بعصاه في وجه خصمه محاولاً إيذائه، ويدافع الخصم بثبات وحركات تشبه إلى حد بعيد الحرب في واقعها المنظور.

قلنا إن المزمار نموذج لوقائع الحرب، وهو بهذا ينتمي إلى النموذج الثاني من النماذج التي حددها بيار غيرو، وهو نموذج الألعاب العملية والاجتماعية (٨).

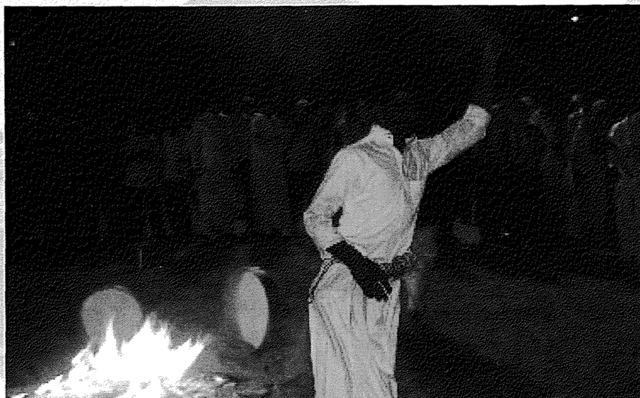
ولكن: هل نستطيع بعد هذا أن نقول باللانموذج؟
إن المزمار وهو يسعى لاكتساب نموذجه العملي والاجتماعي، لا يكتفي بالتموضع حول نموذج أوحد.. إذ ثمة تقاطعات بين نماذج عدة يدور فوقها المزمار، فهو يندرج تحت نموذج الألعاب العاطفية الجمالية كمشهد درامي لا يقل عن المسرحية - تصنيفاً- التي تعرض على جمهور من المتلقين.
وإذا كان ذلك كذلك فإن التصنيف هذا حائر إلى حد ما، الأمر الذي يجعلنا نقول باللانموذج، كون هذه اللعبة تنتمي إلى أكثر من نموذج واحد.

٢- ألبسة (فلسفة اللون):

بما أن لعبة المزمار لعبة بصرية، فإن ثمة متفرج يشاهد ويبصر ويستشعر اللذة ومن هنا تأتي أهمية الجانب البصري المتمثل في ألبسة الراقصين في العرض الفني الذي يعكس جوانب وملامح من الحياة السائدة من خلال أشكال الملابس التي يرتديها الحجازيون قديماً، والتي لا يزال الكبار في السن في وقتنا الراهن يتقلدونها كموروث، أو حسب ما تقتضيه وظائفهم كالعمد الذين يمسكون زمام الأحياء والحارات، أو حسب ما تقتضيه ميولهم في الحفاظ على الموروث الشعبي. وتكمن أهمية الملابس في البناء الدرامي للرقصة، حيث اقترانها بالذاكرة الجمعية لألبسة تلك الفترة من جهة، ومن جهة ثانية لشد انتباه المتفرج ولتكون أقدر على الإقناع. ثم إن لكل لعبة فنية ما يميزها من ملابس. فما أن تظهر فرقة من الراقصين إلا ونستطيع أن نتعرف على هويتها من خلال أشكال الراقصين وألوانها.
إذن لألبسة الراقصين وظائف من أهمها:
- الانعكاس الواقعي للزي التقليدي الخاص بالمنطقة في فترة من فترات الزمن.

حركة الجسم المصاحبة للايقاع الموسيقي المتصاعد يتفاعل معها جمهور المشاهدين..

- التميز في البناء الدرامي للون من ألوان الفنون الشعبية.
قلنا إن ألبسة الراقصين في لعبة المزمار تحمل دلالاتها الاجتماعية، كما تعكس جانباً من جوانب الحياة السائدة في العهد الذي نشأ فيه المزمار، وأصبح لعبة الحجازيين وأداة لهوهم ومرحهم.. ذلك الجانب هو شكل الملابس التي كان الحجازيون يرتدونها، فقد كانت ملابس الرجال في تلك الفترة _في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري- تتكون من:
أ- الثوب.
ب- الصديرية (ما يلبس على الصدر على شكل قميص).
ج- الحزام (البقشة) ما يتحزم به في الوسط.
د- الشال (ما يوضع على الكتف أو على الرأس، العمامة).
هـ- الكوفية (غطاء الرأس).
ومع الاختلافات البسيطة في ذكر أوضاع الملابس وعدد الطوائف التي تتقلدها عند المؤرخين لتلك الفترة، إلا أن أغلب المراجع تشير إلى أن أشكال الملابس تختلف باختلاف وضع ومكانة من يتقلدها(٩)، وقد قسمت إلى:
أ- أرباب المهن: (الصناع، الفعلة، العمال،... الخ).
ب- طبقة التجار وأواسط الناس.
ج- طبقة العلماء.
د- طبقة الشباب المتعلمين.
أولاً: أرباب المهن:
وهؤلاء يلبسون بصفة عامة الملابس الشعبية من الثياب البيضاء أو الملونة وهي قماش من (الدوت)،



والأحـازيم (مـفـردها حـزام)، وهـي من الصـوف وتسـمى (بقـشـة). وغطاء الرأس الذي يتكون من (الكوفـيـة الجاوي)، وهـي من (التـفـتا) على شكل مخروطي، تبقى مرفوعة إلى أعلى، ثم من الشال ليكون عـمـامـة على الرأس أو على الكتف، وهو من قماش قطني أصفر مائل إلى الحمرة.

ثانيا: طبقة التجار وأواسط الناس:

وهي في عـمـومـهـا تتكون من مـلابس أرباب المهن بالإضافة إلى (الجبة) التي تشبه الصديرية، إلا أن هذه تتحرى الأناقة في اختيار أنواع الأقمشة وما يزينها من تطريز.

ثالثا: طبقة العلماء:

للباس العلماء وضع مخصوص، فبقدر ما يتحرى التـجـار الأناقـة، يتـحـرى العلمـاء الوقـار في اختياراتهم وأذواقهم، وتتميز ملابسهم بالتواضع والبساطة غير المكلفة، الخالية من الزينة.

رابعا: طبقة الشباب المتعلمين:

لا تختلف مـلابس الشباب عن مـلابس التجار من حيث الجودة في القماش وغلائه إلا أنهم يتقلدون الأكوات (مفردها كوت/ جاكيت)، بدلاً من الجبة والصديرية وأول من أقدم على ترك العمة والجبة في الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري هم الشباب "بعد أن تبين لهم أن لباسها غير عملي بالنسبة لأعمارهم وطبيعة أعمالهم، ولما تقيدهم به من وقار في حركاتهم، لا تتفق مع طبائع الشباب الذي يميل إلى الانطلاق، فكان أن أقـدم بعضـهـم على ترك الجبة والعمامة مكتفياً بالشال والكوفية الحجازية مع الكوت"(١٠).

وجـملة المـلابس التي سـبق ذكـرها تعد انعكاساً للألبسة المستخدمة قديماً في مدن الحجاز، وعلى

هذا نستطيع القول أن الملابس تقدم الشخصية تقديماً صامتاً (١١) وعلى المتفرج أن يلتقط الإشارة التي ترسلها ألبسة الراقصين، ويعيد تركيبها (زمكانياً) في ذهنه مباشرة.

ولعل الاهتمام بألبسة الراقصين ما يؤكد ويدعم مصداقية العرض، ومن ثم علاقتها العضوية بالرقصة، ومن هنا كانت الملابس جزءاً لا يتجزأ ضمن إطار بصري ينهض عليه الفولكلوري.

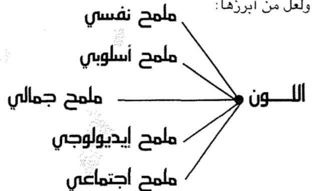
فلسفة اللون (سمات وملامح):

وبما أن حديثنا عن الملابس، فهذا يقتضي بالضرورة هنا التحدث عن اللون وفلسفته وجملة سماته وملامحه.

فللألوان أثرها الفاعل في النفوس والأجسام، إذ تتغلغل في النفس فينعكس أثرها بما تحمله من خواص تؤهلها لأن تكون عالماً سحرياً يكسب الأشياء جمالاً ويضفي عليها نضارة وألقاً، ولا نستطيع أن نتصور العالم من حولنا دون ألوان كما لا نستطيع أن نتخيل مجرد تخيل أن تقع أعيننا على الأشياء والأجسام بلونها الأوحد.

وبالضرورة فإن اللون في مشهدنا الفولكلوري (المزمار)، يحمل قيمته الحيوية والجمالية والفلسفية، التي تحمل كذلك سماتها.

ولا يحقق اللون في ألبسة راقص المزمار قيمته الجمالية فحسب، بل إنه يشكل قيماً وملامح عدة، ولعل من أبرزها:



المزمار - النار - العصا - الألبسة بكل ألوانها وأشكالها، جميعها مضامين اختزنتها ذاكرة الأجيال..

وكل هذه الملامح والسمات تدل فيما تدل عليه على قوة اللون، وتأثيره على الطبيعة والأجسام والإنسان، ونشيد هنا بالتجارب العديدة التي كشفت عن تأثير الألوان على الإنسان: فقد قام (جيرار)(١٢) الطبيب الأمريكي بإجراء العديد من التجارب في هذا الصدد، فتبين له أن للألوان تأثيراً على:

- سرعة ضربات القلب.
- تعدد حركات الجفون، فتحاً وغلقاً.
- إختلاف حركة التنفس.

وعلى هذا فقد أصبح اللون شغلاً شاغلاً بحيث لا نستطيع أن نتخيل العالم من حولنا دون لون: الشوارع- الألبسة- ديكور المنازل- العربات، .. الخ.

واللون في ألبسة الراقصين في لعبة المزمار، يشد انتباه المشاهد بما يحققه من سمات، فنجد الألوان التالية:

الأبيض: الثوب (اللباس الرئيس)

البني: الصديرية

الأصفر: الغبانة، الحزام.

ومن هذه الألوان مجتمعة نستطيع إدراك المغزى اللوني وفلسفته وسماته التي تقوم عليها الرقصة:

فالأصفر: يساعد على النشاط، ويزيد من حيوية الشخص ومرحه، ويعطي القدرة على العمل، والاندفا ع والحماس.

البني: وهو من الألوان الدافئة، التي تبث الحرارة، فهو يساعد على زيادة الحيوية، وينشط عصارة المعدة، ويشجع على التخيل، إلا أنه في بعض



الأحوال يُحوِّل الخيال إلى كآبة.

الأبيض: وهو سيد الألوان، تتفرع منه، وهو لون له القدرة على الاشتراك مع بقية الألوان، كما أنه لون بارد، باعث على البرودة، وتأتي قوته بالاشتراك مع غيره من الألوان.

وإذا ما أخذنا بـ: (سيميائية اللون) (١٣) وجدنا أن كل لون من الألوان السابقة يمثل سمات معينة هذا إذا وضعنا في الاعتبار "مدلولات التضمين" (١٤).

ونستعين هنا برسم توضيحي يظهر فيه مدلول التضمين/ الرمز:

علامة signe	إشارة Signal	رمز Symbole
أخضر ــــــ	نعناع ــــــ	برودة (نضارة. طراوة)
دال التعيين	مدلول التعيين	مدلول التضمين
دال التضمين		

والخطاطة تمثل منهجاً طبقه (بارث) على الإشهار الخاص بسجائر Royal Menthol (١٥).
هناك إذن ألوان ثلاثة تظهر في ألبسة الراقصين خلال العرض المزماري:

دال التعيين (علامة)	مدلول التعيين (إشارة)	مدلول التضمين (رمز)
أصفر	(.............)	حماس، غيرة، تقدم
بني	(.............)	كآبة، خيال،
أبيض	(.............)	تفاؤل، هيام، برودة

ومن هذه الألوان نجد التأثيرات التالية:
- زيادة النشاط
- التشجيع على الخيال
- سرعة الحيوية والجموح
- الاندفاع والحماس
- القدرة على العمل

وكل تلك التأثيرات تؤكد الشغب الذي يسود الرقصة، ويحرض عليه حتى ختام الحفل المزماري بحوادث من شأنها أن تدل على قوة تأثير اللون في تحفيز الراقص وشحنه إثارة وحيوية ونشاطاً، كما تدل على تأثيرها في جمهور اللعبة الذي ينفعل ويقوم بدوره في التشجيع والإثارة والتحريض.

٣- النار:

كيف نفهم النار؟

بسؤال كهذا، يطمح نصنا أن يتغلغل في كينونة النار..

لقد كانت النار ـقديماً- رمز الكرم عند العربي، وقد أحسن استغلالها ووظائفها في تنبيه الضال والمسافر، فقد كان يوقدها ليلاً؛ ليهتدي على ضوئها قاطع الصحراء، ولعلنا نذكر في سياق كهذا الواقعة التي حدثت في زمن الحجاج حين قبض صاحب حراسته على ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فأحاط بهم وقال لهم من أنتم حتى خالفتم الأمير؟ فقال أحدهم ـوهو المعني هنا بسياقنا-:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره ... فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ (١٦)

فأمسك عن قتله وقال لعله من أشراف العرب.

لقد استخدم الصبي النار كقيمة اجتماعية وكرمز غلّف به تبرير خروجه ومخالفته أمر الأمير.. لقد اختار الصبي أن يكون من أشراف العرب دليل مكانة مرموقة، ووجاهة متمثلة في الكرم، وكيف

رقصة المزمار انقرضت بسبب ما أحاط بهـا من عنف واقـتـتـال..

يمكن أن يدلل على ذلك بغير أن يستعير النار رمزاً لتلك المكانة؟.

ولقد وظف العربي النار حماية لنفسه وأهله من السباع والهوام ليلاً.

والقرآن الكريم حافل بمفردة النار التي جاءت بدلالات عبر سياقات مختلفة لعل من أبرزها ما ورد في الآية الكريمة:

{إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى}(١٧).

لقد وردت مفردة النار تحمل دلالتين: الأولى: اقتباس جذوة من النار لغرض التدفئة، والثانية: الهدى.

والآية هنا تَضَمَّنت وظيفة النار: وهي التنبيه، تنبيه موسى، ولفت انتباهه.

والنار عند المجوس تعني الإله المقدس، فهي رمز يقدمون له فروض الولاء والطاعة في شكل عبادات وطقوس شعائرية وتقديم قرابين.

في حين أنها عند المسلمين، تعني - عقدياً - (جهنم) مأوى الكافرين، والخارجين عن طاعة الله سبحانه:

{وأما الذين فسقوا فمأواهم النار.....}(١٨).

كما أن النار تستخدم في الحرق كوسيلة تعذيب، كما جاء قوله سبحانه وتعالى:

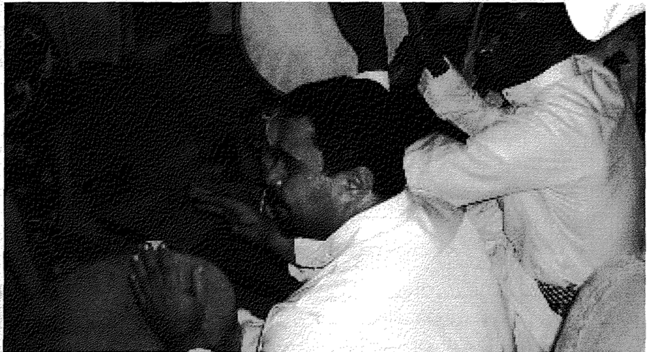
{قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين} وهي ذاتها بقدرة الله سبحانه وتعالى {برداً وسلاماً على إبراهيم كما في قوله سبحانه: {قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم}(١٩).

والنار وسيلة علاج فاعلة عند العربي عبر استخدامها في الكي، وهي سنة اقتدى فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم حين كوى سعد بن معاذ في أكحله. وجرت السنة في ذلك إلى يومنا هذا.

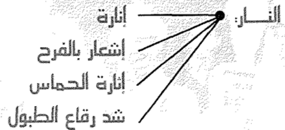
وبالإضافة لما تمثله النار من دلالات، نراها موظفة لطهي الطعام، والتدفئة، إلى غير ذلك من استخدامات.

وبعد: ماذا تعني النار في رقصة المزمار؟

يتحقق استخدام مادي ومعنوي كذلك في اللعبة الدموية.. فهي إشعار بالفرح حيث توقد فتضفي جواً من البهجة، كذلك ما تتطلبه رقصة المزمار من إثارة الحماس في نفوس الراقصين والجمهور، وحيث



الإنارة التـــي يجب أن تكون، لأن الوقت الذي تقام فيه اللعبة تكون الشمس فيه قد أفلت وحل الظلام.
كما تستخدم النار مادياً في شدّ رقاع الطبول إذا تراخت؛ وذلك لتحسين إيقاعها.
فالنار إذن:



٤- العصا:

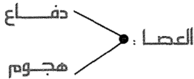
(رجل يحمل عصا..)
ما الذي تقترحه جملة كتلك؟ وما الذي تطرحه من فهم؟
تطرح الجملة السابقة عدة فهوم، وتقترح ما تقترحه من دلالات: شجاع عدواني- عجوز يتوكأ- ... الخ.
والعصا تمثل قوة مادية في استخدام موسى – عليه السلام – لها (هش الغنم- الاستناد والاتكاء) في نص الآية:
{قال هي عصاي أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى}(٢٠).
كما تمثل العصا قوة معنوية (مآرب أخرى) دفاع عن النفس- هيبة- ... الخ.

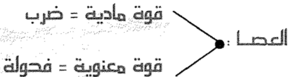
وكانت العرب تعتمد الأرض بالعصي، وتشير بالقنا، حتى كانت الملوك تتقلد العصا كعادة تضفي الهيبة والجلال. يقول الشاعر:
في كفه خيزران ريحه عبقٌ
بكفّ أروع في عرنينه شمم

كما أنها كانت تخطب بالعصا:
يصيبون فصل القول في كل خطبة
إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

والعصا في رقصة المزمار تعني تلك القوتين المتمثلتين – وظيفياً – نتيجة الاستخدام، فالراقص إذ يتقلد العصا فإنه يعطي الهيبة لنفسه ويخلع عليها صفات الشجاعة والفحولة، باثاً في نفس خصمه الرهبة والخوف والاضطراب.

وهنا تأتي قيمتان من قيم العصا الرمزية (الدفاع- الهجوم).
فأما الدفاع، فدفاع عن النفس والكرامة والهيبة خوف السقوط على إثر ضربة من الخصم، فيتفقد فيها الراقص فحولته وكرامته، وقيم الدفاع هنا مادية ومعنوية وأما الهجوم، فهجوم على إبقاء الكرامة ودعاية الذات، وتوكيد الوجود.
العصا إذن تجسيدٌ للقوة في سماتها الرمزية، والمتحققة كقيم متمفصلة حول دال (العصا):





إذن: راقص المزمار يقوده وعيه المسبق بما تحققه العصا من قوة مادية (ضرب، طعن، .. الخ)، وقوة معنوية (فحولة، كرامة، هيبة، .. الخ)

هوامش وإحالات:

(١) من قاموس الفولكلور الأمريكي: Dictionary of standard Folklore Mythology and legend نقلاً عن: فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟ دار المسيرة، القاهرة ١٩٨٧م.

(٢) السابق: ص.١٥

(٣) السابق: ص.١٦

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: السابق.

(٥) هند باغفار: الأغاني الشعبية في المملكة العربية السعودية، ص٩، دار القادسية، جدة ١٩٩٤م.

(٦) النقرزان: طبل صغير يوضع على الأرض ويضرب بعصوات صغيرة.

الزومال: غناء جماعي تردده المجموعة مع بعض الأهازيج.

(٧) السابق

(٨) لقد حدد بيار جيرو نماذج ثلاثة في كتابه (علم الإشارة) ثلاثة نماذج للألعاب:

الألعاب الفكرية والعلمية (الألغاز، الأحاجي، الكلمات المتقاطعة...)

الألعاب العملية الاجتماعية (العائلة، المهنة، الحرب)

الألعاب العاطفية والجمالية (المشاهد المسرحية)

(٩) لمزيد من التفصيل، انظر: محمد علي مغربي: ملامح من الحياة الاجتماعية في الحجاز ومحمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري.

(١٠) محمد علي مغربي: ملامح من الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ص٧٦، دار العلم، ط٢، جدة ١٩٨٥م.

(١١) انظر مقال د. نعيم معلا: الجوانب البصرية في العرض المسرحي، مجلة الكويت، ع١١٧ ٣ شعبان ١٤١٤.

(١٢) محمد تنبكجي، معروف زريق: كيف تتعلم الرسم وتعلمه، ص١١٩، دار دمشق ١٩٨٠م.



ألبسة الراقصين تحمل دلالاتها الاجتماعية، وتحدد مضمون الأداء..

(١٣) الدراسات السيميولوجية الخاصة باللون.

(١٤) اتسمت الدراسات السيميولوجية الحديثة بميل واضح نحو مدلولات التضمين وهي (رموز العلامات).

(١٥) برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ص٤٤، ٤٧، ط١، افريقيا الشرق، ترجمة محمد نظيف.

(١٦) محمد الإتليدي: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦.

(١٧) طه ـ الآية ١٠.

(١٨) السجدة ـ الآية ٢٠.

(١٩) الأنبياء ـ الآيتان ٦٧-٦٨.

(٢٠) طه – الآية ١٨ .

قيس بن الخطيم

عاش هذا الشاعر في مأساة حقيقية، ذلك لأن أباه الخطيم مات مقتولا، وجده عديا مات مقتولا.. ثم انتهى أمره هو الآخر بالقتل فهو كما يقال: القتيل بن القتيل بن القتيل، ولقد عاش الجاهلية بكل أبعادها وطقوسها، وكان من الطبيعي أن يصبح مقدما في قبيلة الأوس لفروسيته وشاعريته، والتاريخ ابتداء يقدم عنه صورة مشرقة فيقول: إنه كان مقرون الحاجبين، أدعج العينين، أحمر الشفتين، براق الثنايا كأن بينها برقا، ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها، ذلك لأنه كان من أحسن الناس وجها، وكان ممن يتعممون حتى لا يفتن النساء.

ولقد عاش بين قبيلة الأوس حياة لاهية، ولكن في يوم ما فُتح عليه الجحيم، ذلك لأنه لم يكن يعرف أن أباه وجده ماتا مقتولين، فقد احتالت أمه عليه حتى لا يعرف هذا الأمر، وذلك أنها في وقت مبكر أقامت من التراب والحجارة مكانين على هيئة قبرين، وكانت تقول له: هذا قبر أبيك وهذا قبر جدك، وحين بلغ سن الشباب كان من عادته منازلة أقرانه، وفي يوم من الأيام تفوق على فتى من فتيان «بنى ظفر» فما كان من الفتى إلا أن قال له: عجيب أمرك، والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيراً لك، واهتاج قيس، وأسرع إلى أمه، ثم جرَّد سيفه، ووضع قائمه على الأرض، ونهايته بين ثدييه، ثم قال لها: أخبريني من قتل أبي وجدّي؟.

فلما راوغته عن ذلك وأشارت إلى القبرين قال: والله لتخبرينني من قتلهما، أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؟، وحين رأت هذا قالت: أما جَدُّك فقتله رجل من بنى عامر يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس، وحين قال: والله لا أنتهى حتى أقتلهما، أشارت عليه بأن يستعين على هذا الأمر بصديق لوالده هو «خداش بن زهير»[١].

ويذهب إلى خداش، ويتعرف عليه، ويفضي له بما في نفسه، فيقول خداش: توقعت هذا منك منذ حين، ومع أن قاتل جدك هو ابن عمى ولكننى أعينك عليه، فلتحضر الليلة نادينا، وسأجلس إلى جانبه، وأتحدث إليه، فإذا ضربتُ فخذه فثب عليه فاقتله، وقد نفَّذ ما اتفقا عليه، فلما ثار عليه من بالنادى قال خداش: دعوه، فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده.

ثم سارا بعد ذلك لمقابلة قاتل الأب، وقد اقترح عليه أن يذهب اليه منفردا، ثم يقول له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني، فأخذ متاعاً لي، وقد دللت عليك لأنك سيد قومك، ثم اصطحبه إلى حيث ينتظر

«خداش» ، وكان أن طعنه في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر، وقد صور هذا شعراً فقال:

ثأرت «عـديا» و«الخطيم» فلم أضع
ولاية أشـياخ جُـعلتُ إزاءها
ضـربتُ بذى الزِّرَّين ربقـة مـالك
فـأُبتُ بنفسى، قد أصبتُ شفـاءها
وسامحنى فيها ابن عمرو بن عامر
خـدَّاش فـأدَّى نعـمـة، وأفـاءها
طعنتُ ابن عـبـد القـيس طعنة ثائر
لهـا نفـذ لولا الشـعـاعُ أضـاءها
ملكتُ بها كـفّي، فـأنهرتُ فـتـقـهـا
يرى قـائمـاً من خلفـهـا مـا وراءها
متى يأت هذا الموتُ .. لا تبق حاجة
لنفـسي إلا قـد قـضـيتُ قـضـاءها

وحين انتـهى من قـاتل أبيه وجَـدِّه، نرى مكانتـه تعلو في قبيلته، ونراه يصبح فارسها وشاعرها، ولما كانت المعارك تتوالى بين الأوس والخزرج فإنه يقف إلى جانب قبيلته الأوسية، ولكن حين يكثر القتلى، نراه في يوم يُسـمَّى «يوم الربيع» يقف إلى جـانب السـلام، وحـقن الدمـاء، في الوقت الذى كـان فـيـه حسان بن ثابت يقف الى جانب مواصلة الحرب، وقد كان معنى هذا صراعه الشعرى مع حسان[٢] على المستـوى القبلى، وعلى المسـتـوى العـائلي، ذلك لأن حسـان بن ثابت تعرض لأخته وقال فيها شعراً، فما كان من قيس إلا أن ردَّ عليه بالتغزّل في زوجته عمرة



أ.د. عبده بدوي
- عليه رحمة الله -

في القصيدة التى أولها:

أجـدَّ بعـمـرة غُنْيـانـهـا
أتـهـجـرُ ؟ أم شـأننا شـانـهـا[٣]

وقد التفت في هذه الفترة الى عشق المرأة المثال، وإلى ربط «العزى» ربة الخصب عند العرب بالحمام والغزال، حين تحدث عن محبوبته فى شفافيه، فنحن أمام المرأة الأنموذج قرينة الشمس، التى عيناها عين مـهـاة، وعنقـهـا عنق غـزال، فكأنهـا العـزى، أو الدُّرة[٤].

قـضـى لهـا الله حين صـورها
الخـالق أن لا يُكنَّهـا سـدفُ
تنامُ عن كُـبـر شـأنهـا فـإذا
قـامتْ رويداً، تكادُ تنغـرف
حـوراء، جـيـداء، يُسـتـضـاء بها
كـأنهـا خـوط بانة قـصـف
تمشى كمشى الزهراء في دمث الـ..
ترمل إلى السَّـهل، دونه الجُـرُفُ
كـأنهـا درّة.. أحـاط بهـا الغوا
صُ يجلو عن وجـهـهـا صـدفُ!

ثم يجيء الإسلام، وهناك إجماع على أنه أدرك الإسلام ولم يسلم، وهناك رواية تقول: إن قيسا قدم على الرسول {صلى الله عليه وسلم} بمكة، وكان أن عرض عليه الإسلام، فما كان من قيس إلا أن صمت ثم قال: إني لأعلم أن الذى تأمرني به خير من الذى تأمرني به نفسي، وفيها بقية من ذاك، فأمهلنى فأذهب فاستمتع من النساء والخمر، وتَقْدُمُ بلدك فأتبعك.. ولكنه قتل، وهناك رواية أخرى تقول: إنه كان لقاء بين الرسول وبينه، وكان قوله: ما أحسن ما تدعو إليه، وإن الذى تدعو إليه لحسن، ولكن الحرب شغلتنى عن هذا الحديث، ويقال: إن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يخاطبه بكنيته، فيقول له: يا أبا زيد، وأن الرسول أوصاه بامرأته التى كانت قد أسلمت، وأنه استجاب لذلك، بل يقال: إن الرسول كان في مجلس ليس فيه إلا خزرجي، وكان أن استنشدهم قصيدته التي أولها:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب
لعمرة وحشاً غير موقف راكب
ديارُ التى كادت ـ ونحنُ على منى ـ
تحُلُّ بنا، لولا نجاء الركائب
تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها، وصدّت بحاجب!

فلما وصل المنشد إلى قوله:

أُجالدُهُمْ يوم الحديقة حاسراً
كأن يدى بالسَّيف مخراقُ لاعب

التفت الرسول وقال: هل كان كما ذكر؟، فشهدوا له بما قال فى شعره، ويقال: إن الرسول حين عرف بعد مقابلتهما أنه برّ بزوجته قال: وفى الأديعج! ذلك لأنها بعد أن أسلمت كان يعبث بها، ويأتيها وهى ساجدة فيقلبها على رأسها.

وقد عاش في صميم حياة قبيلته، ومع أن الحرب هدأت بعد الإسلام بين الأوس والخزرج، إلا أنه كانت ما تزال بعض البغضاء في النفوس، فقد تذكر رجل بعد الإسلام، ما سبق أن فعله الشاعر بقبيلته، وكان أن ترصد له في إحدى الليالي، وأطلق عليه ثلاثة أسهم[٥]، ولما كان القاتل غير كفء له، فإن الأوسيين قد كلفوا على الفور من يقتل ثأراً «أبا صعصعة» من بنى النجار، وحين قتل أبو صعصعة، اجتزوا رأسه، وذهبوا به سريعا إلى قيس بن الخطيم وهو يحتضر، فما كان منه إلا أن خالط الموت بابتسامة راضية، وهكذا يكون قد قتل قبل الهجرة إلى المدينة.

والمعروف أن الشاعر كان ملء عصره، فقد أثنى على شعره النابغة الذبياني، وحين رغب حسان بن ثابت في أن يستعدي عليه «الخنساء» لم تقبل أن تهجوه، بل إن حسان بن ثابت نفسه شهد لشاعريته فقال: إنا إذا نافرتنا العرب، فأردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا، أتينا بشعر قيس بن الخطيم، ويقال إن عمر بن الخطاب حين سمع أن عبد الرحمن بن عوف كان في سفر يُغَنِّيه رباح بن المعترف، قال له مستنكراً، إن كنت فاعلا فخذ قول قيس بن الخطيم:

أتعرفُ رسماً كاطراد المذاهب
لعمرة وحشاً غير موقف راكب
تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها، وصدّت بحاجب

ويقال إن معاوية كان يقول إذا قدم عليه وفد المدينة: انشروا علينا حبرات قيس، ثم إن الأنصار التفوا حول جرير حين حضر للمدينة، وقالوا: أنشدنا يا أبا حزرة، فقال: أنشد قوماً فيهم الذى يقول:

أنيّ سريت، وكنتُ غير سروب
وتُقربُ الأحلامُ غير قريب
ما تَمْنَعى يقظى، فقد تؤتينهُ
في النوم غير مُعرِّد محسوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها
في الحسن، أو كَدُنُوِّها لغروب[٦]

كما يقال إن الشريف المرتضى يقول: قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه.

وعلى كل فهو يجيء فى مقدمة الشعراء المصورين الذين ينتزعون من الواقع صورهم، فهو يضع كل جزئية في دائرة بصرية، ويعتمد على اللقطة الحية التى تتوثب، وعلى اللفظة الواقعية المليئة بالبراءة والبكارة والدهشة، وقد التفت إليه من القدامى ابن السكيت، والكسائى، وأبو عمرو، والأصمعى، والطوسى، كما التفت إليه من المحدثين اسكندر أغا أبكاريوس، والدكتور كوفالسكى، والدكتور ناصر الدين الأسد.. وفي ضوء هذا يكون شعره قد وصل إلينا مشرقا، وموثقا، ويانعاً، وقادرا على «الحضور» في العديد من المواقف.

الهوامش:

(١) الذي ناصره حتى أخذ ثأره، وكان يقيم بمر الظهران، ديوانه، تحقيق ناصر الدين الأسد.

(٢) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفى حسنين ص ٣١٠ ط ٢.

(٣) نفسه ص ٣١٣، ٣١٤.

(٤) انتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الاسلام. د. قصي الحسين ص ١٩٥، السدف: ظلمة الليل، عن كبر شأنها: لكبر شأنها، الزهراء: الغزال، أو المهاة، الجرف: ما تجرفه السيول، قصف: ناعم يتثنى.

(٥) أصيب بسهم في صدره، وكان بينه وبين قوم شر، فقال وهو يحتضر:

كم قائم يحزنه مقتلي
وقاعد يرقُبْنى شامتُ
أبلغ خداشاً أننى مَيّتُ
كل امرىء ذي حسب مائتُ

ديوان قيس بن الخطيم: د. ناصر الدين الأسد ص ٥٥، وخداش: أحد مناصريه.

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ص ٩، دار صادر، والحبرات: ضرب من برود اليمن موشاة مخططة.

(٧) نفسه ص ١٠، ٢١٠.


الخوارزمي

دفع الحوب عن جهاز الحاسوب

حدث البوزجاني (١) قال:

سمعت بأذنيَّ هاتين من تلامذة العلامة القدير والرياضي الشهير أبي عبدالله الخوارزمي (٢) حكاية طريفة كانت الباعث الحثيث على فتح علمي رائد، ومأثرة عالمية فائقة.

قال: أخبرني تلميذه شجاع الحاسب (٣) قال:

بينما كان أستاذي الخوارزمي غارقا في الرصد والتصنيف ألم به غم وإعياء، وانتابه أرق وعناء، فبات يعروه الهم، فنبذ ما بيده، وصعد سطح بيته، وراح يذرعه جيئة وذهاباً كالملتاع الذي يرعى النجوم أو الملدوغ المحموم، فبصرت به في طريقي إلى صلاة الفجر فصحت: أستاذي قد ثوب المؤذن(٤) فما يحبسك عن قرآن الفجر(٥)؟! فنزل وتوضأ، وانطلقنا إلى المسجد، وصلينا خلف الشيخ الواقدي(٦) قاضي المأمون.

ولما قضيت الصلاة، واستروح أستاذي بالنسيم الناعش، قلت: يا شيخي يا أبا عبدالله، والله ما أخرجك البارحة إلى السطح على تلك الحال إلا أمر ذو بال؟! قال: هو ما تقول. شعور غريب شل أوصالي، وأذهب رقادي، وأدمى فؤادي! قلت: وما ذاك، سلمك الله وعافاك، وأنت صاحب الخليفة والمنزلة العالية في مرصده الفلكي، وعطاؤك في الشهر خمسمائة دينار! أو تخشى الفقر وأنت أسعد البشر؟! أم

طار الفؤاد مع الخود التي طرقت
في النوم طيبة الأعطاف مبدانا(٧)؟!

قال: بل هم علمي لا صلة له بالفقر والأرزاق ولا بمصارع العشاق. فقد تذكرت ما وقع لعالمين جليلين هما الكسائي الذي أنفد خمس قنينة حبر في جمع اللغة سوى ما حفظ، والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وكان الرشيد يجلسهما على كرسيين

متميزيـن بحضرته، وما زالا علـى هذه الكرامة حتى خرج الرشـيد إلى الري وهمـا في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما وقال: دفنـت اليوم الفقه والعربية بالـري! وتذكـرت العالم الزاهد الخليـل الفراهيدي، وهو يحاول ابتداع آلة تسـهل على الناس الحساب، فاصطدم بدعامة المسجد فارتج منها دماغه! وتذكرت عالمنا الموسوعي الأصمعي، وخلف الأحمر، وأبا عمرو بن العـلاء، وحماد الرواية، وغيرهم الذين تجشـموا المصاعـب في الارتحال إلى مضـارب القبائل لجمع اللغة والشـعر. وتفكرت وتسـاءلت: هل طريقة علمية بآلة تقنية تسـتوعب معارف الآبـاء والأجداد وتحفظ علومهم وفنونهم، وتبقى لهم ديوان شـعرهم الذي هو مفخرتهم، ولا تعيد إلى الأذهان كلمة الرشـيد: دفنت اليوم الفقه والعربية؟!

قال شجاع الحاسب: فانقطع الخوارزمي عن حلقات درسه، واعتكف في مكتبة بيت الحكمة، ولزم مرصده، وقد حشـد جهـده وطاقته، وأنـا وتلميذه حبشـي الحاسـب(٨) نعاونه في رسم التصاميم والمخططات، وتجهيـز الأسـلاك والأدوات حتـى مـرت الأيام مر السحاب الهجام(٩)، وافتقده الخليفة وتفقده، ووضع المال والرجال تحت تصرفه، وأمر بأن يُدفع له وزن ما يؤلف أو يترجم أو يختـرع ذهباً خالصاً، وأمر لبقية العلماء بالرواتب المجزية من الأوقاف الثابتة ليتفرغوا للبحث العلمي! وهجر أستاذي المنام، وعاف الشراب والطعام، وازور(١٠) عن فضول الكلام، فنشط واجتهد وقـد وصل الليل بالنهار، فلما حل عيد الأضحى زرته مهنئـاً فرأيته فـي حلة من الفرح والمـرح، فقلت: ما عهدي بك إلا واجماً مطرقاً، أو مفكراً مصعداً؟!

قال: كان ذلك قبل تحقيق الأمنية الحلوة، وحلول أعظم بشـرى! لقد اخترعتـه وصنعته، وبلغت به السـماك الأعزل(١١) وكدت باخمصي أطأ الثريا، وأتيت بما لم تستطعه الأوائل، وبززت الطبيب جالينوس والرياضي بطليموس وإقليدس وأرخميدس(١٢)!

قلـت: لعل هذه الفرحة الغامـرة لعلم الجبر والمقابلة، أو لزيـج المراقبة، أو لقياس محيط الأرض أو لجداول الجيوب والظـلال! قال: ذلك مـن أعمالي المتواضعة قبل سـنين خالية أما هذا فعظيـم القدر بالغ الأثر،



د. أحمد عطية السعودي

الأردن

وسـيعرفه الناس في احتفال كبير بين يدي الخليفة. هيا انطلق وأخبرهم الخبر.

فلمـا أخبرت المأمون عن أعجوبـة الخوارزمي الخفية أعد مجلسـاً عظيماً ضم الحاشية والأعيان والوزراء والعلمـاء والأدباء، وجيء بجهـاز الخوارزمي مُغَطّى يحمله حبشي الحاسـب وبنو موسى بن شاكر(١٣) كهـودج البعير، فوضـع بين يدي المأمون، فكشـف الخوارزمـي غطاءه، ودس حبله في الحائط، وشـرع يشرح للجمهور فعجب الحضور وانتابهم الذهول، ثم أعلن قائلاً: هذا يا مولاي هو جهاز الحاسوب! فضج الناس واختلـط التكبير بالتصفيق! وتعالت الأصوات من وراء السـتر: إنما العلم في الحياة سـلاح(١٤)! فقال الخليفة: ليهنك يا أبا عبدالله هذا المجد الشامخ، وإنك لأجدر بقول القائل:

نـفـس عـصـام سـودت عـصـامـا
وصـيـرتـه مـلـكـاً هـمـامـا
وعـلـمـتـه الـكـر والإقـدامـا

فقـام أحد الظرفاء فقال: أنـا والله لا أعرف إلا هذه العمليات الحسـابية الأربع: الطرح على الأرض بعد أكل يمـلأ الطـول والعـرض، والضرب فـي الحرب بسيف من خشب، والجمع في الصلاة إذا نزل المطر، والقسمة: أن يقسم مولاي جائزة الحاسوب بيني وبين الخوارزمي!

فضحك المأمـون وقال: بل أنـت وأمثالك بمعزل عن الاختـراع قد شـغلتم بالغـزل والمجـون، وملاحقة «الموديلات»، والارتماء على شـواطئ العجم، والتهام الطعـام، والنـوم مع النيام! قلت: أيـأذن مولاي بأن يحدثنا أسـتاذنا الخوارزمي عن تركيب هذا الجهاز ومـا فيه من بديع الصنع والأعجـاز؟! فأومأ إليه أن

يتحدث بإيجاز فقال: هذا الحاسوب يشتمل على مجموعة أجهزة وبرمجيات تعمل معاً بنظام وتناسق وتعاضد وتساعد، وفي أحشائه تكمن وحدات الإدخال، والمعالجة المركزية، والذاكرة المساعدة، والإخراج. ولكل وحدة مكونات ورتاج (١٥)، يعملن دائماً من غير هياج، ودون ملل أو تسلط مزاج!

قال الخليفة: فما نفعه لدولة بني العباس وللقاطنين في أطرافها من الناس؟ قال: نفع عظيم جليل يا مولاي، فلديه القدرة على حساب الخراج ومصارف الزكاة، وما في بيت المال بدقة متناهية لا نظير لها ولا مثال، وحساب أعطيات الجند وتنظيم الدواوين وضبط أعداد الموظفين، والاحتفاظ بملف لكل ذمي، وهو يعين الشاهبندر(١٦) والتجار بسرعة هائلة على حساباتهم، لأنه أسرع منهم بعشرة ملايين مرة! وهو مفيد للتلاميذ في التعليم والرسم واللعب وله يا مولاي قدرة فائقة على تخزين البيانات واسترجاعها وقت الحاجة بواسطة الأشرطة والأقراص الصلبة المغنطة، وبه نسعد بحفظ جهود الرواة وعصارة فكر العلماء، وديوان العرب!

قال البوزجاني فقلت لشجاع الحاسب: يا أبا كامل، صف لي حال الأدباء لما علموا بالحاسوب؟ قال: راق بعضهم، فعدوه عين هذا الزمان الناظرة، وزهرته الناضرة، وقوته الظاهرة، ونزهته الحاضرة، وقرظوا مخترعه الفنان، وأشادوا بجهازه الفتان، وذكروا بعض مزاياه وأسراره وخفاياه.

قال البحتري:

تفننت في الصناعة حتى عطل الناس فن عبدالحميد
في نظام من الرياضة ما شك أمرؤ أنه نظام فريد
وجهاز كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
معجز في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستفيد
ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حجج تخرس الألد بألفاظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد (١٧)!

أما جمهرة الحانقين على الخوارزمي فصوبوا إليه سهام غضبهم ونقدهم ونقمتهم، وادعوا أنه سلب من العرب ملكة الحفظ، وقطع أرزاق الشعراء المتكسبين، وحرم النساخ والوراقين من الدوانيق والدراهم والدنانير، وصرف عشاق الأدب من صبيان الشعراء، وولدان الأدباء عن سوق المربد(١٨)! وتزعم هؤلاء الصاحب بن عباد، فتحامل على أستاذنا وتجنى على جهازه، وقال فيه لما وصل إليه: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» وصنف كتابا في كشف عيوبه سماه: «الصبح المنبئ عن مساوئ حاسوب الخوارزمي»(١٩) زعم فيه أن أول من اهتدى إليه هم الصينيون وسموه أباكوس أو الإطار الحاسب، واستعملوه للعد والحساب، وإن أهل الأندلس نقلوا عنهم الفكرة، فطوروها فتلقفها من العجم شارلز باباج، وجورج بول، وجون فون نيومان، وموشلي وايكيرت(٢٠) فأحكموا الصنعة، وأتقنوا المهنة، وأنتجوا هذا الجهاز وسموه «الكمبيوتر» فكان له من القلوب قبول، وإلى الأفهام وصول! قلت: يا أبا كامل، أحقا يسمونه «الكمبيوتر» في بلاد الأندلس وعندهم علماء العربية الأجلاء؟ قال: هو الحاسوب في جميع الأمصار على وزن «فاعول» وجمعه حواسيب، قال الشاعر:

خير ما ورث الرجال بنيهم
أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الحواسيب والأو
راق في يوم شدة ورخاء(٢١)

قلت: فمن ساعد الخوارزمي على برمجة حاسوبه؟ قال: جمع غفير من علماء الجبر والهندسة والفقه والسيرة والحديث والنحو واللغة والخط والفلسفة وقد تسموا باسم أدبي خفي هو إخوان الصفا وخلان الوفا(٢٢)، خشية الظهور والرياء! قال البوزجاني: فلما تثاءب أبو كامل الحاسب تبينت أن الليل قد تلفع بأثوابه، وأطبق بحندسه(٢٣)، فاعتذرت إليه ورجوته أن يسامحني على كثرة أسئلتي، فوافق مشترطا أن أرد على المتحاملين على أستاذه الخوارزمي (٢٤) برسالة على هامش كتابي «ما يحتاج إليه الصناع من أعمال الهندسة» فاستخرجت دقائق فكري وزبدة

علمي، فسطرتها وجعلت عنوانها:
« دفع الحوب عن جهاز الحاسوب»!!

هوامش:

(١)البوزجاني: أبو الوفا محمد بن محمد ولد في بوزجان، أحد المشاهير في الفلك والهندسة والحساب، له كتاب «ما يحتاج إليه الصناع من أعمال الهندسة» ت٣٨٧هـ.

(٢) الخوارزمي: أبو عبدالله محمد بن موسى، رياضي وفلكي وجغرافي، ومؤسس علم الجبر، عرف علم الحساب باسم اللوغرتمي نسبة إليه، وله جداول فلكية، ومشاركة في قياس محيط الأرض، ت٢٣٠هـ تقريباً.

(٣) شجاع الحاسب: أبو كامل شجاع المصري، رياضي كمل أعمال الخوارزمي في الجبر، ت ٢٤٠هـ

(٤) ثوب المؤذن: دعا إلى إقامة الصلاة.

(٥) قرآن الفجر: أي صلاة الفجر، لأنه يطلب إطالة القراءة فيها.

(٦) الواقدي: محمد بن عمر، مؤرخ ولي القضاء للرشيد والمأمون، وله مكتبة ضخمة، ألف «التاريخ والمغازي» ت ٢١١هـ

(٧) البيت للشاعر الأموي جرير بن عطية ت(١١٠). الخود: المرأة الشابة. الأعطاف: الجوانب.

(٨) حبشي الحاسب: تلميذ الخوارزمي، فلكي عربي، عاش في عصر المأمون والمعتصم، ت (٢٦٣هـ) تقريباً.

(٩) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(١٠) ازور: يقال ازور عنه: مال وانحرف.

(١١) السِّماك الأعزل: نجم نير يرى في الجنوب.

(١٢) هؤلاء من أشهر علماء الاغريق في الطب والرياضيات والفلك.

(١٣) بنو موسى بن شاكر: ثلاثة أخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات في عهد المأمون إلى المتوكل.

(١٤) شطر من بيت للشاعر السعودي المعاصر سعد إبراهيم أبو معطى وتتمة البيت:

إنما العلم في الحياة سلاح
وهو للروح بلسم أي بلسم!

(١٥) رتاج: (ج) رتج وهو الباب العظيم أو الباب مطلقاً أو المغلاق.

(١٦) شاهبندر: أي رئيس التجار، كلمة فارسية.

(١٧) لا يخفى التغيير في كلمات القصيدة! جرول هو الحطيئة: جرول بن أوس، شاعر مخضرم هجاء. لبيد: أحد شعراء المعلقات، واسمه لبيد بن ربيعة، أسلم وحسن إسلامه.

(١٨) المربد: سوق بالبصرة كان الشعراء يجتمعون فيه، وكان سوقاً للإبل.

(١٩) قال الصاحب بن عبَّاد: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» لكتاب العقد الفريد. وقد ألف كتاباً تحامل فيه على « المتنبي «سماه» الكشف عن مساوئ المتنبي» ت الصاحب(٣٧٥هـ).

(٢٠) هؤلاء من أشهر العلماء الذين أسهموا في اختراع وتطوير جهاز الحاسوب منذ ١٨١٦-١٩٤٥. (٢١) البيتان لخلف الأحمر، كان راوية للشعر والأدب ت ١٨٠)هـ(أصل البيت الثاني:-

هو خير من الدنانير والأوراق في يوم شدة ورخاء!

(٢٢) أخوان الصفا: جماعة سرية باطنية، جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد عل الخمسين، ولا يخفى انحرافهم. عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

(٢٣) الحندس الليل الشديد الظلمة.

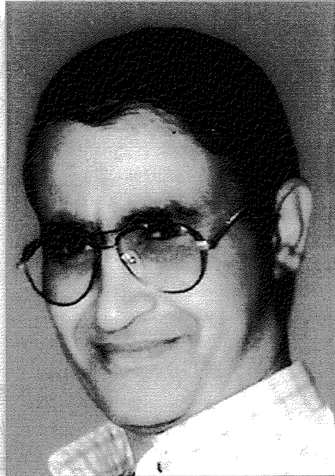
(٢٤) ترمز به إلى العقلية العلمية المسلمة التي تتعرض للطعن والتشكيك والتشبيط.

حوار مع الشاعر/ أحمد زرزور - القاهرة

أدب "الأطفال/ الكبار" أمل المستقبل

■ الطفل المعاصر ينظر بعين براءة، وبعين معرفة أيضاً..

■ الطفل كائن مُتخيل إذا نجحت في إثارة مخيلته فقد نجحت في اجتذابه لنصك الأدبي


الشاعر أحمد زرزور

إضـــاءة:

- الكاتب والشاعر أحمد زرزور من جمهورية مصر العربية.
- أحد المبدعين في أدب الطفل.
- ولد في محافظة المنوفية عام ١٩٤٩م.
- صدر له عدة دواوين وهي: (الدخول في مدائن النعاس) ١٩٨٦م، و(يضحك القمر) ١٩٨٨م، (ما قالته الغيمة الأخيرة)، (وردة القمر)، (جنون من الورد) ١٩٩٥م، (أغنية الولد الفلسطيني)، (بلياتشو)، (لم أعد أحسد أحداً).
- صدر له كتاب يضم أشعاراً للأطفال بعد إجراء بعض التعديلات عليها، بعنوان (مرحباً بالندى).
- حاز على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الطفل عام ١٩٩١م.
- حصل على الجائزة الذهبية عن أحسن نص إنشادي عربي للأطفال في المهرجان الثاني للإذاعة والتلفزيون في مصر عام ١٩٩٦م.
- يشغل حالياً رئيس تحرير مجلة (قطر الندى) للأطفال.



حوار / عقيل بن ناجي المسكين
- الدمام -

طفل الألفية الجديدة عطاء مزدوج لكل الفضاءات من حوله.. محلية وقومية وعالمية..

>> **ظاهرة اللغة الناعمة في قصائدك.. واللجوء إلى بعض الهمس المعنوي في مخاطبة مخيلة الطفل.. وادخالك بعض الأفكار الكبيرة في هذه الصور.. ألا ترى في ذلك شيئاً من الاقحام في القصيدة؟.. وهل اللغة الناعمة والهمس المعنوي في التعبير الهادئ يتناسب وادخال بعض الأفكار الكبيرة أم أن ذكاء الشاعر وعملية الاستدراج تؤدي دوراً مهماً في بناء القصيدة الموجهة للطفل؟..**

< بالضبط: هذا هو ما أطالب به مبدعي أدب الطفل، أن يقدموا له كل شيء، فالآن لا توجد أفكار صغيرة وأفكار كبيرة في عالم الخطاب الموجه للأطفال، لقد انمحت الخطوط الفاصلة بين أفكار البراءة النقية القديمة للصغار، وبين أفكار الخبرة الناضجة التي يختص بها الكبار، لقد وجد الصغار والكبار أنفسهم أمام تحديات مشتركة بل واحدة لا تستثني أحداً منهم، كقضايا التلوث والفقر والحروب الأهلية والنزاعات الدولية، كل هذه التحديات يجب أن يتعرف عليها الصغار، ليعرفوا دورهم القادم في مواجهتها، على أن يتم ذلك من خلال إبداع خلاق يرتكز على عناصر عدة كالخيال، والصورة الجمالية استدراجاً لتفاعل الطفل

>> **من خلال تجربتك الشعرية في كتابة قصيدة الطفل.. كيف وجدت هذا الفضاء البريء في ظل هذه التناقضات التي نعيشها؟.. وكيف استطعت من خلال تجربتك الخاصة في أدب الطفل أن تمسك بقياد اللغة والمعنى والصورة لترسم للأطفال هذه اللوحات الجميلة؟**

< لا أشعر أن هناك تناقضاً بين عالم البراءة الطفولية وبين ما نعيشه من تداخل وصراعات وتعقيدات محلية وقومية وعالمية، لسبب بسيط جداً هو أن الطفل المعاصر نتاج كل شيء: نتاج براءته الفطرية، ونتاج ما حوله من عوالم غير بريئة، فهو يتابع كل ما يحدث على هذا الكوكب الملتهب من خلال الوسائط الاتصالية العديدة من أقمار صناعية وانترنت وصحف ودوريات، لقد شكلت كل هذه الموضوعات عقل ووجدان الطفل لتنتهي أسطورة (البراءة الأحادية) لصالح أسطورة (البراءة الواعية المركبة)، إنه ينظر بعين براءة وبعين معرفة أيضاً، لقد اكتشف أن العالم لم يكن كما صورته القصص الخيالية وحكايا الجدات، لم يكن أو لم يعد فردوساً ملائكياً مسحوراً.. صحيح أنه - أي العالم- به أشياء بديعة وممتعة، لكنه أيضاً مكدس بالشرور والمطامع، وعليه أن يتعامل مع هذا الواقع، وعلى كاتب الأطفال أن يستلهم هذا الواقع المعقد، ليصوغه بأجمل الأشكال الإبداعية، وأكثرها جاذبية، فمهما كان الموضوع قاسياً ومؤلماً وغير إنساني، لابد أن نقدمه بروعة أسلوبية مشوقة، ضماناً لاستقبال جيد من الطفل، فكلمة السر هي الجمال، بما يشتمل عليه من لغة مناسبة وصور خلابة تثير الخيال، وهنا نؤكد على أهمية المعرفة بسيكولوجية الطفل في أعماره المختلفة، للتعرف على خرائطه الداخلية، تمهيداً لحس المخاطبة ودقتها، ثم إنني دائم المراجعة لسلوكيات واهتمامات الأطفال من خلال التقاطي للإشارات التي يبثونها في حراكهم اليومي: أعثر على شيفرة الخطاب المتناغم معهم.

وافتتانه بالنص الجذاب، بعيداً عن المباشرة والتقريرية والمواعظ والتوجيهات.

>> (نص الطفل) عنوان أشمل من "قصيدة" أو "شعر".. لأنك تكتب النثر والشعر الحر وشعر التفعيلة والشعر العمودي وأناشيد الأطفال.. برأيك ما أهم شروط تكوين (نص الطفل) وعناصره؟

> اسمح لي أن أقترح شروطاً عامة للكتابة للطفل، وليس الشعر فقط، فالطفل يتعامل مع أي نص من خلال ما يحقق له مجموعة من المتطلبات.

١- متطلب الخيال: فالطفل كائن متخيل، مندهش، وإذا نجحت في إثارة مخيلته فقد نجحت في اجتذابه لنصك الإبداعي.



الحروب والنزاعات والفقر، مرارات وجد الطفل نفسه في عمقها.. قتلت براءته..

٢- متطلب المتعة: فالطفل كائن يبحث عن الفرح والبهجة ويتوقعها من كل ما حوله وكل من حوله، وإذا صُغت نصك الإبداعي بأجمل الكلمات وقدمت أفكاراً مثيرة تأخذ بلب الطفل وتستولي عليه، فقد حققت إنجازاً كبيراً ككاتب أطفال، وهذا ينطبق على كافة الموضوعات: السارة والجادة.

٣- متطلب المعرفة: فبالإضافة إلى شروط الخيال والإمتاع، هناك شرط المعرفة، فنحن نكتب لنكتشف مع الطفل العالم الذي نحيا فيه، وما يكتنزه من خبايا وأسرار ومشكلات، بالإضافة إلى خبايا وأسرار النفس البشرية أيضاً، والمعرفة هي المقدمة الأساسية لاكتشاف الفرح الغائب، وكيفية استعادته أو إنتاجه، والكتابة بشكل عام- للصغار أو الكبار- هي محاولة لمواجهة النقص الذي في الحياة وكيفية ملئه، وبدون التعرف على هذا النقص لن يمكنك الاتيان بالفرح المفقود.

٤- متطلب البساطة العميقة: وأشدد هنا على كلمة - العميقة - فهناك من يتصور أن الكتابة للطفل يجب أن تتسم بالتبسيط الذي يتماثل والسذاجة، فالطفل ليس بسيطاً هكذا كما نتصور، إنه نتاج عناصر كثيرة متشابكة سواء في بيته أو في عالمه بين زملائه، أو في مدرسته، أو في العالم الكبير الذي يمور بالتوترات والتطورات والاكتشافات... الخ، مما يتطلب منا احترام هذا العقل الصغير "حجماً"، لكنه "المتع" باستمرار ليستوعب كل ما حوله، ولذا علينا مراعاة "تعميق" هذا الوعي من خلال كتابة سهلة وجميلة، وتستمد أبجديتها من لغة حية تتطور، وليس لغة جامدة بين دفتي المعاجم القديمة.

٥- متطلب الكثافة: فالطفل كائن ملول بطبعه، لا يقوى





الطفل اليوم يعيش واقعاً أكثر تعقيداً من حكايات الجدات الحالمة..

على الثبات، سواء كان ثباتاً مكانياً أو ثباتاً زمانياً، ومن ثم على الكاتب أن يراعي ذلك، فيتوخى الإيجاز والبعد عن المقدمات والتفاصيل المتشابكة، لندخل إلى الموضوع مباشرة، فكما أن الطفل يختزل العالم بطريقته، علينا أن نختزل له الموضوع وإلا انصرف عنا.

٦- متطلب الحداثة: فكل ما حولنا من طرائق حياة وأساليب عيش وسمات الإنجازات العديدة في كافة ميادين الإبداع الأدبي والعلمي والثقافي والفني تضج بالحداثة كونها حراكاً مستمراً، والطفل يتابع كل هذا الحراك، ولذلك علينا انتهاج الحداثة، كنمط إبداعي للطفل، سواء في مجال الشعر أو القصة أو المسرحية أو الأغنية، من خلال البحث عن أفكار وصياغات وأشكال جديدة، وعدم الثبات على نمط كتابي واحد، ضماناً لاجتذاب الطفل وتفاعله مع النص الإبداعي، فالطفل كائن متطور بذاته، ويتوقع الجديد والمدهش في كل لحظة.

<< كيف تعيش دور الطفل وعالمه؟.. هل تعيشه من خلال ذكرى الطفولة الماضية أو تعيشه من خلال مواقف من الحاضر؟..

< أعيش الطفل في داخلي باستدعائه من الذاكرة، لأضعه في مقارنة مع الطفل الراهن، ومن خلال هذه المقارنة أكتشف الخطاب الأنسب الآن، وهذا يستلزم بالطبع متابعة ومراقبة الطفل الراهن للتعرف على الفروقات الكبيرة بينه وبين طفل الماضي، إن كُتَّاب الطفل مطالبون بممارسة هذه الفرضية التأملية الغائبة، ليقدموا لنا نصاً معاصراً جديداً لأطفال اليوم، وهو ما نفتقده بحق، رغم آلاف المطبوعات الجذابة شكلاً، التي تطرحها المطابع يومياً، لكنها تشبه الكهوف البدائية التي لا تتنفس إلا هواءها القديم.

>> عالم الطفل واسع ومداركه عميقة، كيف توفق بين لغة الطفل وفلسفته العقلية في الحياة؟

< كما قلت هناك "تدرج عمري" ولكل مرحلة خطابها



من يحسن قراءة الخريطة الداخلية للطفل، يستطيع الكتابة له بجماليات تتناغم مع ما بداخله..

المناسب: لغة وخيالاً وفكرة وشعوراً، وبدون هذه المعرفة تتوه البوصلة عن الطريق الصحيح، مع مراعاة أن هناك تطوراً مستمراً في الخرائط النفسية والوجدانية والعقلية لكل مرحلة عمرية، مما يحدث بعض التداخلات بين المراحل، وذلك نتيجة للتطور المعرفي المستمر الذي تتسم به الحياة المعاصرة، التي صارت تسمى: عصر الانفجار المعرفي، وهذا يتطلب مواكبة دائمة من المبدعين وعلماء النفس والاجتماع لملاحقة التداخل المضطرد بين المراحل العمرية للطفل والناجم عن عدم ثبات وتيرة الواقع الذي نحياه على كافة الأصعدة على ظهر هذا الكوكب دائم التحول والتغير.

>> كيف تختار النغم الموسيقي للنص؟.. أم أنه يأتي وليداً للمشاعر والأحاسيس المرتبطة بكل نص على حدة؟.. وهل ترى من ارتباط بين معنى معين والوزن العروضي؟..

< لا أفكر كثيراً في هذا الموضوع إلا عندما أكتب للسن الأصغر (من ٥–٩) أما ما بعد ذلك أترك الفكرة تأتي بإيقاعها الموسيقي، أما السن الأصغر فتحتاج إيقاعاً أقرب إلى النشيد الغنائي، حيث تشده الموسيقى الظاهرة في النص، لكونه يحب الغناء والهدهدة، وهو إيقاع يناسب الأفكار المتناغمة مع وجدان ومشاعر هذه السن الصغيرة، حيث تبدأ – هذه السن– في التعرف على مفردات الواقع المحيط بها في أقرب نقطة، وهي المنزل ثم المدرسة من بشر وأشياء.

>> باعتبارك ترأس تحرير مجلة (قطر الندى) وهي مجلة رسمية تصدرها وزارة الثقافة بمصر، كيف وجدت هذه التجربة في صحافة الطفل وما انطباعك عن صحافة الطفل في ساحتنا الثقافية؟. وما تطلعاتك

لتطوير هذه الصحافة وقد نما إلى علمنا طموحك بإصدار جريدة أسبوعية للأطفال؟.

< مجلة (قطر الندى) محاولة لتقديم صيغة ثقافية تجمع بين الخصوصية المحلية كونها تصدر في مصر، وبين انفتاحها على الواقع العربي بل والإنساني أيضاً، ففي هذا العالم المتشابك المتداخل الذي صار "قرية إلكترونية" لا يمكنك أن تعزل طفلك عما يحدث فيه، إن ما يقع في أي مكان في هذا العالم يؤثر عليك في أي مكان توجد به، ثم إننا نؤمن بمشاركة الطفل في تحرير مجلته، وليس فقط بكونه متلقياً، كما أننا نشجع الأطفال على ثقافة النقد والاعتراض وإبداء الآراء بشجاعة ولكن بأدب أيضاً، فقد آن الأوان للانصات إلى أطفالنا، وأن نتوقف عن توجيه التعليمات الجاهزة، أما طموحي بإصدار جريدة أسبوعية للطفل فهو مشروع كبير ويحتاج توفير طاقات مادية وبشرية مناسبة، لكونه فكرة غير عادية وغير معهودة في مجتمعنا العربي، في حين أنها منتشرة في أوروبا وأمريكا، حيث يؤمنون هناك بحق الطفل في امتلاك جريدة كالكبار، فالجريدة فرصة لتكوين عقل اجتماعي يتابع ويشارك ويتعرف على العالم سياسياً واقتصادياً، مما يؤهله ليصبح مواطناً عالمياً، وأعتقد أن مجلة الأطفال خطوة على طريق إصدار الجريدة، وهو ما أفكر به طوال الوقت.

>> **تصدر في المملكة العربية السعودية مجلات للأطفال منها مجلة (الجيل الجديد) و(باسم) و(الشبل) وغيرها، وهناك ملاحق للأطفال في بعض الصحف والمجلات مثل ملحق مجلة (المجلة العربية) وملحق للأطفال في جريدة (اليوم) وغيرها من الصحف والمجلات. ما رأيك بهذا النتاج الصحفي للأطفال في بلدك الثاني المملكة؟..**

< أتابع مجلة (الشبل) و(باسم) وأحيانا (الجيل الجديد)، وذلك من خلال بعض أصدقائي المثقفين في المملكة، لأن مجلة (الشبل) و(الجيل الجديد) لا تصل إلى مصر مع الأسف، والملاحظة العامة أن هناك ضرورة لإصدار مجلة تستلهم خصوصية الواقع السعودي العربي الإسلامي والإنساني في وقت واحد، لإظهار ثقافتنا وحضارتنا، ومع احترامي للجهد المبذول في صحافة الطفل بالمملكة والوطن العربي عموماً، إلا أننا نفتقد مجلة قوية منفتحة ومتطورة ولا تكتفي بتسلية وإضحاك الأطفال، ولكن ببناء وجدان وعقل حضاري ينطلق من خصوصيتنا، وهو ما نسعى إليه – بصدق– في مجلة (قطر الندى) رغم كونها محدودة الإمكانات المادية مما يعيق انتشارها عربياً، لكنها نافذة جريئة يطل من خلالها الأطفال على الواقع بكل حقيقته، ويبدعون على صفحاتها ويعبرون عن آرائهم بكل حرية.

>> **صدر لك عدة دواوين شعرية للأطفال، حبذا لو عددت للقارئ الكريم هذه الدواوين، وما الهموم المشتركة التي جمعتها؟.**

< صدر لي عدة دواوين للأطفال، أولها عام ١٩٨٨م، وقد حصلت به على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الطفل لعام ١٩٩١م، وهو ديوان (ويضحك القمر)، ثم صدر لي بعده دواوين (ما قالته الغيمة الأخيرة) و(وردة القمر) و(أغنية الولد الفلسطيني) و(بلياتشو) و(لم أعد أحسدهم)، ثم قمت بترجمة وإعادة صياغة بعض الأشعار التي كتبها الأطفال في العالم في كتاب بعنوان (مرحبا بالندى)، وقد تنوعت همومي في هذه الدواوين بين:

١– إشاعة المحبة والصداقة والسلام.

٢– الإشادة ببطولات أطفال الانتفاضة الفلسطينية.

٣– دعوة للتأمل في ظواهر الطبيعة والاستمتاع بجمالها.

٤– تقديم حقائق الحياة للأطفال في المجالات الاجتماعية والإنسانية.

هذا وقد فزت بالجائزة الذهبية عن أحسن نص إنشادي عربي للأطفال في المهرجان الثاني للإذاعة والتلفزيون في مصر عام ١٩٩٦م.

عندما تهدد البراكين طبقة الأوزون..

مخاطر متعاظمة تواجه أحياء كوكب الأرض

د. عصام وهدان - سوريا

"ثقب الأوزون" واحتمالات مخاطره المهددة لأحياء كوكب الأرض موضوع شديد الأهمية والحيوية شغل العالم كثيراً وعقدت له اجتماعات رفيعة المستوى، ومؤتمرات عالمية واسعة في بعض العواصم الكبرى، وأبرمت بشأنه اتفاقات دولية، ووجهت نداءات كان من نتائجها انعقاد "قمة الأرض" في شهر يونيو ١٩٩٢م ، وتلته العديد من المؤتمرات والاجتماعات المتخصصة بإشراف الأمم المتحدة التي أقامت لجاناً خاصة لدراسة ومتابعة هذه الظاهرة ووضع برامج وتوصيات للتعامل معها، كما صدرت عن هيئات دولية ومؤسسات أهلية تقارير ميدانية ذات صلة حذرت فيها المجتمع الدولي من الأخطار المتعاظمة المهددة للحياة على كوكبنا.

وفي أخطر التقارير التي أصدرتها وكالة الأبحاث الفضائية "ناسا" في شهر فبراير من العام (٢٠٠٠) أكد علماء من ١٧ دولة يشاركون في مشروع لرصد مستويات الأوزون، أن الثقب الموجود في طبقة الأوزون الذي يغلف الكرة الأرضية قد ازداد اتساعا، وأنه تآكل بشكل ملحوظ فوق نصف الكرة الشمالي وازداد التلوث الجوي عشرة أمثاله، خلال العقدين المنصرمين، نتيجة اندلاع عدة براكين في أنحاء متفرقة من العالم، خصوصاً اندلاع بركان جبل "بيناتوبو" في الفلبين، وأن مستويات تصاعد أبخرة المواد الكيميائية هي التي تتسبب في تدمير طبقة الأوزون في الغلاف الجوي فوق القطب الشمالي وأوربا الغربية وكندا والولايات المتحدة.

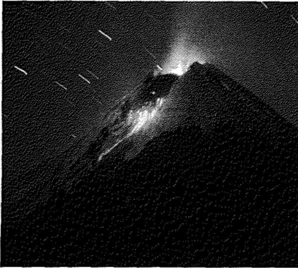
البراكين والأوزون

في بادئ الأمر كان هناك تفسير يعزو الهبوط في كمية الأوزون إلى الجسيمات الدقيقة التي صدرت عن الانفجار البركاني ((EL chichon في المكسيك عام ١٩٨٢م ، والتي ربما تكون قد امتصت الاشعاع الشمسي مما يسخن طبقة "الستراتوسفير" (Stratosphere) ويسبب حركة شبه نافورية في الهواء الغني بالأوزون إلى أعلى.

وقد ذكر رائد أبحاث الأوزون العالمي جوردون روبسون في مقالة له في مجلة "Science and Technology" يونيو ١٩٩٨م" أن بركاناً واحداً يمكنه في حالة نشاطه أن يضيف إلى جو الأرض من أنواع الغازات التي يقولون أنها تسبب نقص الأوزون أكثر بكثير جدا مما تطلقه كل مصادر البشر مجتمعة من تلك الغازات.

ويقرر جوردون أن ما تضيفه البراكين من أتربة وأبخرة إلى جو الأرض هو الذي يتحكم في مناخ الأرض عن طريق الجسيمات الدقيقة التي تؤثر على مسارات أشعة الشمس "ذات الأطوال القصيرة" في طبقة "ستراتوسفير" التي تعلو طبقة الغلاف الجوي السطحية. وما اكتشفه العلماء الآن هو تفاعل خطير بين مركبات الكلور التي هي من صنع الإنسان والغبار البركاني الذي انطلق من الانفجار الهائل الأخير في بركان "بيناتوبو" في الفلبين.

ومع أنه ليست هناك آثار يمكن قياسها للانفجار البركاني على الطبقة الأوزونية، لكن الدلائل المستقاة من المعلومات التي تبثها الأقمار الصناعية تؤكد أن المواد التي نشرها البركان قد عملت على تغيير الحالة الكيميائية في الجو بحيث تجعل مركبات الكلور المنطلقة من المواد الصناعية أكثر



ما تضيفه البراكين من أتربة يتحكم في مناخ الأرض..

نشاطاً في تدمير الأوزون. فتلك المواد البركانية تقوم بتحرير بعض المركبات الكيميائية التي في الجو التي من عادتها كبح نشاط الكلور المدمر للأوزون. وبالذات فقد لوحظ انخفاض في أكسيدات النيتروجين بفعل نترات الكلور. وهناك دليل آخر يشير إلى أن الغبار البركاني يزيد من كمية الكلور أيضاً.

ولقد أشارت الأدلة التي جمعت في الولايات المتحدة من الأقمار الصناعية أن التقلص الموسمي في الطبقة الأوزونية يمكن رؤيته في مناطق مثل فرنسا وأواسط الولايات المتحدة. الأمر الذي يقلق العلماء هو أن آثار انفجار "بيناتوبو" سوف يزيد من ذلك التقلص في الأوزون خلال الفترة القادمة ربما من ٣٠٪ إلى ٤٠٪، وهذا الأثر المشترك بين مركبات الكلور الصناعية والمواد المنطلقة من بركان "بيناتوبو" قد يبقى لعدة سنوات. وقد تنبأ العلماء الغربيون والأمريكيون الذين يقومون بقياس الملوثات الجوية بالغبار الذي انطلق إلى طبقة "ستراتوسفير" العليا بعد انفجار بركان "بيناتوبو" بأن درجة التأثير في طبقة الأوزون ستصل حدا لم يسبق له مثيل خلال الفترة القادمة. وقد أدت هذه الاكتشافات الأخيرة إلى ضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة لوقف استخدام مركبات "الكلورو فلورو كربون" التي تسبب التهتك في الأوزون.

الأوزون والتغيرات المناخية

وسط التغيرات المناخية التي تجتاح العالم من عواصف وأعاصير وبراكين وزلازل بدأ العلماء في البحث المكثف حول هذه الظواهر غير الطبيعية. وفي حين يعلن البعض أن ثقب الأوزون برئ من تغيرات المناخ، وإنما خطورته تتركز فقط في الأشعة البنفسجية التي تنفذ منه وتسبب الأمراض الجلدية وأمراض العيون، يؤكد العلماء على أن التغيرات

ثقب الأوزون برئ من تغيرات المناخ

المناخية الحالية تعود إلى التلوثات الجوية، وعبث الإنسان بالطبيعة، مما ينتج عنه تغير الغلاف المحيط بالأرض، ومن ثم التأثير على نسبة الأشعة المنعكسة في سطح الأرض.. ذلك بالإضافة إلى ما يحدث ويطلق عليه ظواهر جوية غير مألوفة مثل الظواهر المتكررة الحدوث كل ثلاثين سنة، وإن كان قد لوحظ تكرارها في السنوات الأخيرة. ويتأثر الأوزون باستخدامات الطاقة والبترول والفحم التي يترتب عليها انتاج ثاني أكسيد الكربون، وقد يؤدي ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة في العالم عن المعدلات الحالية من درجة ونصف إلى ٥ و٤ درجة خلال أربعين عاما، وهذا الارتفاع يتم تدريجيا. كما أن ارتفاع درجة الحرارة لا يتم فجأة بل بصورة غير محسوسة أو ملموسة، إلى أن نشعر فعلا بأن درجة الحرارة قد ارتفع معدلها عن نصف قرن مضى. ويترتب على ذلك تغيير نظام هطول الأمطار.. وهذا التغيير ليس لصالح الدول التي تهبط فيها أو لصالح الدول ذات الأرض الجرداء التي لا تعرف المطر، لأن المناطق الصالحة للزراعة لا تسقط فيها الأمطار الكافية، والأرض الجرداء التي لا تصلح للزراعة يزيد نصيبها من الأمطار. وسوف يرتفع منسوب مياه البحار التي سوف يتمدد ماؤها، وبذلك تتعرض بعض المناطق للخطر، إذ يرتفع ماء البحر ما بين ٢٠ سنتيمتر إلى متر ونصف المتر.

وكانت المناقشات التي جرت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على امتداد الأعوام الأخيرة قد أفادت بأن التدمير البيئي المتوقع حدوثه كنتيجة لأخطار التلوث البيئي يفوق كثيراً التهديد بالدمار الذي

تعرضت له البيئة أثناء الحرب العالمية الثانية، وإن عمليات إفساد البيئة التي تحدث اليوم لا تتعلق فقط بثقب الأوزون وارتفاع درجة حرارة الأرض وما يتبع ذلك من إغراق السواحل، بل هي تتعلق في المقام الأول بالتصنيع المكثف في الدول الصناعية، وكذلك الإهمال في استغلال مصادر الثروة الطبيعية في الدول النامية، وهي مسائل ينبغي أن تأتي في المقام الأول.

قياس طبقة الأوزون

وتستخدم الجهات البحثية عدة أدوات لقياس طبقة الأوزون مثل:

- أدوات مثبتة على سطح الأرض.
- أدوات محمولة على مناطيد تفحص بصورة عامة كيمياء الهواء الذي تحلق فيه.
- أدوات محمولة على أقمار صناعية تقوم بالرصد عن بعد، كقياس سُمْك الطبقة.

ويقيس الباحثون الاشعاع الذي يضرب الأرض بأطوال موجية تباينها زهيد، يمتص الأوزون بعضها فقط بشدة، وتقيس الأجهزة المحمولة على الأقمار الصناعية الضوء المنعكس، فإذا ازدادت كمية الاشعاع ذي الأطوال الموجية التي تمتص بالنسبة لكمية الاشعاع ذي الأطوال الموجية التي لا تمتص، فإن كمية الأوزون تكون قد نقصت وبالعكس.. فإذا نقص الاشعاع ذو الأطوال الموجية التي تمتص، يكون الأوزون قد ازداد.

وكان لاطلاق مكوك الفضاء "ديسكفري" قمرا صناعياً في الفضاء في شهر سبتمبر ١٩٩١م دوراً هاماً في انجاز دراسة ميدانية حول طبقة الأوزون الهشة، وهي أول دراسة تفصيلية منظمة لطبقات الجو العليا من الفضاء، وقد استمرت المهمة حوالي العامين وبلغت تكاليفها ٧٤٠ مليون

التغيرات المناخية تعود إلى التلوثات الجوية وعبث الإنسان بالطبيعة..

دولار، حيث وضعت أساسا علميا لرصد طبقة الأوزون والكشف عن المتغيرات فيها. ثم تلتها رحلات استكشافية محددة كانت أبرزها انجازات المحطة الفضائية الروسية "مير" التي انتهت مهمتها، وكذلك المحطة الدولية التي لا زالت تقوم بمهمات استكشافيه في الفضاء حتى يومنا هذا. ويقوم العلماء الآن بقياسات تمتد من جنوبي أوربا إلى شمال اسكندنافيا مرورا بجرين لاند وروسيا، وهي مساحة واسعة نسبيا. وهناك معطيات عديدة تشير إلى أن هذه المنطقة تتأثر بانفجار البراكين، وأنها قد تأثرت فعلاً بانفجار بركان "بيناتوبو".

وحيث يصل التقلص أقصاه عادة في الربيع في الفترة ما بين مارس وأبريل في نصف الكرة الشمالي، فلذلك سيكون نشاط الفريق الأوربي على أشده في تلك الفترة للتحقق مما إذا كان الانفجار البركاني الأخير في الفلبين قد أدى إلى تقلص أكبر في الطبقة الأوزونية مما شهدوه في السنوات الماضية. وتشير القياسات السابقة إلى أن النقص في الأوزون حاليا يعادل ٩٪ فوق خط العرض المار بمدن كلندن وباريس. ويمثل هذا التقلص حداً أقصى في الربيع من كل عام عندما تبدأ ساعات النهار تطول.

من جهة أخرى فإن الاهتمام الذي يركز عليه العلماء ظل منصبا بشكل رئيسي على استخدام البشر للكيميائيات التي تطلق الكلور في الجو، وهم الآن على يقين تام من أن مركبات الكلور واليروم هي المسؤولة عامة عن فقدان الأوزون، وهذا بدوره أدى إلى اتخاذ قرار دولي بتقليص استخدام هذه الكيميائيات بغية الاستغناء عنها نهائيا ومراقبة حالة الطبقة الأوزونية بدأب شديد. ويذكر أن الجهود الدولية الجادة قد تضافرت في السنوات الأخيرة خصوصاً في البلدان الصناعية لتقليص أسباب فقدان الأوزون.. فقد وافقت تلك البلدان في اجتماع لها عام ١٩٨٧م على تخفيض انتاج مادة "الكلورو فلورو كربون" ليصل إلى نسبة ٥٠٪ عام



الأشعة البنفسجية المتسربة من الأوزون تسبب كثيراً من الأمراض

٢٠٠٠م ، وإن كانت بعض الدول كالصين والهند قد رفضت هذا التخفيض.

وفي عام ١٩٩٠م عقدت ثمانون دولة مؤتمرا دوليا في لندن لإنشاء صندوق للمساعدات الاقتصادية يخصص لتقديم مساعدات للدول النامية من أجل الحفاظ على طبقة الأوزون فيها واستعمال مواد كيميائية غير مدمرة لطبقة الأوزون. وفي يونيو ١٩٩١ عقد مؤتمر دولي في نيروبي حذر فيه خبراء ٦٤ دولة ومنظمة حكومية وغير حكومية من أن تبديد طبقة الأوزون - التي تحمي الأرض- والتي اتسعت رقعتها بصورة ملحوظة تحمل أخطاراً جسيمة لا يمكن حصرها، وان التدمير في هذه الطبقة سوف يستمر حتى منتصف القرن الحادي والعشرين.

وأعلن ممثل المنظمة العالمية للأرصاد الجوية أن الدراسات العلمية التي تمت على طبقة الأوزون منذ أواخر ستينيات القرن العشرين أكدت وجود انخفاض هائل في طبقة الأوزون على كل خطوط العرض ما عدا فوق الحزام الاستوائي حيث بلغ الانخفاض في طبقة الأوزون ٣٪ فيما بين ٦٥ درجة جنوبا و٦٥ درجة شمالا، وان الانخفاض قد حدث بشكل أكبر في العقدين الثامن والتاسع المنصرمين.

وقد طالب العلماء المشاركون في المؤتمر الدولي آنذاك، بإلحاح شديد، بتوسيع الشبكة العالمية لرصد الأوزون وتركيب ١٥ محطة رصد في المنطقة القطبية وسيبيريا والحزام الاستوائي، على أن تتركز عمليات الرصد على المركبات والمواد التي تؤثر على طبقة الأوزون مثل أول أكسيد النيتروجين والإيدروجين. وفي فبراير ١٩٩٢م أعلن البيت الأبيض أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) قرر التبكير بموعد حظر إنتاج غازات "الكلورو فلورو كربون" إلى عام ١٩٩٥م بدلا من عام ٢٠٠٠م كما كان مقررا، وذلك بعد ظهور دليل جديد على أن طبقة الأوزون الحامية للأرض من الأشعة القاتلة تتآكل بمعدل أسرع بسبب هذه الغازات. وقد تضمن ذلك القرار دعوة الشركات الصناعية الأمريكية التي تنتج أكثر من ٧٠٪ من المواد المدمرة لطبقة الأوزون إلى خفض انتاج مادة الكلورو فلورو كربون إلى نصف حجمه تمهيداً لإلغائه نهائيا في العقد الأول من الألفية الثالثة، داعيا الدول الأخرى إلى أن تحذو حذو الولايات المتحدة في هذا الصدد. والسؤال الحاد الذي يطرحه سكان الأرض جميعاً: ما هي المخاطر المحتملة والعواقب المتوقعة للحياة على كوكبنا جراء اتساع دائرة تآكل الطبقة الأوزونية؟

ومع أن من الصعوبة بمكان الإجابة الحاسمة عليه.. إلا أن المعطيات والدراسات والتكهنات تشير بوضوح إلى الأضرار البيئية المؤكدة التي أفرزت تغيرات موثقة للحرارة خلال السنوات العشرين الأخيرة التي تحمل آثاراً سيئة تنعكس على الكائنات الحية.. وفي مقدمتها الإنسان.. أما السبيل الوحيد لهذه المشكلة المتفاقمة فهو بذل الجهد الدولي، الجاد والمكثف، لإنجاز الهدف الموحد الأسمى، وهو إنقاذ كوكب الأرض من أكبر تهديد بيئي يواجه البشرية.

المراجع:

1- Scientific American, Jaunary 1993.

2- Science and Technology 7/1998, 3/1999.

3- Newsweek 26/5/1999.

4- Time13/10/1999.

حوادث الطيران.. والصندوق الأسود

محمد صالح عوض - مصر

تحظى حوادث الطيران باهتمام عالمي واسع النطاق على المستوى الحكومي والشعبي، وتحتل حيزاً كبيراً في وسائل الإعلام المختلفة، حتى إنها تصبح حديث الساعة ليومين أو ثلاثة(١).

وقد ظهرت حوادث الطيران مع المحاولات الأولى للطيران، حيث فقدت البشرية بسببها العباقرة الأوائل في عالم الطيران الذين قدموا أرواحهم بشجاعة في سبيل وضع أقدام البشرية على طريق الطيران (٢).

الطيران طوى الأبعاد والمسافات.. وجعل الناس قريبين من بعضهم..

ولقد عرف الإنسان أهمية التحقيق في حوادث الطيران بالفطرة، وبدأ يمارسها عندما تفشل أسباب تجربته في الطيران، أو تسقط طائرته. فقد كان يدرس أسباب الفشل أو السقوط مستعيناً بمشاهدته للتجربة محللاً أسباب ميل الطائرة مثلاً أو سقوط مقدمتها أو مؤخرتها (٣).

أسباب حوادث الطيران:

يمكن حصر أسباب حوادث الطيران فيما يلي:

١ـ أعطال وعيوب فنية في الطائرة ومحركاتها، غالباً تكون من الأسباب الرئيسية في الحوادث، حيث تصل نسبتها من إجمالي حوادث الطيران ١٢,٥٪، وهي نسبة مرتفعة، ويلاحظ أن مصانع الطائرات تقوم باختبارات عديدة للطائرات قبل بيعها، بيد أنه كثيراً ما تظهر أخطاء وأعطال أثناء عمليات الطيران الفعلية.

٢ـ أخطاء طاقم القيادة... وأخطاء طاقم القيادة هي السبب الأول في حوادث الطيران، فقد أكدت الإحصاءات أن ٧٣,٥٪ من حوادث الطيران وقعت بسبب هذه الأخطاء، ويمكن حصرها فيما يلي:

أ- عدم اتباع الإجراءات المنصوص عليها بدقة.

ب- الشرود وعدم الانتباه أثناء قيادة الطائرة.

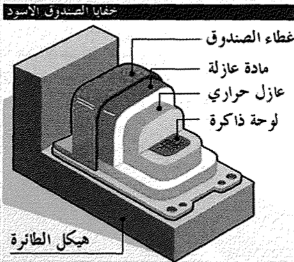
ج- الخطأ في إجراء معين.

د- نقص في الخبرة والتدريب.

وقد عزا البعض أسباب ارتفاع نسبة أخطاء طاقم القيادة إلى الإرهاق الشديد الذي يتعرض له الطيارون نتيجة لقلة أعدادهم، ورغبة شركات الطيران في القيام بعدد كبير من الرحلات لتحقيق قدر أكبر من الربح خاصة في المواسم التي يزداد فيها الإقبال على السفر، حيث جاء في تقرير اتحاد الطيارين البريطانيين الذي صدر عام ١٩٧٣م أن الإرهاق بسبب طول ساعات العمل للطيارين أدى إلى وقوع عشرة حوادث في الفترة من عام ١٩٦٦م إلى عام ١٩٧٧م وراح في هذه الحوادث ٢٥٧ شخصا، كما نادت أصوات كثيرة بضرورة تخفيض الضغط على الطيارين حتى يُحسنوا التصرف عند مواجهة الطوارئ، ولقد تم وضع حد أقصى للساعات التي يقوم طاقم القيادة بالعمل فيها بـ ٨ ساعات فقط في اليوم، مع توفير سبل الراحة للطيارين قبل الرحلات وداخل الطائرة، كما تم وضع طاقم قيادة إضافي على الطائرة يجلس مع الركاب ويتولى القيادة بالتبادل مع طاقم الطائرة الأصلي، وذلك في الرحلات الطويلة التي تستغرق ١٦ساعة دون توقف، وفي بعض الرحلات التي تصل إلى ٨ ساعات قامت شركة الطيران بتنظيم عمليات القيادة بحيث يسافر بالطائرة طاقم وينتظر في محطة الوصول، ويعود بنفس الطائرة طاقم آخر، وينتظر الطاقم الأول حتى تعود طائرة أخرى يعود بها.. وهكذا.

٣ـ من أسباب حوادث الطيران عيوب الصيانة. حيث تبلغ نسبة الخطأ فيها ١,٦٪، ويكون ذلك نتيجة الإهمال في إصلاح بعض الأعطال، أو الإهمال في صيانة العدادات والمحركات مما يتسبب في وقوع الحادث.

٤ـ أخطاء المراقبة الجوية، حيث تبلغ نسبة الحوادث



الصندوق الأسود.. يعطي بيانات دقيقة عن الطائرة قبل وأثناء وقوع الحادث

بسببها ٣,٤٪، حيث يُخطئ ضابط المراقبة في إعطاء المعلومات غير الدقيقة لقائد الطائرة مما يؤدي إلى اصطدام طائرتين في الجوى، أو اصطدام الطائرة بجبل، أو مبنى مرتفع أو السماح بالهبوط في مكان غير مؤهل لذلك، وهذه النسبة ٣,٤٪ من حوادث أخطاء طاقم المراقبة الجوية عالية، وإن كانت التكنولوجيات الحديثة في المراقبة الجوية قد أدت إلى تقليل نسبة الخطأ للمراقب الجوي بعد أن أصبحت تدار بالكمبيوتر، وأجهزة ملاحية متطورة تحدد أماكن الطائرات وارتفاعها وخط سيرها بدقة وسهولة شديدة.

٥- سوء الأحوال الجوية حيث تؤدي إلى وقوع الحوادث، فقد تسببت في وقوع حوالي ٣,٥٪ من حوادث الطائرات التي تطير في حدود الغلاف الجوى التي يصل ارتفاعها إلى ٣٤ ألف قدم، ففي خلال هذه المسافة تحدث تغيرات جوية كثيرة، وعوامل مختلفة كسرعة الرياح والكثافة والسحب الرعدية والضباب والأمطار وانخفاض درجة الحرارة التي تصل في قمة هذه الطبقة إلى ٧٠ درجة تحت الصفر.. هذه العوامل بالكامل تؤثر على حركة الطيران.(٤)

وماذا عن الصندوق الأسود؟!

تتركز التحقيقات عادة بعد حوادث الطيران على البحث عن جهازي تسجيل معروفين بـ (الصندوق الأسود) موجودين في ذيل الطائرة من أجل معرفة أسباب الحوادث. فما هي قصة الصندوق الأسود؟

الصندوق الأسود هو الذي يعطى بيانات دقيقة عن حادث الطائرة، وهو العامل المساعد الرئيسى في حل لغز الحادث وكشف السر الذي راح مع ضحايا الحادث، وتلزم القوانين الدولية المتفق عليها جميع الرحلات التجارية بحمله حتى يمكن الاستفادة منه في معرفة سبب الحادث وتجنبه في المستقبل(٥).

مواصفات الصندوق الأسود:

هو عبارة عن مسجلتين احداهما رقمية، والأخرى غير رقمية، وهما متشابهتان في المظهر الخارجي، مختلفتان في التركيب من الداخل، وتعطيان بيانات دقيقة عن الطائرة قبل وأثناء وقوع الحادث وتصل في بعض الأحيان إلى ٤٠٠ مجموعة من البيانات يتم تفريغها وتحليلها للوصول إلى رأى في الحادث.. بيانات مثل سرعة الطائرة، وارتفاعها طوال الرحلة، وحركة دوران المحرك، والضغط داخل الطائرة، وخزانات الوقود، والعمليات التي يقوم بها قائد الطائرة، إضافة إلى مجموعة كبيرة من البيانات لا يفهمها إلا المختصون، ثم ما طرأ على هذه البيانات وقت وقوع الحادث كتوقف المحرك فجأة، أو تشغيل جهاز الدفع العكسي، أو حدوث انفجار مفاجئ، وهل استطاع قائد الطائرة القيام برد فعل أم أن ما حدث كان سريعاً ومفاجئاً.... ثم يعكف الخبراء لتحليل البيانات وتقرير ما إذا كان قائد الطائرة أخطأ، أم أن الخلل كان أسرع منه، وأين الخلل تحديداً.(٦)



وتحفظ محتويات الصندوق الأسود في قوالب متينة للغاية مصنوعة من مواد قوية مثل عنصر التيتانيوم، تحيطها مادة عازلة لتتحمل صدمات تبلغ قوتها أضعاف قوة الجاذبية الأرضية، ولكي تتحمل درجة حرارة تصل إلى ١١٠٠ درجة مئوية يطلقها لهب مغذى بالوقود لمدة ٣٠ دقيقة، وضغطاً قوياً يعادل ضغط المياه على عمق ٢٠٠,٠٠٠ قدم تحت البحر.

وتتضمن الاختبارات التي تجريها شركات الإنتاج إطلاق الصندوق الأسود من مدفع صاروخي تجاه



جدار لمحاكاة صدمات سقوط الطائرة وهي تحلق بسرعة تفوق مائة ميل في الساعة.

ويحتوى الصندوق على مرشد لا سلكي لتحديد موقعه تحت الماء حيث يطلق ذبذبات ضوئية عالية التردد ٣٧.٤ كيلو هيرتز عند مساس المياه والثلوج الكثيفة والرطبة، وذلك عند خروجه من ذيل الطائرة، ويمكن تمييز تلك الإشارات على بعد ٢.٥ ميل، وعلى عمق ١٢٠ ألف قدم تحت الماء ولمدة ٣٠ يوم متواصلة.

يوجد به شريط تسجيل معلومات جيد النوعية بعرض ربع بوصة، وله قابلية التسجيل المستمر لمدة ٢٥ ساعة متواصلة، ويعود للتسجيل من جديد بعد انتهاء المدة، وذلك فوق البيانات القديمة فهي تمسح تلقائياً.

ومما هو جدير بالذكر أن الصندوق الأسود قد لا يعطي بيانات تفيد الحادث على الإطلاق، وهنا يكون تجميع حطام الطائرة هو الأساس في التحقيقات.

هذا.. والغريب أن الصندوق برتقالي اللون،وسمى بالصندوق الأسود لارتباطه بالكوارث الجوية، وحوادث تحطم الطائرات.(٧).

من أغرب حوادث الطيران:

كابتن إبراهيم يحييكم من شوارع ميونخ!!!

في صباح يوم ٩ فبراير سنة ١٩٧٠م اتخذت الطائرة المصرية من طراز (كوميت) وضع الإقلاع من مطار ميونخ، وكان خط سير الرحلة: ميونخ - أثينا - القاهرة. ربط الركاب أحزمة الأمان، واتخذت المضيفات المواقع المخصصة لهن بالطائرة، وسمع قائد الطائرة كابتن "إبراهيم اللبان" التصريح بالطيران من برج المراقبة، فانطلق على ممر الإقلاع. وتمر لحظات ويسأل برج المراقبة قائد الطائرة عن انتهاء عملية الإقلاع وبداية السير في الخط الجوى، بيد أنه لا يجيب، وتتوالى محاولات الاتصال دون فائدة، اختفت الطائرة من على شاشات الرادار.. وتأكد الخبر.. لقد سقطت الطائرة، وأذاعت وكالات الأنباء الخبر في جميع أنحاء العالم، وأضافت وكالة الأنباء الفرنسية أنه تم العثور على الطائرة المحطمة واستخراج جثث الضحايا. كانت الطائرة تحمل أربعة عشر راكباً بالإضافة إلى طاقم الطائرة وعشرة من الطيارين والمهندسين والمضيفات كركاب عاديين.

مطار ميونخ يبلغ مركز البحث والإنقاذ لتحديد موقع سقوط الطائرة في حي (كيرشترودرنج) شرق ميونخ، وبينما يسير المشاة في أحد أكبر شوارع الحي يتوقفون فجأة، وتعقد الدهشة ألسنتهم، إنها طائرة حقيقية تهبط في أرض الشارع وتسير فيه بكل ثقة دون أن تصطدم بشئ!! بل إنها تسير وسط الشارع بين أعمدة الإنارة وكأنها سيارة صغيرة، وتتوقف فجأة وسط ذهول المارة!! ولوعدنا قبل هذا المشهد بدقيقتين إلى الوراء سنجد قائد الطائرة مع مساعده يقومان بعملية إقلاع ناجحة من مطار ميونخ، وبعد دقائق تشتعل النيران في جناح الطائرة الأيمن، ولم يجد قائد الطائرة سوى الهبوط فوراً بالطائرة فلم يجد سوى شارع هادئ على نفس امتداد ممر الإقلاع ولا يبعد عنه سوى ٣٠٠ متر، فقرر بشجاعة الهبوط به لإنقاذ الركاب، ونجح في ذلك ببراعة فاقت الخيال، ولم يسفر الحادث عن خسائر مادية كبيرة، كما لم تصب منازل الشارع بأية أضرار!!(٨)

عندما طارت نافذة الطائرة في الهواء!!

كابتن "تيم لانكستر" طيار بالخطوط البريطانية كثيراً ما واجه ظروفاً عصيبة أثناء الطيران، وكان يعلم جيداً أنه يواجه الموت في أي لحظة، بيد أنه لم يخطر بباله يوماً أنه سيظل يقاوم الموت لمدة ربع ساعة معلقاً خلالها خارج الطائرة وهي تسير بسرعة كبيرة على ارتفاع ٢٣ ألف قدم وفي درجة حرارة ٨ تحت الصفر، ثم يخرج حياً من



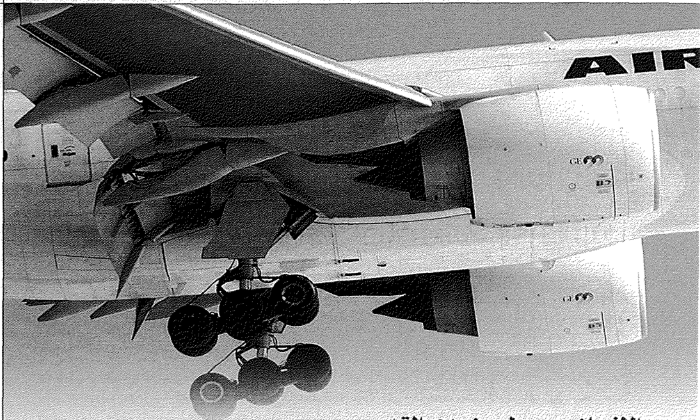
هذا الحادث الذي وقع بالفعل في شهر يونيو عام ١٩٩٠م!!

إنها قصة غريبة حقاً بدأت برحلة من مطار برمنجهام البريطاني في طريقها إلى أسبانيا لتنقل ٨١ سائحاً، وقد ظلت الرحلة تسير بشكل طبيعي لمدة ٢٠ دقيقة شعر بعدها قائد الطائرة بصوت غريب يأتي من النافذة الصغيرة على يساره، وما إن نظر إليها حتى مر بأعنف لحظات حياته، فقد طارت فجأة النافذة إلى الخارج وجذب الضغط الجوى الشديد قائد الطائرة من مقعده إلى خارج الطائرة! وشاء القدر أن يدخل أحد المضيفين إلى كابينة القيادة حاملاً الطعام لطاقم الطائرة، فاندفع ممسكاً بقدم قائد الطائرة، وساعده على الفور مساعد الطيار لتبقى قدمي قائد الطائرة فقط بالداخل بينما جسده بالكامل خارج الطائرة! ودخلت مضيفة أخرى لتساعد في إنقاذ قائد الطائرة، ولم يتمكنوا من إدخاله، فجلس مساعد الطيار على مقعده فوراً وبدأ يهبط بالطائرة في مطار "ساوت هانبتون" بينما قائد الطائرة معلق في الهواء!!

استغرق ذلك ربع ساعة كاملة بذل فيها المضيفون مجهوداً خارقاً من أجل الاحتفاظ بقائدهم بين أيديهم، وتم إدخاله الطائرة بعد الهبوط حيث كان في حالة سيئة للغاية، فقد تكسرت ثمانية أضلع من قفصه الصدري، كما تكسرت قدماه، وأصيب بتشققات جلدية في وجهه وجسده نتيجة لشدة الاحتكاك مع الهواء وانخفاض درجة الحرارة إلى ٨ تحت الصفر! كما أصيب في الحادث ثمانية من ركاب الطائرة نتيجة للصدمة العصبية التي لحقت بهم، ولقد تبين أن مهندس الصيانة الخاص بالطائرة قد ثبت الزجاج بمسامير أقصر من اللازم، فتسبب إهماله في فتح الزجاج.(٩)

وقد لقي حادث الكابتن "لانكستر" اهتماماً كبيراً من وسائل الإعلام في حينه، وصفته بأنه أغرب حادث طيران في العالم، والأول من نوعه.

بيد أن الحقيقة غير ذلك تماماً، فقد وقع حادث مماثل، بل يعد أغرب منه لطائرة من طراز (داكوتا) في الأول من شهر يوليو عام ١٩٥٩م حيث كانت الطائرة تقوم برحلة من القاهرة إلى القدس وعلى متنها ٢٠ راكباً، وبينما الطائرة في الجوى قامت سائحة أمريكية بالعبث



الإنسان محمول بين يدي القدر، وعليه الاحتساب..

في مسامير نافذة الطائرة التي تجاورها فاندفع الزجاج إلى الخارج واشتد الضغط داخل الطائرة، وكادت السائحة تندفع هي الأخرى من النافذة لولا مساعدة الركاب لها، وعندما أسرعت إحدى المضيفات إلى النافذة تحاول إغلاقها بجسم صلب جذبها الضغط الشديد إلى خارج الطائرة وخرج نصف جسدها الأعلى إلى الهواء، بينما تشبثت المضيفة بشدة بيديها في حافة النافذة، وينتشر الذعر بين الركاب ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منها خوفاً من أن يندفع هو الآخر إلى الخارج، وظل الموقف متأزماً لعدة دقائق ظلت المضيفة فيه متشبثة بالحياة وهي تقاوم اللحظات الفاصلة من حياتها إلى أن حضر أحد أفراد طاقم القيادة وتمكن بعد مجهود ضخم من جذب زميلته المضيفة إلى الداخل بكل شجاعة! ونتيجة لدخول ضغط الرياح إلى الطائرة لم تتمكن مواصلة رحلتها، وعادت على الفور إلى مطار القاهرة، وقد أصيبت المضيفة ببعض الكسور والرضوض نتيجة لهذا الحادث العنيف والغريب، بيد أنه لم يحظ في تلك الفترة بالاهتمام الإعلامي الذي حظي به حادث "لانكستر" الذي ظهر كأنه الأول من نوعه.(١٠)

الهوامش:

(١) حوادث الطيران، منصور بن صالح اليوسف، صحيفة الجزيرة العدد ١٠٢٩٨.

(٢) حوادث الطيران، وليد حيدر، ص٢٢، كتاب أخبار اليوم، ط ١٩٩٠م.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) ما هو الصندوق الأسود؟ م/ عارف سمان، موقع مركز المدينة للعلوم والهندسة.

(٦) السابق.

(٧) www.altyyeb.net/pages are up dated in 24th AUG2003

(٨) حوادث الطيران، وليد حيدر ص: ٥٤.

(٩) السابق ص:٥٧.

(١٠) السابق ص:٥٨.

هجرة الطيور الغامضة

(مواقع الشمس والنجوم تساعد الطيور المهاجرة على شق طريقها عبر المحيطات والصحاري والجبال)

أعده : ماكس إيستمان

ترجمة: فاضل كمال الدين (العراق)

بينما كان علماء الطبيعة يخططون لكيفية اجتياز الفضاء ما بين النجوم، كان كبار العلماء، وفي ميدان آخر، يحاولون معرفة كيفية قيام الطيور بالهجرة من مكان إلى آخر هنا على الأرض أي كيف يجد طائر قطبي، مثل طائر الخرشنة المائي، مولود في القطب الشمالي وكان قد ترك عشه عندما كان عمره ستة أسابيع، كيف يجد طريقه إلى ثلوج القطب الجنوبي التي تبعد عن عشه (١١٠٠٠) ميل. ثم وبعد أن يقضي الشتاء هناك، يعود هذا الطائر إلى مكان العش نفسه الكائن في الشمال لقضاء فصل الصيف. ولو أن من العجيب أن يكون قلبه وجناحاه قادرين على القيام بهذه المهمة، غير أنه كيف يستطيع دماغه الصغير جداً حل مشاكل أثناء الهجرة حيرت الجنس البشري لآلاف عديدة من السنين؟



وكان الفيلسوف الإغريقي «أرسطو طاليس» قد لاحظ أن الطائر «أبو الحناء» يختفي في الشتاء ولكن طيور «الحميراء» لا تختفي. واستنتج «أرسطو طاليس» أن طيور «أبو الحناء» تتحول إلى طيور «الحميراء» في الخريف ثم تعود إلى حالها الأول في الربيع. ثم وافق على هذا الرأي عالم الطبيعة الروماني «يليني»، ثم ساد الرأي في روما بأن طيور السنونو تتحول إلى ضفادع. والحقيقة التي نشأت عنها هذه الأفكار الغريبة هي أن هناك أنواعاً كثيرة جداً من الطيور، وخاصة الصغيرة منها، تهاجر أثناء الليل. فتكون في مكان ما في المساء، وعندما يأتي الصباح تكون قد ذهبت. وكل إنسان يعرف أن الطيور لا تطير في الظلام.

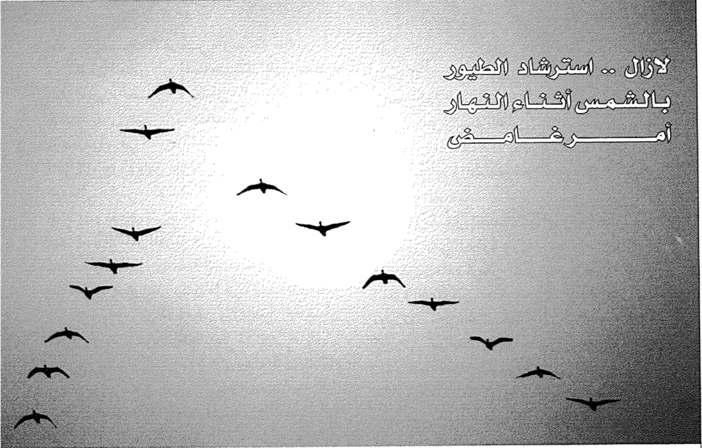
ولم يبدأ علماء الطيور، إلا عند حلول القرن الثامن عشر، بإدراك أن الطيور تطير فعلاً أثناء الليل وبأعداد هائلة. وبدأ العلماء المهتمون بمسألة الملاحة يهتمون أيضاً بهجرة الطيور وأخذوا يدرسون هذه الهجرة.

ومما يتصل بهجرة الطيور هي غريزة العودة إلى الموطن والتي هي موهبة وراثية أخرى كان قد أدركها الإنسان واستخدمها منذ أيام النبي «نوح» الذي كان قد أرسل حمامة لتطير فوق المياه. وربما أن أفضل ما يمثل قدرة الطيور على تلمس طريقها إلى موطنها هو الطائر البحري الذي يسمى بـ«جلم الماء» والذي هو يشبه طائر «النورس». والكثير من هذه الطيور تعيش في جحور في الجرف الكائن على ساحل «ويلز». وكان قد أمسك بأحد هذه الطيور وأخذ جواً إلى «بوسطن» و«ماسوشوستس»، ثم أطلق سراحه هناك في الرابع من حزيران من عام (١٩٥٢). وفي السادس عشر من حزيران، أي بعد مرور إثنا عشر يوماً ونصف اليوم، وصل ذلك الطائر إلى حفرته الكائن في جزيرة «سكوكولم» القريبة من ساحل «ويلز» أي أن ذلك الطائر قد قطع مسافة بلغت (٣٠٥٠) ميلاً فوق المحيط غير المطروق.

وبينما كانت الحقائق، الشبيهة بهذه، تجمع خلال القرن الأخير، غير أنه ليس إلا في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة بذلت جهود مُقَدَّرة لمعرفة كيفية قيام الطيور بهذا العمل؟ وبماذا تهتدي هذه الطيور: هل هي تهتدي بالنجم القطبي أم بالشمس أم بالقمر أم بالرياح أم بالمناخ أم بمغناطيسية الأرض؟ وأي عنصر من هذه العناصر هو الذي يعطيها الشعور بالاتجاه الصحيح؟

وكانت إحدى الخطوات، في مجال فهم هجرة الطيور، هي الخطوة التي قام بها عالم طيور ألماني هو «غوستاف كريمر» الذي ابتكر طريقة لاختبار الفكرة القائلة بأن الطيور تسترشد بالشمس للقيام بهجرتها. واستطاع «غوستاف كريمر» جمع شواهد قوية تسند الفكرة القائلة بأن الطيور تسترشد بالشمس للقيام بهجرتها، ولكن بقي هناك أمر واحد محاط بالغموض وهو كيفية استرشاد الطير بالشمس أثناء النهار وأثناء الليل وفي ظروف الجو المواتي والجو المعاكس.





ويتضح تعقُّد مسـألة استخدام الطيور للشمس في هجرتهـا عندما يتذكر المـرء التغيرات الحاصلة في مواقع الشـمس بتغير سـاعات اليوم وتغير فصول السـنة وتغير مراحل الرحلة. ويستلزم هذا الأمر أن يكون للطير إحسـاس بالزمن يكون شـبيها بساعة يحملها الطير في داخله.

وقام البروفسـور «ماثيوز»، عالـم الأحياء والعامل في جامعة «كامبريدج» سـابقاً، بتوضيح صعوبات استرشـاد الطيـر بمرور الشـمس في السـماء. ويتضمـن توضيحاتـه الكثير جداً من الحسـابات الرياضية وبحيث أن المرء سـيعتقد أنه لا يسـتطيع التعامل مع نقطة مرجعية صغيرة مثل الشمس سوى نظـام كومبيوتري يكون على جناحـي الطائر. ومع ذلك، فإن «ماثيوز»من المقتنعـين بأن هجرة الطيور وعودتها إلى موطنهـا مصدرهما هي غريزة الطيور للقيام بهذا العمل الفذّ.

والشيء الوحيد الذي لم يستطع البروفسور «ماثيو» تفسيره بشكل كافٍ عندما قام بتلخيص نتائج بحوثه في عام (١٩٥٥)، هو كيفية تطبيق نظريته على هجرة الطيور أثناء ساعات الظلام، وهو يقول«يمكن للطيور أن تحدد اتجاه الطيران الليلي بواسطة الشمس في سـاعات النهار وبواسطة الاسـتعانة، في ساعات الظلام، بالقمر وترتيب النجوم، إلى درجة ما».

ولكن لـم يكن هذا الرأي الغامض مقنعاً لعالم طيور آخر هو «سـوير» من جامعة «فريبـورغ» في ألمانيا والذي يتمثل اهتمامـه الأول بالطيور الصغيرة جداً التي تسـمى بالطيور الهازجـة (المغردة) التي تقطع في طيرانها مسـافات طويلة وفي الليل على الأغلب. وقام الدكتور «سـوير» بسلسلة من التجارب الليلية، فوضع (في موسم هجرة الطيور) مجموعة من الطيور الهازجة والمحبوسـة في قفص في مكان لا تستطيع هي أن ترى منه سوى السماء والنجوم. فوجد أن تلك الطيور كانت تبدأ بالرفرفة عند رؤيتها للسـماء أثناء الليـل، ووجد أيضاً أن كل واحد من تلك الطيور كان

يتخذ وضعاً وكأنه أبرة البوصلة ونحو الاتجاه الدال على خط هجرته المعتادة. وحتى عندما كان يحاول صرف انتباه تلك الطيور، بقيامه بتدوير مجاثمها، كانت تعود ثانية وبعناد إلى الاتجاه الذي تفضله.

ثم قام الدكتور «سوير»، بعد ذلك، بوضع طيوره الهازجة داخل غرفة مشتملة على جهاز يظهر حركات الشمس والقمر والكواكب والنجوم تحت قبة لتكون بمثابة نسخة مطابقة للسماء ونجومها. وهنا أيضاً، اتخذت تلك الطيور الاتجاه الصحيح للطيران إلى أماكنها الشتوية في أفريقيا.

وهناك شعر، وبالإضافة إلى العلم، في موقف الدكتور «سوير» تجاه تلك الطيور الصغيرة المغامرة التي قام بدراستها وحيث هو يقول عنها «عندما يأتي الخريف، يبدأ طير الحديقة الهازج الصغير، والذي يزن ثلاثة أرباع الأونس فقط، يبدأ في إحدى الليالي برحلة لا يمكن تصديقها. فهذا الطائر يشق طريقه وحيداً، دون أن يكون ضمن مجموعة من الطيور ودون أن يخطئ في الاتجاه بشق طريقه نحو الجنوب إلى غايته البعيدة في أفريقيا وترشده في ذلك خريطة النجوم.



وكان لدى الدكتور «سوير» طير هازج مدلل هو من نوع الطيور الصغيرة جداً وذات الحنجرة البيضاء، وكان يسميه «جوتي». وكان هذا الطير الصغير يطير عادة من ألمانيا متجها نحو الجنوب الشرقي وعابراً البلقان، ثم يتوجه نحو الجنوب محلقاً على امتداد نهر النيل نحو منزله الشتوي في أفريقيا الوسطى. ولم يكن هذا الطائر الصغير يعرف شيئا عن ذلك كله لأنه كان قد ولد في قفص قضى كل حياته فيه. ومع ذلك، عندما كان يأتي موسم الهجرة ويوضع قفصه في الغرفة الخاصة التي تريه السماء في ألمانيا، كان ذلك الطائر يتخذ الوضع الصحيح للطيران باتجاهه نحو الجنوب الشرقي. وهكذا، برهن الدكتور «سوير»، وبمساعدة من قبل الطير الهازج الصغير «جوتي»، على أن الطيور الهازجة الصغيرة تستطيع الاسترشاد في طيرانها بالنجوم وبالإضافة إلى الشمس.

ويبقى سراً من الأسرار الغامضة كيفية استيرات هذه الغرائز المتطورة. ويقول البرفسور «ماثيوز» «إن ذلك هو أحد الأسرار الغامضة وذات الأهمية العظيمة في علم الأحياء».

ويلتقي العلماء الذين كانوا يدرسون موضوع هجرة الطيور خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة، يلتقون في الرأي عند هذه الحقيقة الأساسية: وهي أن هناك نوعاً من جهاز في دماغ كل طير مهاجر ومنذ الولادة وبحيث أنه عند وضع ذلك الطير في علاقة معقدة مع الأضواء المارة عبر السماء، ستجعله تلك العلاقة قادراً على تحديد موطنه على الأرض ومع أن الإنسان سوف يعجز عن ذلك تماماً وبالرغم من جميع اختراعاته.

بدايات التعليم النظامي في الأحساء





معاذ المبارك - الأحساء

كانت الأحساء على مدى قرنين من الزمن أو أكثر منارة علم يؤمها القاصي والداني سواء من دول الخليج العربي أو من الدول العربية والإسلامية وذلك لوجود صفوة من العلماء والعديد من المدارس العلمية التي تدرس فيها المذاهب الأربعة وكذلك لوجود الأسر العلمية سواء في مدينة الهفوف أو المبرز التي اشتهرت بخدمة العلم حيث أوقفت الكثير من البيوت ومزارع النخيل للصرف على هذه المدارس منها على سبيل المثال أسرة آل عمير وآل ملا وآل غانم وآل عفالق وآل مبارك.. وفي القرن الثاني عشر الهجري ازدهر العلم في الأحساء ازدهارا لم يسبق له مثيل.

ومن العلماء الوافدين آنذاك الشيخ محمد بن أحمد العمري الموصلي الذي أنشأ قصيدة مدح فيها علماء الأحساء في أواخر القرن الثاني عشر من المذاهب الأربعة وهي مثبته في كتاب تحفة المستفيد.. ومن أهل العلم الوافدين أيضاً على الأحساء في القرن الثاني عشر الشيخ عبدالله الكردي البيتوشي والشيخ عثمان بن سند ولكثرة طلبة العلم أنشئت عدة مدارس علمية لخدمة العلم وطلابه منها:

مدارس القبة التي أسست في الكوت سنة ١٠١٩هـ وكان الناظر عليها حين تأسيسها الشيخ محمد بن علي الواعظ ومن أبرز من قام بالتدريس بها الشيخ محمد بن عمر الملا وابنه والشيخ أبو بكر والشيخ عبدالله بن أبي بكر ثم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا مفتي الأحساء وقاضيها آنذاك، والمدرسة الشلهوبية التي أسست في الكوت سنة ١١٨٣هـ التي درس فيها الشيخ أحمد بن محمد بن شلهوب ثم الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملا ثم توارث التدريس بها أبناؤه وأحفاده إلى وقتنا الحاضر.. ومدرسة آل عثمان التي أسست في العهد العثماني الأول أول من درس بها الشيخ محمد بن عثمان بن جلال الشافعي ثم توارث التدريس بها أبناؤه وأحفاده من بعده المدرسة الجديدة التي أسست في حي الكوت أيضاً سنة ١٢٩٢هـ وأول من درس بها الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا ثم تـوارث التدريس بها أحفاده وأبناؤه من بعده المدرسة القبلية في حي المرابده بالكوت التي درس بها الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملا وأبناؤه وأحفاده من بعده.

مدرسة الشهارنة التي أسست في حي الرفعة في العقد التاسع من القرن الثاني عشر الهجري وهي أول مدرسة لأسرة المبارك أوقفها الوجيه الشيخ محمد بن خليفة الحملي على



يد جد أسـرة المبارك الشـيخ مبارك بن علي الذي كان يدرس فيها وبعد ذلك درس بها ابنه الشـيخ عبداللطيف بن مبارك ثم الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف ومجموعة من المشايخ من أبرزهم الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك وكذلك مدرسـة الشريفة التي أسسـت في حي الرفعة سنة ١٣٠٥هـ الذي قام بالتدريس فيها الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف المبارك وأوقفت على يده ثم ابنه الشـيخ محمد بن إبراهيم.. ومثلها مدرسة الصالحية التي أوقفت أيضاً على يد الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف المبارك وهو أبـرز من درس فيها.. هذا إلى جانب مدرسـة آل غانم في حي القديمات ومدرسة عيسى المطلق في حي المقابل ومدرسة آل كثير ومدرسة آل سعدون ومدرسة آل خليفة في السياسب وجميعها في المبرز وكان يدرس في هذه المدارس القرآن الكريم والفقه وبعض العلوم الشـرعية واللغة العربية ومازال بعض المشايخ إلى وقتنا الحاضر يعطـون دروسـهم العلمية لطلبة العلم كالشـيخ أحمد الدوغان والشيخ السـيد إبراهيم الخليفة والشيخ يحي بن الشـيخ محمد بن أبي بكر الملا في الكوت والشـيخ الدكتور عبدالحميد المبارك في الصالحية.. أما بالنسبة لبداية التدريس شـبه النظامي في الأحسـاء في العهد العثماني فقد بدأ مع تأسـيس أول مدرسة شبه نظامية هي مدرسة الرشيدية سـنة١٣١٩هـ التي أقيمت داخل قصر إبراهيم وتقوم بتدريس أبناء المسئولين العثمانيين وأبنـاء المقربين من الدولة العثمانيـة وكان يدرس فيها القراءة والكتابة واللغة التركية.

وبعـد دخول الملك عبدالعزيز – رحمه الله – الأحسـاء سـنة ١٣٣١هـ وبعدها بفترة من الزمن أسـس الشيخ حمد بن محمد النعيم مدرسة النجاح سنة ١٣٤٣هـ في حي النعاثل عندما لاحظ أن معظم الناس لا يحسـنون القراءة والكتابة فأسـس هذه المدرسـة لتدريس أبنائه وأبنـاء جيرانه وأيضاً ممـن كان يصعب عليهم القراءة والكتابة

وقد رأى الشيخ حمد الإقبال الشديد على هذه المدرسة وأراد توسـعتها لتخدم أكثر عدد مـن طلبة العلم وقد تحققت له هذه الأمنية بمسـاعدة الوجيه الشيخ عبدالله بـن إبراهيم القصيبي الذي تبرع بمبنى للمدرسـة في حي الجـرن بالهفوف حيث انتقل طلاب الشـيخ حمد إلـى المبنى الجديد وكان عددهـم ٣٠٠طالباً ليواصلوا

علـى مـدى قـرنـين مـن الـزمـن ظلت الاحساء ملتقى لطلاب العلم والعلماء..



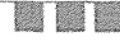
إكمال دراسـتهم وطموحهم العلمي.. هذا وقد قام عدد من المشـايخ، من المتطوعين بالتدريس في هذه المدرسة كالشيخ عبدالرحمن المزروع والشيخ مستعان بن ناصر المنصور وغيرهم من المشـايخ لكن وبعد وفاة الشـيخ حمد أغلقت هذه المدرسة

وفي سنة ١٣٥٠هـ أرسلت الحكومة اثنين من المدرسين هما الشـيخ عبدالجليل الأزهري والشيخ راغب القباني وقد استمرت هذه المدرسة لمدة ستة شهور ولم يكن عليها إقبال فاضطرا إلى إغلاق المدرسة ولعل البداية الفعلية للتدريس النظامي في الأحسـاء عندما أسست المدرسة الأميرية وسميت فيما بعد مدرسة الهفوف الأولى

ففي عام ١٣٥٦هـ أرسلت الحكومة مرة أخرى الأستاذ محمد بن علي النحاس (مصري الجنسـية) فافتتح أول مدرسـة حكومية في الأحسـاء وعندما وصل الأحساء التقـى بأصدقاء له منهم عبداللـه القاضي مدير مالية الأحسـاء والشـيخ محمد النعيم وقـد أخبرهم برغبته بمقابلـة المزيـد من علماء وأعيان الأحسـاء ليشـرح لهـم وجهة نظره لافتتاح المدرسـة وكان منهم الشـيخ عبداللطيـف بن عبداللـه المبارك إمـام وخطيب جامع الإمام فيصل بن تركي والشـيخ محمـد بن عبدالله آل عبدالقادر قاضي المبرز والشـيخ أحمد بن عبداللطيف الملا وقد شـرح لهؤلاء الأعيان مناهج التعليم والغرض منـه واتفق معهم على ما عرضوه من وجهات نظر حيث بدأت في ضوء ذلك الدراسـة في هذه المدرسـة بفضل جهود الأسـتاذ النحاس التي كان لها الأثر الكبير في افتتاح أول مدرسة نظامية في الأحساء

وقـام بالتدريس في هذه المدرسـة جملة من المشـايخ وطلبة العلم كالشيخ يوسـف بن راشد المبارك والشيخ عبداللطيـف بـن عبدالعزيـز المبـارك والشـيخ حمد الجاسـر وعبدالمحسـن بن حمد المنقـور وعبدالله بن محمد بونهيه والسـيد محمد الخليفـة وعبدالجليل بن

وفـد إلـى الاحـسـاء عـدد وفـيـر مـن طـلاب الـعـلـم مـن كـل الأنـحـاء



علـى الحلبي عبدالغدير عنبـر وعبدالله بن عبدالرحمن الباز وعبدالعزيز بن منصـور التركي (أول مدير تعليم بالأحسـاء) وعبدالرحمن بن إبراهيم الحقيل ومحمد بن علي النحاس والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن المبارك

أمـا عن أبرز مـن درس في هذه المدرسـة من الأمراء فـكان منهم الأمير خالد الفيصل وسـعد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سـعود وعبدالعزيـز بن عبدالله بن جلوي وفيصـل بن فهـد بن جلوي ومحمد بـن فهد بن جلوي (كان أمير الأحساء) سابقاً الدكتور راشد بن عبدالعزيز المبارك والشـيخ محمد بـن عبدالعزيز بن زرعه ومحمد بن عبداللطيف بن محمـد اللحم وعبدالعزيز بن محمد السـالم وحسن المشاري و صالح بن عبدالعزيز السالم وأحمد بـن عبدالرحمن المانـع وعبداللطيف العجاجي وعبدالمحسن بن حمد المنقور

وبعد ذلك رأى الشـيخ النحاس أهميـة التعليم النظامي وأن يدعم ذلك بمشـاركة أعيان البلاد ووجهائها من خلال تسـجيل أبنائهم بها ليكونوا قدوة لغيرهم وكان ثمرة هذا الجهد هو إنشـاء مجلس للمعارف ليكون دعماً للتعليم في هذه المنطقة وإشـراك أهل الشأن والنفوذ في البلد لوضع القرارات الهامة التي تعطي دعماً معنوياً للتعليم وبمشاركة علمـاء وأعيان الأحسـاء في صنعه لكسـب تأييدهم منذ قدومه الأحساء وكانت ثمرة هذا الجهد في تحقيق الهدف المنشود هو تأسيس المدرسة الأميرية في الأحساء أي في سنة ١٣٥٧هـ بعدها أعلن النحاس عن تشكيل أول مجلس للمعارف بالأحسـاء ليتولى الصلاحيـات التقريرية بينما تتولى المعتمدية تنفيذ مقرراته فتأسس أول مجلس للمعارف بالأحسـاء بمباركة من أميرها سعود بن جلوي على غرار مجلس المعارف بمكة المكرمة الذي تأسس بموجب مرسوم ملكي سنة ١٣٤٦هـ ليكون أعلى سلطة تعليمية في المملكة العربية السعودية وتشـكل مجلس المعارف بالأحساء من رئيـس وثلاثة علماء وثلاثة وجهـاء ومعتمد للمعارف وعين الشـيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر رئيسـاً له وعضوية كل من: الشـيخ محمد العجاجي والشيخ محمد بن أحمد الموسـى والشيخ سـعد القصيبي والشيخ محمد الجندان والشـيخ صالح إسـلام مدير المالية آنذاك والشيخ سعد اليمني والشـيخ محمد النحاس الذي كان يشـغل معتمد المعارف ومدير المدرسة سنة١٣٥٧هـ واستمر هذا المجلس لمدة أربع سنوات

حيث أعيد تشكيله سنة ١٣٦٢هـ برئاسة الشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر أيضاً وعضوية كل من: الشـيخ محمد العجاجي والشيخ سعد بن راشد اليمني والشيخ محمـد سـليمان بالغنيم والشـيخ محمد بن شـعوان والشيخ إبراهيم بن مهنا وبعد استقالة الشيخ النحاس سنة ١٣٦١هـ خلفه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخيال وفي سنة ١٣٦٢هـ عين الشـيخ عبدالعزيز بن منصور التركي معتمداً للمعارف

وقد استمر المجلس حتى عام١٣٦٥هـ عندما حلت محله هيئـة المعارف بتشـكيل جديد ليسـتمر التعليم يعطي ثماره في الأحساء

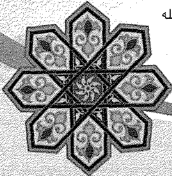
بعـد ذلك تولى رئاسـة مديريـة التعليم في الأحسـاء الأسـتاذ عبدالعزيز التركي الذي يرجع له الفضل بعد الله في نشر عديد من المدارس ابتداء من سنة ١٣٧٦هـ تقريبا وهي السـنة التي نقلت فيها المعارف إلى الدمام حيث تولى مديرية التعليم بالأحسـاء الأسـتاذ عبدالله بونهيه وخلفه الأسـتاذ عبدالله بن عبدالرحمن الشعيبي والأستاذ إبراهيم الحسـيني والدكتور سعيد عطية أبو عالي (مدير عام التعليم في المنطقة الشـرقية) سـابقاً وبعده الأسـتاذ أحمد بـن عبدالرحمن الهلال والدكتور عبدالرحمـن بن إبراهيم المديـرس (والذي تولى مؤخراً مديـر التعليم في المنطقة الشـرقية) وخلفه في منصب إدارة التربية والتعليم في الأحسـاء الأستاذ أحمد بن محمد بالغنيم حيث تكرس هـذه الإدارة جل وقتها في خدمة التعليم وطلابه في هذه المنطقة الهامة من مملكتنا الغالية ويكفي الإشـارة إلى إنجازات هذه الإدارة التي أسست حتى الآن أكثر من خمسة وستين مدرسة ثانوية ومائة مدرسـة متوسـطة وحوالي مائة وسبعين مدرسة ابتدائية موزعة ومنتشـرة على قرى الأحسـاء والهجر التابعة لها ومازالت هذه المدارس تعطي ثمارها وتخرج أجيالاً من طالبي العلم.

إنْ و إذْ

الحمد لله، وصلى الله على محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه وبعد: هذا فرق بين حرفين لا يكاد يفرق بينهما المتحدثون من طلاب العلم، بل ولا الكثير من الفقهاء والعلماء، ويسمى هذا من الغلط الشائع على الألسنة، وقد يسمى هذا مما يتسامح به، ولكن هذا الغلط اليسير قد يوقع في الكفر، وإليك البيان:

ناقشت رسالة للدكتوراه لأحد الطلاب في المدينة المنورة (١)على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكانت تلكم الرسالة بعنوان (تحقيق كتاب البسيط للغزالي- رحمه الله) (٢) فقال الغزالي في ص ٩٠ «نهي عن الخِطْبة على الخِطْبة، فإذا خطبت امرأة فجرت الإجابة- يعني تحققت- حرمت الخطبة. فإن جرى الرد جازت الخطبة» أهـ فقلت للطالب: لِمَ عَبَّر الإمام الغزالي بإذا في الأول، وبإن في الثاني؟ فقال تبدل في التعبير، يعني يريد الغزالي أن تكون الكلمات متباينة حتى لا يمل القارئ، فقلت له أبداً هناك فرق كبير بين الكلمتين، انظر إلى ص ٧٦٥ من نفس الرسالة تجد الفرق بينهما، فقد قال الغزالي نفسه في هذه الصفحة ٧٦٥: وللتعليق صيغتان: إحداهما: أن يقول إن كان كذا، والثاني: أن يقول إذا، وكلاهما في حكم واحد، إلا أن كلمة (إن) تستعمل فيما يتردد فيه، فلو قال قائل: إن قامت القيامة، فهذا كفر، لأنه لا تردد فيه- أي في وجود يوم القيامة- هكذا قاله سيبويه أهـ.

(قلت) يريد الغزالي أن (إن) تأتي فيما يتردد فيه، قلت: أو فيما يستحيل، أو فيما يندر وجوده، مثل إن دخلت الجامعة أكرمك، فأنت عند هذا القول متردد هل يدخل الجامعة أم لا، ومثل ذلك قوله تعالى {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله} (٣) ومثال المستحيل قوله تعالى {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك} (٤) فهذا يستحيل على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتردد في أن القرآن الكريم أنزل عليه من الله تعالى، كما يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يشك في ذلك، ففي مصنف عبد الرزاق:



أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك} قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال {لا أشك ولا أسأل}. وفي تفسير ابن كثير: قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {لا أشك ولا اسأل}.

وكذا قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلى الله عليه وسلم موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل} الآية (٥). (٦).

ومثال النادر قوله تعالى في سورة الحجرات {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} (٧) فلا يتأتى للمؤمن أن يكون فاسقاً إلا على وجه الندرة، وقوله تعالى {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} (٨) فالمؤمنون لا يقتتلون فيما بينهم، بل هم كما وصفهم الله تعالى {أشداء على الكفار رحماء بينهم} (٩) وكذا قوله تعالى في الآية نفسها {فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.}

وأما (إذا) فلا تكون إلا للشيء المتحقق مثال ذلك -وهو كثير- قوله تعالى {إذا زلزلت الأرض زلزالها} (١٠){إذا وقعت الواقعة}(١١) {إذا السماء انشقت} (١٢)، نرجع إلى قول الغزالي- رحمه الله- نهى عن الخطبة على الخطبة، فإذا خطبت امرأة، فجرت الإجابة- يعني تحققت- حرمت الخطبة، فإن جرى الرد جازت الخطبة» فما الفرق بين إذ وإن هنا؟ الفرق بينهما واضح، وهو أن قوله (فإذا خطبت امرأة فجرت الإجابة) هذا الكلام محقق لأن المرأة تخطب، وتفرح، ويفرح أهلها بذلك، لأن المرأة أمانة تسلم للأمين. فالخطبة هنا متحققة، وكذلك الإجابة متحققة إذا كان الخاطب كفء، وأما قوله (فإن جرى الرد) فهذا هو النادر أن تخطب المرأة ثم يُرَدُّ الخاطب، وهذا لا يمكن أن يكون عند العقلاء، أما من يريد أن يجعل من ابنته بقرة حلوباً يستلم راتبها كل شهر، فهذا يريد أحسن الخطاب، ويطردهم من الباب وهكذا تبين الفرق بين الكلمتين. والله أعلم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم



أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الهوامش:

(١) كان الإمام ابن رجب يقول: المدينة المنورة، والمدينة النبوية، والمدينة فقط وانظر أبا المحاسن الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥)هـ(في ذيله على تذكرة الحفاظ، والصنعاني في سبل السلام، والمبارك فوري في تحفة الأحوذي، فكلهم يقول المدينة المنورة، والله أعلم.

(٢) رسالة دكتوراه للطالب عوض حميدان العمري، نوقشت يوم ٣/٤/١٤٢٦هـ بالمدينة المنورة، وحاز الطالب على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣.

(٤) سورة يونس الآية: ٩٤.

(٥) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

(٦) مصنف عبد الرزاق ج: ص ١٢٥ تفسير الطبري ١٦٨/١١. تفسير ابن كثير ١٦٨/٢.

(٧) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٨) سورة الحجرات الآية: ٩.

(٩) سورة الفتح الآيه:٢٩.

(١٠) أول سورة الزلزلة.

(١١) بداية سورة الواقعة.

(١٢) الآية الأولى من سورة الإنشقاق.

كما كان يوسف عليه السلام،، في السجن

عبدالعزيز بن صالح العسكر - السعودية

عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

لا يتحدث هذا المقال عن يوسف عليه السلام في السجن أو ما قبله أو ما بعده، وفي كل ذلك دروس وعبر كثيرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولكن صورة واحدة من صور حياة نبي الله يوسف عليه السلام حضرت إلى ذهني، وأنا أقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف، ربما لم يقف عنده كثير من القُراء، وبخاصة قُراء العناوين في زمننا وما أكثرهم!

يقول الخبر (استطاع مواطن مسجون على ذمة قضية في إصلاحية الحائر بالرياض إقناع ثمانية أشخاص من العمالة الوافدة بالدخول في الإسلام. وكان مواطن سعودي يقبع على ذمة قضية داخل إصلاحية الحائر قد اختار عنبراً به عدد من السجناء غير السعوديين من غير المسلمين ليتمكن من اقناع ثمانية أشخاص باعتناق الإسلام بعد جهود كبيرة بذلها وإدارة الشؤون الدينية).. السجن بلا شك مكان ابتلاء واختبار، وموطن إيلام وإصلاح، والذين يصلون إليه بسبب أعمالهم وما يوجه إليهم من اتهامات أوعقوبات يعيشون ألماً وندماً، وكثيراً منهم ينسى نفسه وطموحاته وآماله ومواهبه.. مع أن المديرية العامة للسجون في المملكة العربية السعودية قد حققت بفضل الله ثم بجهود منسوبيها وتوجيهات ولاة الأمر منجزات كبيرة في تحويل السجون إلى إصلاحيات، واستطاعت أن تجعل من السجن مركزاً للدعوة.

ومثلما رأينا يوسف عليه السلام يُرمى في السجن ظلماً وعدوانا، فلم يمنعه ذلك أن يجعل من سجنه نعمة بعد أن كان نقمة ويستفيد من سؤال صاحبيه في السجن عن تأويل رؤاهما ويدعوهما إلى التوحيد، وفي قوله تعالى (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان). وأخونا في سجن الحائر يمن الله عليه بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام - كما ورد في الخبر - فأرجو أن يثيب الله أخانا أجزل الثواب.

وليس الغريب أن يخطئ المرء فلكل جواد كبوة.. ولكن العاقل هو الذي يحسن الاستفادة فيما يقربه من الله ليبدل الله بعفوه وكرمه سيئات هذا المرء حسنات.

مسابقة المنهل الثقافية

شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى :	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

لطفاً: رجاء كتابة رقم المسابقة على الظرف

نتائج العدد ٦١٢

الفائــزون:

الجائزة الأولى: صـابر عبدالدايم محروس	الأردن
الجائزة الثانية: عـمر سـالم النيجـاوي	السعودية
الجائزة الثالثة: توفيق محمد أبـو الرووس	مـصـر
الجائزة الرابعة: هبة مصـطفى عبدالعـال	مـصـر
الجائزة الخامسة: هثيـم عمـر جنـدوح	السعودية
الجائزة السادسة: خليفة محمد الشــرقي	الامـارات
الجائزة السابعة: عبدالرحمن عبدالعزيز سالم	مـصـر
الجائزة الثامـنة: خـالد منصـور حبيب	العـراق
الجائزة التاسعة: مؤنس عمـر محمـد	تـونـس
الجائزة العاشرة: حسام إبراهيم جداوي	المغـرب

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية لعدد (٦١٣) في العدد (٦١٤).. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٦١٣)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة..

١ - ما لون الصندوق الأسود في الطائرات؟

لونـــه:

☐ أســود ☐ برتقـــالي

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



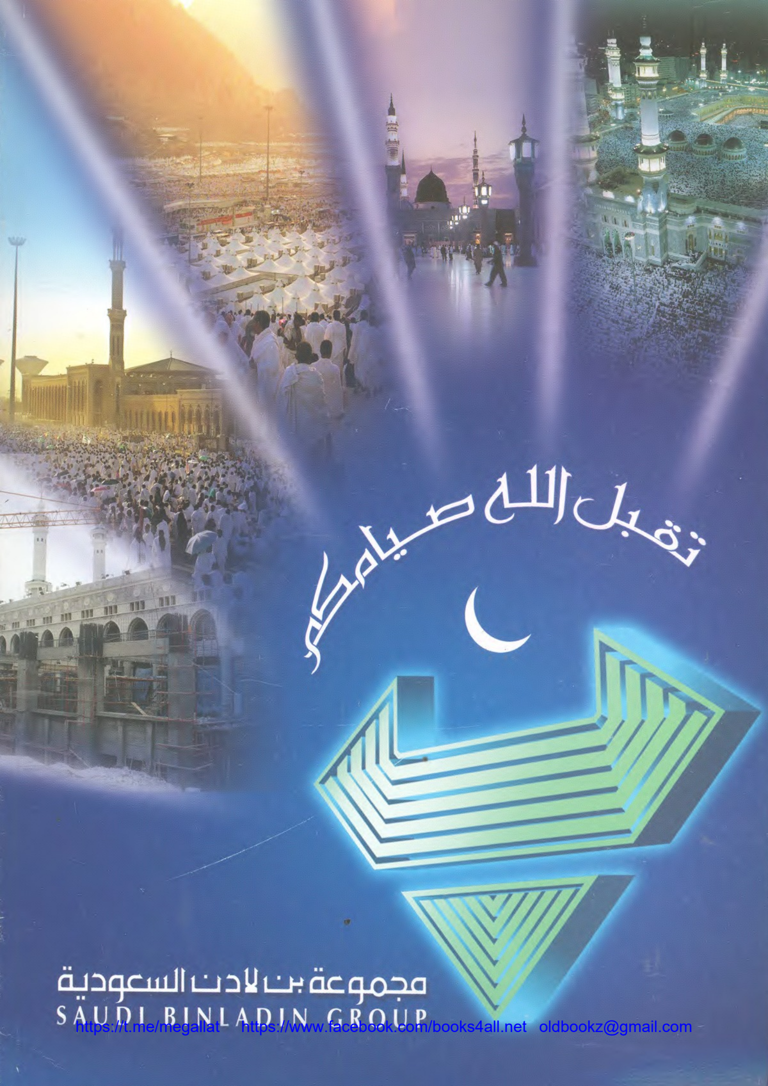
صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي كتاب

(عبدالقدوس الأنصاري
وإسهاماته العلمية والثقافية)

واحتوى الكتاب على الأبحاث التي القيت في ملتقى

العقيق ا لثقافي في الدورة الأولى ١٤٢٨هـ

عن إسهامات الأنصاري العلمية والثقافية وغيرها..


تقبل الله صيامكم
مجموعة بن لادن السعودية
SAUDI BINLADIN GROUP